الشيخ: وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين, أما بعد أحب أن أقدم الشكر لمؤسسة الاستقامة الإسلامية في عنيزة على هذه الملاحظة الجيدة, وهي ترقب حاجات الناس في المناسبات التي تحتاج إلى تنبيه على الأمور الهامة حتى يكون الناس فيها على بصيرة في دين الله عز وجل .

المقدم : وقد كانت البداية بهذا التفسير في شهر ربيع الأول من 1418 للهجرة والنهاية في غرة ربيع الثاني من العام المتمم 1420 هـ ضمن دروس الشيخ محمد رحمه الله التي يعقدها في الجامع الكبير في عنيزة, والآن مع الشريط الأول .

الشيخ : قبل أن نبدأ بالتفسير أحب أن أحث طلاب العلم على تعلم تفسير القرآن, لأن القرآن أشرف كتاب وأعظم كتاب, فإنه كلام الله عز وجل تكلم به حقيقة وسمعه جبريل فألقاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم, ثم إن هذا شأن الصحابة رضي الله عنهم, فقد كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل, قالوا: " **فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا** " ومن المعلوم أن الإنسان إذا قرأ القرآن بدون معرفة لمعناه فإنه لا يستفيد منه شيئا, كما لو قرأ كتاب الفقه أو كتاب الطب أو كتاب أدب وهو لا يعرف المعنى فإنه لا يستفيد من هذا شيئا.

أهم شيء في القرآن أن تتدبر آياته وتتعظ بها كما قال الله تعالى: (( **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** )) يوجد بعض الناس تميل نفسه إلى فن من فنون العلم, ويهمل القرآن, لو ناقشته في أقل معنى للآيات وجدته ليس عنده منها خبر, ولا وقف منها على عين ولا أثر, وهذا نقص كبير في العلم, أصل المعلومات وأهمها وأشرفها وأجلها هو تعلم القرآن الكريم, ولذلك تنبغي العناية به.

واعلم أن القرآن الكريم لم ينزل على أنه كتاب نحو أو كتاب صرف أو كتاب فلك أو ما أشبه ذلك, إنما نزل ليستقيم العبد في معاملته مع الله ومعاملته مع الخلق, ولذلك تجد القرآن الكريم لا يعتني كثير بالآيات الكونية الفلكية وإنما يشير إليها إشارة, لكنه في الأحكام الشرعية يأتي بها بالتفصيل والبيان, ولقد حاول بعض المتأخرين أن ينزل المعلومات الكونية الفلكية والأرضية, حاول أن يجعل القرآن دالا عليها بالتفصيل, فصار يسوق الآيات ويتكلف في معناها ليخضعها إلى موافقة ما قيل عن علم الفلك والأرض, وهذا غلط لأن القرآن إنما نزل لهداية الخلق في

العبادات والمعاملات, وما أتى فيه من كلام عن الأمور الكونية فهذا أتــى على وجه إجمالي, التفصيل فيـه قليـل إن كـان هنـاك تفصـيل, فليعتنـي طالب العلم بتفسير كلام الله عز وجل,

ثم نبدأ درس اليوم, يقول: سورة الشورى, ويقال: سورة شورى, تقــال هذا وهذا, أما الشورى فأل فيها للبيان, وأمـا شـورى فهـي مـأخوذة مـن قوله : **(( وأمرهم شورى بينهم ))** وليـس فيهـا أل, فهـذه السـورة تسمى سورة شورى وسورة الشورى, يقول: مكية, ما معنى مكيـة هـل المراد ما نزل بمكة أو المراد ما نزل قبل الهجرة؟ المراد الثاني, ما نزل بعد الهجرة ولو في مكة فهو مدني, كقـوله تعـالى : **(( اليـوم أكملـت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ))** هذه نزلت فـي عرفـة والنـبي صلى الله عليـه وسـلم واقـف بعرفـة, ومـا نـزل قبـل الهجـرة ولـو فـي الأسفار أو في أي مكان فإنه مكي, إذاً الحد الفاصل بين السـور المكيـة والمدنية هو الهجرة طيب.

يقول: إلا **(( قل لا أسألكم عليه ))** الآيـات الأربـع؛ اسـتثنى المؤلـف رحمه الله من هذه السورة هذه الآيـات الأربـع, يعنـي أنهـا مدنيـة وبقيـة السورة مكية, ولكن لاحظوا أن أي إنسان يستثني آيات من سورة مدنية لتكون هذه الآيات مكية أو بالعكس فإننا نطالبه بالدليل, وإلا فالأصــل أن السورة المكية مكيـة بجميـع آياتها, وأن السـورة المدنيـة مدنيـة بجميـع آياتها, قد يقول قائل: الشاهد مثلا أو الـدليل أن أسـلوب الآيـات المدنيـة يختلف عن أسلوب الآيات المكيـة, نقـول: هـذا لا يكفـي, قـد يقـول مثلا قائل: الدليل على الاستثناء أن هذه الآيات مثلا تبحث فـي الفـروع فـروع الدين وهذه علامة على أنها مدنية, لأن غالب السـور المكيـة تبحـث فـي أصول الدين, نقول: هذا ليس بدليل, وعلى هذا فالأصل أن هذه السورة مكية بجميـع آياتهـا حـتى يقـوم دليـل واضـح علـى أن هـذه الآيـات الـتي استثناها المؤلف مدنية,

ثم اعلم أن جميع السور المبدوءة بـالحروف الهجائيـة مكيـة إلا سـورتين هما البقرة وآل عمران, والباقي كله مكي, ثم قال : ثلاث وخمسون آية؛ الآية هي عبارة عن جملة من القرآن الكريم انفصلت عما قبلهـا انفصــالا معنويا أو انفصالا توقيفيا ؟ انفصالا توقيفيا, يعنـي أن الآيـات فصـل هـذه عن هذه بالتوقيف, وليس تابعا للمعنى, ولهـذا تجـدون قـول اللـه تبـارك وتعــالى: **(( فويــل للمصــلين * الــذين هــم عــن صــلاتهم ساهون ))** هاتـان آيتـان مـع أن: **(( الـذين هـم عـن صـلاتهم**

**ساهون ))** مرتبطة تماما بقوله : **(( فويل للمصلين ))** المهم أن فصل آية عن آية إنما هو بالتوقيف, كذلك أيضا وضع الآيات بعضها إلى بعض هو أيضا توقيفي, ليس للرأي فيه مجال وليس لأحد فيه أي عمل, بل هو توقيفي إذا نزلت الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم : **( ضعوا هذه الآية في مكان كذا من سورة كذا ).**

فصار الآن فصل الآيات بعضها عن بعض ... طيب ترتيبها ؟ توقيفي, أما السور فبعضها ترتيبه توقيفي وبعضها ترتيبه غير توقيفي, فمثل البقرة وآل عمران ترتيبها توقيفي, آل عمران بعد البقرة, ولا يشكل عليك حديث حذيفة أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقرأ بالبقرة ثم قرأ بالنساء ثم قرأ بآل عمران؛ لأن الترتيب النهائي أن آل عمران بعد البقرة, ويكون حديث حذيفة قبل الترتيب النهائي, ولهذا تجدون في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يقرن دائما بين البقرة وآل عمران كقوله : **( اقرءوا الزهراوين** ) يعني البقرة وآل عمران, فصار عندنا ترتيب السور بعضه توقيفي وبعضه غير توقيفي, ترتيب الآيات توقيفي, تفصيل الآيات توقيفي, وإنما سميت القطعة أو الجملة من القرآن آية لأنها معجزة, يعني الآية الواحد لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها لا في موضعها ولا في صيغتها ولا في مدلولها

الشيخ: قال الله تعالى.

القارئ: **(( حم عسق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم ))** .

الشيخ: **(( حم عسق ))** هذه خمسة أحرف: ح م ع س ق, خمسة أحرف لكنها أحرف هجائية, يعني هي مثل أ ب ت ث ج ح خ, هذه ح م ع س ق, ليس لنا أن نتكلم لماذا اختار الله عز وجل هذه الحروف بعينها دون غيرها ! هذا ليس إلينا ولا يمكننا أن نحيط بذلك علما, لكن لنا أن نسأل هل لهذه الحروف معنى أو ماذا؟ المؤلف يقول: **" الله أعلم بمراده به "** وهذا يقتضي أنه أثبت لهذه الحروف معاني لكنها غير معلومة, وهذه الحروف

الهجائية التي ابتدأت بها بعض السور اختلف فيها العلماء رحمهم الله سلفا وخلفا ما معناها, وهل هي رموز أو أسماء للسور التي ابتدأت بها أو ماذا ؟ ولكننا إذا طبقنا ذلك على ما تقتضيه الأدلة وجدنا أنها حروف هجائية ليس لها معنى, الدليل أنه لا يوجد في القرآن شيء ليس له معنى معلوم لجميع الناس, لأنه لو قدر أن في القرآن شيئا مجهولا لجميع الناس لم يكن هذا القرآن بيانا للناس, لأن مقتضى البيان ألا يكون فيه شيء إلا كان معلوما للناس جميعا أو لبعض الناس, أما أن يوجد فيه ما ليس معلوما لجميع الناس فهذا لا يمكن, وقد قال الله تعالى: **(( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ))** وقال تعالى: **(( ونزلنا عليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ))** وقال تعالى: **(( فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ))** وهذا يشمل البيان اللفظي والبيان المعنوي, إذا اعلم أنه لا يوجد شيء في القرآن لا يفهم الناس معناه, أبدا, لابد أن يفهموا معناه, فإذا وجد شيء لا يعرف معناه يعني ذلك أنه ليس له معنى, هذه واحدة.

ثانيا إذا طبقنا هذه الحروف على قول الله تبارك وتعالى: **(( نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ))** وقوله تعالى: **(( إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ))** قلنا هذه الحروف في لغة العرب وش معناها ؟ ليس لها معنى, إذا فمقتضى كون القرآن باللسان العربي المبين ألا يكون لهذه الحروف معنى, لأن هذه الحروف ليس لها معنى في اللغة العربية, وهذا هو الذي نقله ابن كثير رحمه الله عن إمام المفسرين في عهده مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى, الذي أخذ تفسير القرآن عن عبد الله بن عباس قال : **" إن هذه الحروف الهجائية ليس لها معنى "** نجزم بذلك أو لا ؟ نجزم بذلك لا تخرسا ولكن استدلالا بالقرآن واستدلالا بحال القرآن, استدلالا بالقرآن لأنه نزل باللغة العربية وهذه الحروف الهجائية ليس لها معنى في اللغة العربية, استدلالا بحال القرآن أن القرآن ليس فيه شيء لا يعرف الناس معناه كلهم, لابد أن يكون فيه شيء معلوم, وعلى هذا فإننا نجزم بأن هذه الحروف ذاتها ليس لها معنى, لكن إذن يرد علينا إشكال, إذا قلنا ليس لها معنى صار إنزالها وكلام الرب بها عز وجل عبثا, والله تبارك وتعالى لا

يفعل شيئا عبثا فنقول: ليس بعبث, هي ذاتها ليس لها معنى, لكن لها مغزى يقترن بالتحدي, وهو أن يقال: إنكم أيها العرب تركبون كلامكم من هذه الحروف, والقرآن لم يأت بحرف لم تتكلموا به, بل كله من الحروف التي تتكلمون بها, وهذا مثال: ح م ع س ق, ومع هذا عجزتم أن تأتوا بمثله, فيكون في هذا معزى عظيم, وهو أن القرآن الذي أعجزكم أيها العرب مع أنكم أئمة الفصاحة هل أتى بحروف جديدة تقولون: والله لا نعرف هذه الحروف أو هو من الحروف التي أنتم تنطقون بها ؟ الجواب الثاني, ومع ذلك أعجزكم, ويدل لهذا المغزى الذي أقره شيخ الإسلام رحمه الله ومن سبقه ومن لحقه, يدل على هذا أنك لا تكاد تجد سورة مبدوءة بهذه الحروف إلا وبعدها ذكر القرآن الكريم أو ذكر ما لا يمكن إلا بالوحي.

ننظر الآن: **(( ألم ))** في أول البقرة وش بعدها ؟ **(( ذلك الكتاب ))**, في آل عمران: **(( ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب ))** الأعراف: **(( المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه ))** وهلم جرا, ليس فيه إلا سورتان أو ثلاث, لكن حقيقة الأمر أن الذي يلي هذه الحروف لا يتأتى العلم به إلا عن طريق الوحي: **(( حم عسق ))** نقول في تفسيرها: هذه حروف هجائية ليس لها معنى لكن لها مغزى طيب.

**" (( كذلك )) أي مثل ذلك الإيحاء (( يوحي إليك و )) أوحى (( إلى الذين من قبل الله )) فاعل الإيحاء ",** كذلك تأتي في القرآن كثيرا, وإعرابها في جميع المواطن إلا يسيرا أن تقول : الكاف: نائبة المناب مثل منصوبة على أنها مفعول مطلق وعاملها ما يأتي بعدها, الكاف: بمعنى مثل منصوبة على أنها مفعول مطلق عاملها ما يأتي بعدها, حول الكاف إلى مثل تقول: مثل ذلك, أين العامل فيها ؟ يوحي, أي يوحي إليك مثل ذلك الإيحاء الله العزيز الحكيم, طيب.

وقوله ذلك المشار إليه الوحي النازل على الرسول عليه الصلاة والسلام, يوحي إليك, الوحي: في اللغة الإعلام بسرعة وخفاء, ويطلق على الرمز: **(( فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ))** ويطلق على الإلهام كما في قوله: **(( وأوحى ربك إلى النحل ))** وقوله: **(( وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ))** أما في الاصطلاح فالوحي: إعلام الله تعالى بالشرع لأنبيائه ورسله,

وقوله: **(( وإلى الذين من قبلك ))** الواو حـرف عطـف وإلـى الـذين من قبلك معطوفة على إليك, وإذا كانت معطوفة على إليـك كـان تقـدير الفعل ويوحي إلى الذين من قبلك, لكن لاحظوا أن المؤلـف رحمـه اللـه صرفها, فقال: **" وأوحى إلى الذين من قبلك "** فقدر فعلا ماضيا مع أنها معطوفة علـى معمـول فعـل مضـارع فلمـاذا ؟ لأن إيحـاء اللـه إلـى رسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم مستمر, وإيحائه إلـى مـن سبقه ماض منتهي, فلهذا قدر المؤلف فعلا ماضيا, ولكننـا نقـول الأصـل عدم التقدير, لأن القرآن كامل لا يحتاج إلى تقدير إلا ما دعـت الضـرورة إليه, هنا لا ضرورة ونقول: **(( كذلك يوحي إليك و ))** يـوحي **(( إلـى الذين من قبلك ))** ويكون ذكر الإيحاء لن سبقنا من بـاب ذكـر صـورة الحال, فإنه سـبحانه وتعـالى حيـن وحيـه إلـى مـن سـبق يـوحي ... فـي المضارع فيكون هذا على حكاية الحال.

وقوله: **(( وإلى الذين من قبلك ))** المـراد بهـم الأنبيـاء والرسـل, **" الله فاعل الإيحاء "** لو قال : فاعل يوحي كان أحسن مـن حيـث بيـان الإعراب, فعلى هذا نقول: يوحي فعل مضارع, والله فاعل, يـوحي اللـه، الله هو علم على ربنا عز وجل, قيل: وأصله الإله, فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال, كما حذفت الهمزة من خير وشر في قـولهم: فلان خيـر مـن فلان أو فلان شر من فلان, والتقدير أخير وأشر, الله: معنى هذه الكلمة العظيمة قيل أنه اسم جامد ليس له معنـى فهـو غيـر مشـتق, لكـن هـذا القيل غير صحيح لأن الله تعالى قـال: **(( ولله الأسـماء الحسـنى ))** والاسم المجرد عن معنى لا يدخل في الحسنى بل ولا في الحسن, فكل اسم من أسماء الله فإنه متضمن لصفة من صفات اللـه أو أكـثر, وليـس في أسماء الله اسم جامد لا يحمل معنى أبـدا, وعلـى هـذا فنقـول: اللـه مشتق من الإلوهية, والإلوهية هي التذلل للمألوه مع المحبـة والتعظيـم, إذن فالله بمعنى المتأله إليه حبا وتعظيما.

**قال: " (( الله العزيز )) في ملكـه (( الحكيـم )) فـي صـنعه "** أولا قال: العزيز في ملكه, لكن لم يفسر معنى العزة, العزيز في الأصل الغالب, العزيز يعني الغالب القاهر لمن سـواه عـز وجـل, واسـتمع إلـى قول الله تعالى عن المنافقين: **(( يقولون لئن رجعنا إلـى المدينـة ليخرجن الأعز منها الأذل ))** من يريدون بـالأعز ؟ يريـدون أنفسـهم, ويريدون بالأذل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه, مـاذا قـال اللـه ردا عليهم ؟ قال: **(( ولله العـزة ولرسـوله وللمـؤمنين ))** أي للـه

الغلبة ولرسوله وللمؤمنين وتأمل قوله: **(( ولله العزة ))** ولم يقل: والله الأعز مع أنهم هم يقولون: الأعز والأذل, لم يقل: والله أعز قال: ولله العزة, لأنه لو قال: والله هو الأعز لأثبت للمنافقين عزة مفضولة, لكن الحقيقة أنه لا عزة للمنافق, بل هو مغلوب دائما, بل حاله تدل على أنه مغلوب لأنه مختفي جبان, يظهر أنه مسلم وليس بمسلم, ولهذا: نقول إن الكافرين الخلص الصرحاء أشجع من المنافقين لأنهم يصرحون ويعلنون, المنافق ذليل يظهر الإسلام خوفا من المسلمين, ويبطن الكفر لأنه كافر والعياذ بالله, الخلاصة العزيز المؤلف رحمه الله لم يبين معناها فنقول: العزة يعني الغلبة.

الحكيم يقول: **" في صنعه "** وهذا ناقص جدا, لأن حكمة الله تعالى في صنعه وفي شرعه, فهو حكيم في صنعه أي في خلقه, وهو حكيم في شرعه, واقرأ قول الله تعالى في سورة الممتحنة: **(( فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ))** كل هذه أحكام شرعية ثم قال: **(( ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ))** فهو جل وعلا حكيم في شرعه, وحكيم في صنعه يعني في خلقه, كل ما خلقه الله تعالى فالحكمة تقتضي وجوده, وكل ما أعدمه الله تعالى فالحكمة تقتضي عدمه, هذا أمر مسلم به, كل ما شرع الله إيجابا أو تحريما أو تحليلا فالحكمة تقتضي شرعه كذلك, الواجب تقتضي الحكمة إيجابه, والمحرم تقتضي الحكمة تحريمه, والمباح تقتضي الحكمة إباحته, لكن لا يلزم من وجود الحكمة في ذلك أن تكون معلومة لنا, لا يلزم من هذا, هو فيه حكمة لكن قد نعلمها وقد لا نعلمها, وهل إذا حجب عنا علمها يعني العدم ؟ لا, لأننا قاصرون في كل شيء, خلق الإنسان ضعيفا في كل شيء, ضعيف في قوته في إدراكه في علمه في كل شيء, ولهذا قالوا ما هي الروح يا محمد ؟ قال الله تعالى: **(( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ))**[الإسراء:85] ختم الآية بقوله: **(( وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ))** كأنه يقول: ما بقي عليكم من العلم إلا الروح حتى تسألوا عنها, بل الذي فاتكم من العلم أكثر من الذي أدركتموه ولهذا قال : **(( وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ))** ولذلك واجب المسلم تجاه

خلق الله وتجاه شرع الله أن يستسلم تماما, وأن يقول: هذا هو الحكمة؛ أضرب مثلا في الشرائع, لماذا يأتي الناس بحصى حجرات صغيرة يضربون بها مكانا معينا ؟ قد يقال قائل : ما الحكمة ؟ فنقول: مجرد كون الله شرع ذلك دليل على الحكمة, ونكتفي بهذا مع أن من أعظم الحكم فيه كمال التعبد, أن يأتي الإنسان بحجر يضرب بها مكانا لمجرد امتثال أمر الله, ففيها كمال التعبد, لأن انقاد النفس لما تعلم فائدته أسهل من انقيادها لما لا تعلم فائدته, وانقيادها لما لا تعلم فائدته أبلغ في التذلل والتعبد لله عز وجل, مع أن هذا العمل مقرون بذكر, كل حصاة ترميها تقول: الله أكبر, مقرون أيضا بإتباع كل حصاة ترميها وأنت تشعر أنك متبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم, على كل حال نقول: إن قصر المؤلف الحكيم على حكمة الصنعة قاصر بلا شك, فهو حكيم في صنعه وحكيم في شرعه تبارك وتعالى.

لابد أن نعرف ما هي الحكمة, يقول العلماء: إن الحكمة هي وضع الأشياء في مواضعها, بمعنى أن الله سبحانه وتعالى إذا خلق شيئا أو شرع شيئا فإنه في مكانه اللائق به, ولهذا قال بعض السلف: **" إن الله تعالى لم يأمر بشيء فيقول العقل ليته لم يأمر به ولم ينه عن شيء فيقول: العقل ليته لم ينه عنه "** فكل ما ثبت بالشرع فإنه لا ينافي العقل, بل إن العقل يؤيد ويشهد بصحته, فالحكيم إذن هو واضع الأشياء مواضعها سواء الشرعية أو الكونية, فما أمر الله بشيء فقال العقل: ليته لم يأمر به وما نهى الله عن شيء فقال العلق: ليته لم ينه عنه, أما في الأمور الكونية فإن الله سبحانه وتعالى ربما يقدر أشياء تظنها فسادا فإذا بها تكون صلاحا وخيرا, قال الله تبارك وتعالى: **(( فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ))** فالله سبحانه وتعالى قد يقدر أشياء إذا نظر إليها الإنسان أول وهلة قال: هذه ما فيها فائدة, أو قال: هذه مضرة, لكن إذا تأمل وجد أن الحكمة تقتضي ذلك, نعم, وأنت أيها العبد إذا آمنت أن الله حكيم في شرعه وحكيم في خلقه فإنه لا يبقى لك شك في أن ما شرعه خير وما قدره خير, طيب.

وللحكيم معنى آخر غير الحكمة وهو الحاكم, لأن هذه المادة ح ك م تدل على المعنيين على الحكمة وعلى الحكم, فهو سبحانه وتعالى هو الحاكم يحكم في الناس ويحكم بين الناس, يحكم في الناس بما يلزمهم به من الأحكام الشرعية, ويحكم بين الناس فيما يختصمون فيه فهو الحاكم,

وحكمه مبني على العدل التام, لا ظلم ولا جور لا بالنسبة لا يحكم به بين الناس ولا بالنسبة لما يحكم به في الناس, كله عدل كله خير, إذن الحكيم له معنى آخر وهو الحكم، الحكم ينقسم إلى حكم قدري وحكم شرعي, ولهذا إذا أصيب الإنسان بمصيبة قال: هذا حكم الله, هذا تعبير عامي, يعني القدري أو الشرعي ؟ القدري, لكن إذا قيل له: يجب عليك كذا وكذا قال: ليش يحب ؟ قال: هذا حكم الله الشرعي, وكلاهما في القرآن, فمن الأول أعني الحكم القدري قول الله تبارك وتعالى عن أخ يوسف: **(( فلن أبرح الأرض حتى يأذن الله أبي أو يحكم الله لي ))** أي يقدر لي, لم يقل: يحكم في قال: **(( أو يحكم الله لي ))** فالحكم هنا قدري, ومثال الثاني الحكم الشرعي قول الله تبارك وتعالى حينما ذكر أحكام الكافرات اللاتي يأتين من الكفار إلى المؤمنين قال: **(( ذلكم حكم الله يحكم بينكم ))** حكم الله الشرعي أو الكوني ؟ الشرعي, طيب ما الفرق بين الحكم الشرعي والحكم القدري ؟ الفرق بينهما أن الحكم القدري يكون فيما يرضاه الله وفيما لا يرضاه الله, يسرق الرجل يزني يشرب الخمر, هذا من حكم الله القدري أو الشرعي ؟ القدري, وهذا لا يرضاه الله, يصلي الإنسان يتصدق يصوم يحج هذا حكم الله كوني أو شرعي ؟ هو قدري لكن يرضاه الله أو لا يرضاه الله ؟ يرضاه الله, إذن الحكم الكوني أو القدري إن شئت يكون فيما يرضاه الله ومالا يرضاه الله, أما الحكم الشرعي فلا يكون إلا فيما يرضاه الله, فلا يحرم الله شيئا إلا وهو يرضى ألا يكون, ولا يوجب شيئا إلا وهو يرضى أن يكون,

كذلك أيضا فرق آخر الحكم الكوني أو القدري والمعنى واحد لا بد من وقوعه, إذا حكم الله بشيء كونا لابد أن يقع, الحكم الشرعي قد يقع وقد لا يقع, هل كل الناس ملتزمون بأحكام الله الشرعية ؟ لا, فهذان فرقان بين الحكم الكوني والحكم الشرعي وكلاهما يتضمنه قوله تعالى: **(( الحكيم ))** .

من فوائد الآيات بيان قدرة الله تبارك وتعالى حيث إن كلامه المنزل على نبيه من الحروف التي يتكلم بها الناس ويركبون منها كلامهم ومع ذلك أعجزهم, وجه الدلالة: **(( حم عسق ))** .

ومن فوائدها: إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : **(( يوحي إليك )) .**

ومن فوائدها: إثبات النبوة في الأمم السابقة لقوله: **(( وإلى الذين من قبلك )) .**
ومن فوائدها: إثبات هذين الاسمين لله عز وجل وهما: **(( العزيز الحكيم ))** واعلم أن أسماء الله سبحانه وتعالى لابد أن تتضمن شيئين:
الأول: ثبوت ذلك اسما لله تبارك وتعالى, فمثلا العزيز الآن نحن نشهد أن من أسماء الله العزيز كذلك نشهد أن من أسماء الله الحكيم.
والشيء الثاني مما تضمنه: الصفة التي دل عليها هذا الاسم, فمثلا العزيز دل على العزة والحكيم على الحكمة, لابد لكل اسم من هذين, قد يتضمن الاسم شيئا ثالثا: وهو الفعل المترتب على ذلك, وإن شئت فقل: الأثر المترتب على ذلك, فمثلا السميع يتضمن إثبات اسم السميع لله, صحيح, وإثبات السمع له, والصفة معنى زائد على الذات, والثالث: أنه يسمع كل شيء, طيب في الحكيم نقول كذلك: إثبات الحكيم اسما لله .
والثاني: إثبات الحكمة على أحد المعنيين, وإثبات الحكم على المعنى الآخر .
والثالث: أن الله سبحانه وتعالى يحكم بين العباد ويحكم في العباد .
ومن فوائد هذه الآيات الكريمة كمال عزته وكمال حكمته لأن الله قرن بين العزيز الحكيم إشارة إلى أن عزته وغلبته مبنية على الحكمة.

عزته وغلبته مبنية على الحكمة, عـزة المخلـوق قـد تـوجب أن يتصـرف تصرفا سفيها كما في قوله تبارك وتعالى: (( **وإذا قيل لـه اتـق اللـه أخذته العزة بالإثم ))** فهنا صار له عزة لكنها لـم تنفعـه لأنهـا ليسـت مقرونة بالحكمة, كذلك أيضا حكمة اللـه عـز وجـل مقرونـة بعزتـه, لأن الحكيم قد يكون خوارا ليس عنده غلبة فيفوته شيء كثير ويفوته الحزم من أجل أنـه يقـول: إن ذلـك هـو الحكمـة, لكـن حكمـة اللـه عـز وجـل مقرونة بعزته, ولهذا نحن نستفيد الآن من قرن الأسـماء بعضـها ببعـض نستفيد بذلك معنى زائدا على ما نستفيده من مجرد الاسم .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الشـرائع الـتي أوحيـت إلـى الرسـول عـزة وحكمـة قـال اللـه تبـارك وتعـالى: (( **وللـه العـزة ولرسـوله وللمـؤمنين ))** وقـال اللـه تعـالى: (( **وأنـزل اللـه عليـك الكتـاب والحكمة ))** فمن تمسك بهذه الشرائع نال الأمرين جميعا وهمـا العـزة والحكمة والحكم أيضا .

الشيخ: نعوذ بالله من الشيطان الرجيـم سـبق لنـا أن سـورة الشـورى فيها اسمان: شورى والشورى طيب.

الشيخ: هل هي مكية أو مدنية ؟ مكية, ما هو المكي وما هو المـدني ؟ ما نزل بمكة قبل الهجرة يعني قيدين, ما نزل قبل الهجرة, والمـدني ؟ ... ولو في مكة, هل تحفظ شيئا نزل بمكة بعد الهجرة ؟ قـوله تعـالى: **(( اليوم أكملت لكم ))** أين نزلت هـذه ؟ بعرفـة, بـارك اللـه فيـك. طيب.

الشيخ: استثنى المؤلف من هذه السورة آيات أربع, فما رأيك ؟

الطالب: نطالبه بالدليل.

الشيخ: نطالبه بالدليل على هذا الاستثناء لأن الأصل أن السورة المكية جميع آياتها مكية وأن السورة المدنية جميـع آياتها مدنيـة, فمـن ادعـى خلاف الأصل فعليه الدليل.

الشيخ: طيب قوله تبارك وتعالى: **(( حم عسق ))** ما تقول فيها ؟

لا الحروف الهجائية أحسن من قولنا الحروف المقطعة, لأنها قد تكـون حرفا واحدا مثل ن ص, فيها خلاف والراجح ؟

الشيخ: ما هو ا لدليل على رجحان هذا القول في اللغة العربية ؟

... هذا واحد, وجه آخر أن الله أنزل الكتاب تبيانا لكل شيء, ولـو قلنـا: هذه ليس لها معنى معروف, صار يعني أن في القرآن ما لا يعلم معناه وهذا ينافي قوله تعالى: **(( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شـيء ))** وقوله تعالى: **(( ونزلنا عليـك الـذكر لتـبين للنـاس مـا نـزل إليهم ))**.

الشيخ: الحكيم قـال المفسـر: فـي صـنعه, فمـا رأيكـم ؟ فيـه قصـور, الصواب أن الحكيم في صنعه وشرعه تماما.

ثم قال الله تعالى بدأ الدرس الجديد.

القارئ : **(( له ما في السماوات وما فـي الأرض وهـو العلـي العظيم ))**.

الشيخ: **(( له ما في السماوات ومـا فـي الأرض ))** لـه الضـمير يعود على الله, وأنتم تعلمون أن له خبر مقدم والمبتـدأ **(( مـا ))** فـي قوله: **(( ما في السماوات ))** لأن ما هنا اسم موصول, والتقدير له الذي في السماوات, والقاعدة عند البلغـاء أن تقـديم مـا حقـه التـأخير يقتضي الحصر والاختصـاص فقـوله : **(( له مـا فـي السـماوات ))** يعني لا لغيره, كل ما في السماوات والأرض فهو لله رب العالمين.

قال المؤلف: **" ملكا وخلقا وعبيدا "** لو بدأ بالخلق قبل الملك لكان أحسن لأن الخلق سابق, وعلى كل الحال المسألة ما هـي ذات أهميـة كبيرة المهم أن له ما في السماوات ملكا يعني أنه مالك أعيانها, وخلقا يعني أنه خالقها, وعبيدا بالمعنى القـدري يعنـي أن مـا فـي السـماوات والأرض متذلل لله تعالى كمـا قـال عـز وجـل : **(( إن كل مـن فـي السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ))** وقوله : **(( ما فـي السماوات ))** جمعها وما في الأرض أفردها لأن السماوات أعظم من الأرض, ولهذا تجيء كثيرا بلفظ الجمع وتجيء بلفـظ الإفـراد كمـا فـي قوله تعـالى: **(( إن الله لا يخفـى عليـه شـيء فـي الأرض ولا فـي السـماء ))** فـإذا جـاءت بـالإفراد فـالمراد الجنـس, وإذا جـاءت بالجمع فالمراد العدد, والسماوات عددها سبع كما قال تعالى: **(( قـل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ))** الأراضون لم

تأتي في القرآن إلا مفردة باعتبار الجنس, ولكن القرآن أشار إلى أنها سبع في قوله تعالى: **(( الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ))** المثلية لو نزلتها على الكيفية يصح أو لا يصح ؟ لا يصح لأن السماء أعظم وأوسع, إذن ما بقي إلا أن ننزلها على الكمية فيكون المعنى: **(( مثلهن ))** يعني في العدد سبع أراضين, وقد جاء في السنة بلفظ السبع فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **( من اقتطع شبرا من الأرض ظلما طوقه الله به يوم القيامة من سبع أراضين )** وهذا نص صريح وكذلك أيضا يروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يقول إذا أقبل على البلد: **( اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الأراضين السبع وما أقللن )** الأراضين السبع, فهي سبع أراضين ولكن كيف هي سبع أراضين هل المعنى أنها سبعة أقاليم أو سبعة قارات أو ماذا ؟ نقول: هي سبع أراضين طباقا كما أن السماوات سبع طباقا كذلك الأراضون سبع طباق, ويدل لهذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **( طوقه يوم القيامة من سبع أراضين** ) لأنها لو كانت الأقاليم أو القارات لكن الذي يملك قطعة من الأرض هنا لا يملكها في المكان آخر, لكن الذي يملك قطعة هنا له ما يملكه على سطح الأرض وله ما تحته إلى الأرض السابعة, ولهذا قال العلماء: **" الهواء تابع للقرار والأسفل تابع للأعلى "** مثلا أنا لي بيت مساحته عشرة أمتار في عشرة أمتار لي في الجو في السماء عشرة أمتار في عشرة أمتار ما أحد يقدر يطلع رف على ما يقابل أرضي ولو كان بعيدا جدا, وليس للطائرة أن تمر على أرضي, كذا ؟

الطالب: لا,

الشيخ: كيف لا, نعم لو شئنا لمعناها هذه أرضي لف يمين أو يسار, لأن الهواء تابع للقرار لكن مسألة الطائرة قد يقول قائل: إن العرف جرى أنها لا تمنع ولهذا تمر من عند البلد من فوق البيوت, وربما تزعج الناس بأصواتها ولا أحد يمنعها, ولو أن أحدا قال أمنعها من أن تمر من فوق بيتي لعد سفها فالعرف له أحكام, طيب. وقلنا: من ملك الأعلى ملك الأسفل فمثلا قعر الأرض لي أو ليس لي ؟ لي, ولهذا لو أراد الإنسان أن يفتح نفقا تحت أرضي فلي أن أمنعه ؟ نعم, لأن الأسفل تابع للأعلى, المهم على كل حال السماوات كم ؟ سبع والأراضون

سبع.

**(( له ما في السماوات وما فـي الأرض وهـو العلـي ))** علـى خلقه **(( العظيم ))** الكبير, نعم هو العلي العظيم قرن الله بينهما في هـذا وفـي آيـة الكرسـي, العلـي وزنهـا الصـرفي فعيـل, وفعيـل صـفة مشبهة, والصفة المشبهة تقتضي وصف الموصوف بهـا دائمـا, أفهمتـم الآن, إذن العلي وصف لازم لله عز وجـل أزلا وأبـدا لا يمكـن أن يكـون خلاف العلو أبدا, فالعلو إذن صفة ذاتية, من أين أخذت أنها صـفة ذاتيـة ؟ فعيـل صـفة مشـبهة والصـفة المشـبهة تقتضـي الـدوام والاسـتمرار واتصاف المتصف بها دائما, إذا العلو صفة ذاتية لله عـز وجـل لا يمكـن بأي حال من الأحول أن يتصف بضدها.

العلو هل هو علو الصفة التي اتفقت عليه الأمـة الإسـلامية أو هـو علـو الذات الذي أنكره من أنكره ؟ كلاهما, علو الذات وعلو الصفة, أما علو الصفة فإن المسلمين كلهم أجمعوا على ذلك حتى الجهميـة والمعتزلـة والأشعرية والماتريدية وغيرهم كلهم أجمعوا على ثبوت صفة العلو للـه عز وجل, علو الصفة, طيب ولهذا أقول لكم: المعطلـة الـذين ينكـرون الصفات, أتدرون لماذا ؟ قالوا: لأننا ننزه الله لأن ثبـوت هـذه الصـفات يستلزم على زعمهم النقص فينفونها تنزيهـا للـه عـز وجـل, إذن العلـو الذي هو علو الصفة ثابت لله بإجماع الأمة ولا أحد ينكـره, علـو الـذات هذا هو الذي اختلف فيه الناس فانقسموا إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

القسم الأول: من أنكره لكنه جعل الله تعالى في كل مكان يقول: الله ليس مكانه خاصا في العلو بل هو في كـل مكـان, وهـذا رأي الجهميـة الحلولية يصرحون بهذا يقولون: لا يمكن أن يكون الله تعالى عاليا على كل شـيء, بـل هـو فـي كـل شـيء, إن كنـت فـي المسـجد ؟ ... فـي المرحاض ؟ فهو في المرحاض, قاتلهم الله وحاشاه من قـولهم, ولهـم شبهة .

القول الثاني: عكس هـذا تمامـا قـال: لا يجـوز أن نقـول: إن اللـه فـي مكان لا عالي ولا نازل بـل هـو سـبحانه وتعـالى ليـس فـوق العـالم ولا تحته ولا يميـن ولا شـمال ولا متصـل ولا منفصـل ولا مبـاين ولا محايـد وهلم جرا من الأمور السلبية, على عكس الأولين تماما, وإنـي أسـألكم بالله أين يكون الإله إذا كان ينفى عن كل هذا ؟ يكون عدما, ولهذا قال

محمود بن سبكتكين رحمه الله أحد القواد المشهورين وهو يناظر محمد بن فورك أحد المتكلمين لما قال محمد بن فورك: لا داخل العالم ولا خارجه إلى آخره قال له: بين لي ما الفرق بين العدم وبين ربك الذي تصفه بهذه الصفة, وش الجواب ؟ لا فرق.

الثالث يقولون: إن الله تعالى عال بذاته فوق كل شيء ولا يحيط به شيء من مخلوقاته وعلوه لازم لذاته, وهو سبحانه وتعالى بائن من خلقه بمعنى أنه ليس حالا فيهم ولا هم حالون فيه, وهذا مذهب أهل الحق الذي دل عليه القرآن والسنة والعقل والفطرة والإجماع, خمسة أدلة كلها تدل على العلو الذاتي, وهي أيضا متنوعة يعني دلالة القرآن ليس آية واحدة ولا على وجه واحد متنوعة وكذلك في السنة, فالقرآن مملوء من إثبات العلو الذاتي لله مثل قوله: **(( سبح اسم ربك الأعلى ))**، **(( وهو العلي العظيم ))**، **(( وهو القاهر فوق عباده ))**، **(( يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ))**, **(( أأمنتم من في السماء ))** وأدلة لا تحصى؛

من السنة أدلة قولية وفعلية وإقرارية يعني كل أنواع السنة دلت على علو الله الذاتي, أما السنة القولية فها هو النبي صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده: **( سبحان ربي الأعلى )** فيثبت علوه, وأما الإقرارية فإنه سأل الجارية: **( أين الله ؟)** قالت: في السماء فأقرها, وأما الفعلية فكان يخطب الناس يوم عرفة ويقول: **( ألا هل قد بلغت ؟)** فيقولون: نعم فيرفع أصبعه إلى السماء ويقول: **( اللهم اشهد )** يعني على هؤلاء الناس, يشير إلى السماء وهذه دلالة فعلية بالإشارة, وأما الإجماع فالسلف الذي على رأسهم الصحابة مجمعون على أن الله تعالى فوق كل شيء, مجمعون على هذا إجماعا قطعيا, لأنهم كلهم يقولون في سجودهم: سبحان ربي الأعلى ولم ينقل عن واحد منهم أنه قال: أن الله ليس في السماء أبدا, وعدم نقل المخالفة لما في الكتاب والسنة يدل على الإجماع, وهذا طريق واضح في أنه إذا لم يرد عن السلف ما يخالف دلالة القرآن فهم مجمعون على ما دل عليه القرآن, أما دلالة العقل فسل نفسك أيهما أولى رب يوصف بما يدل على العدم, أو رب لا ينزه عن الأماكن القذرة, أو رب عال فوق كل شيء أيهما ؟ الثالث لا شك, ثم إن العلو من حيث هو علو صفة كمال, أليس كذلك ؟ وإذا كان صفة كمال فقد أثبت الله لنفسه

كل صفة كمال كما قال تعالى: **(( ولله المثل الأعلى ))** هذه الدلالة عقلية, بقينا دلالة فطرية أيضا الفطرة دلت على علو الله, الإنسان بفطرته قبل أن يتعلم أين يتصور الله عز وجل ؟ في العلو, ولذلك تجد الإنسان الذي لم يقرأ هذا البحث عامي إذا أراد أن يدعوا الله, أين يروح ؟ إلى السماء, ولهذا قال أبو العلاء الهمداني رحمه الله لإمام الحرمين الجويني وهو يقرر ـ الجويني عفا الله عنه ولعله تاب فتاب الله عليه ـ يقرر إنكار العلو يعني إنكار الاستواء على العرش مع العلو ويقول: **" إن الله تعالى كان ولم يكن شيء قبله وهو الآن على ما كان عليه "** ماذا يريد ؟ أن ينكر الاستواء على العرش والعلو أيضا فقال له أبو العلاء الهمداني رحمه الله: **" يا أستاذ دعنا من ذكر العرش والاستواء على العرش أخبرنا عن هذه الفطرة ما قال عارف قط: يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو "** سبحان الله أليس الأمر كذلك ؟ والعارف يطلق على الصوفي عندهم لكن المراد هنا ما هو أعم, ما قال عارف قط: يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو, جعل يلطم على رأسه حيرني، حيرني, حيرني, ليش ؟ لأنه عجز عن الإجابة, هذه دلالة فطرية لا يمكن لأحد أن ينكرها, فالحمد لله الذي هدانا لهذا.

إذا علو الله عز وجل ينقسم إلى قسمين: علو ذاتي وعلو وصفي, الثاني: لم تختلف الأمة الإسلامية فيه, والأول العلو الذاتي انقسموا فيه إلى ثلاث فرق, والفرقة الناجية جعلني الله وإياكم منهم هم الذين أثبتوا علوه بذاته جل وعلا فوق كل شيء, ما فيه شيء يحاذي الله عز وجل, كل الخلق في قبضته, كل الخلق ليست عنده بشيء, إذا كانت السماوات السبع والأراضون السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض, السماوات السبع على عظمها وسعتها والأرضون السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض, الحلقة حلقة المغفر ضيقة ألقيت في فلاة من الأرض أخبروني ماذا تشغل هذه الحلقة من هذه الفلاة ؟ نعم لا شيء, قال النبي صلى الله عليه وسلم : **( وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحقلة ),** إذا وش يكون الكرسي بالنسبة للعرش لا شيء, والرب عز وجل فوق ذلك, فهو سبحانه وتعالى فوق كل شيء لا شيء يحاذيه كل المخلوقات تحته سبحانه وتعالى وهو فوق كل شيء, إذا أثبتنا هذا العلو أطلنا فيه لأنه مهم, ولأنه يوجد الآن من ينكره

نسأل اللـه العافيـة, ولا شـك أن هـؤلاء قـد أزاغ اللـه قلـوبهم وإلا فلـو رجعوا إلى فطرتهم, الفطرة فقط لعلموا أن الله تعالى فوق كل شيء وأن ذلك من كماله.

وقوله رحمه الله: **" (( العلي )) على خلقه "** لا نستطيع أن نقـول: إن المؤلف أنكر العلو الذاتي, ولا نستطيع أن نقول أنه أثبته قطعا, لأن العلي على خلقه يحتمـل العلـي عليهـم بالسـلطان والسـيطرة فيكـون علوا وصفيا, ويحتمل أنه علا عليهم بذاته, فعلى كل حال لا يجوز لنا أن نرمي المؤلف بأنه أنكر العلو ولا أن نشهد بأنه أثبته, لأن المؤلف رحمه الله من الأشـاعرة فلا نـدري, لكننـا يجـب علينـا إذا سـمعنا كلامـا مـن إخواننا المسلمين يمكـن أن يكـون لـه محمـل صـحيح أن نحملـه علـى المحمل الصحيح ما لم توجد قرينة تمنع ذلك, وإلا فالأصـل إذا سـمعت من أخيك كلمة فاحملها على المعنى الصحيح حتى لو أنك سمعت كلمة وقلت: هذا الرجل يسخر بي أو يستهزأ لا تحملها على هذا احملها علـى المعنى الحق.

وأما **(( العظيم ))** فهو يقول رحمه الله: **" الكبير "** وفـي هـذا نظـر لأن الكبير غير العظيم، العظيم يعني ذو العظمة وعظـة العظيـم يعنـي قوة السلطان قوة العلم قوة أي شيء يحتمل من المعاني فهـو داخـل في كلمة العظيم .

من فوائد قوله تعالى: **(( له ما في السـماوات ومـا فـي الأرض ))** عموم ملك الله سـبحانه وتعـالى لقـوله : **(( ما فـي السـماوات وما في الأرض ))** لأن ما اسم موصول يفيد العموم .

ومن فوائدها: أن ذلك مختص بالله لا يشـاركه فيـه أحـد وذلـك بتقـديم الخـبر, والقاعـدة البلاغيـة أن تقـديم مـا حقـه التـأخير يفيـد الحصـر والاختصاص, فإن قال قائل: يرد على قولكم هـذا أن اللـه تعـالى أثبـت للإنسان الملك فقال: **(( إلا على أزواجهم وما ملكت أيمانهم ))** وقال : **(( أو ما ملكتم مفاتحه ))** وما أشبه ذلك, فالجواب أن ملك الإنسان الشيء ليس ملكا مطلقا ولا ملكا عاما, فهو ليس ملكا مطلقـا إذ أن الإنسان لا يملك أن يتصرف في ماله كما شاء لـو أراد أن يحـرق ماله فهل له ذلك ؟ لا, ليس له ذلك, ولو أراد أن يستعمله فـي الحـرام لم يكن له ذلك, وليس أيضا عاما فملك كل إنسان منا خاص به, أنت لا

تملك مالي وأنا لا أملك مالك, ملك الله عز وجل مطلق عام, فظهر الفرق بين ملك الرب عز وجل وملك المخلوق, وحينئذ لا معارضة, واضح يا جماعة، طيب.

من فوئد الآية الكريمة: إثبات عدد السماوات حيث جاءت بالجمع, وقد بين الله تعالى في موضع آخر أنها سبع سماوات, وأما الأرض فقد جاءت في القرآن مفردة لكن الله أشار إلى أنها جمع في قوله: **(( ومن الأرض مثلهن ))** .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات علو الله عز وجل بقوله: **(( وهو العلي ))**.

ومن فوائدها: أن العلو صفة لازمة ليست من صفات الأفعال التي إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها, وجه الدلالة أن العلي صفة مشبهة والصفة المشبهة تفيد الثبوت وعدم التحول.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: عموم علو الله عز وجل الشامل لعلو الذات وعلو الصفة.

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات عظمة الله سبحانه وتعالى لقوله: **(( العظيم )) .**

ومن فوائدها: إثبات هذين الاسمين لله عز وجل العلي العظيم, واعلم أن كل اسم من أسماء الله فإنه دال على صفة, وليس كل صفة يشتق منها اسم, وحينئذ يتبين أن الصفات أوسع من الأسماء, لأن كل اسم متضمن لصفة, وليس كل صفة يشتق منها اسم, فمثلا من صفات الله تبارك وتعالى المكر بمن يستحق المكر, وهل يجوز أن نشتق من هذه الصفة اسم من أسماءه ؟ لا, لا يجوز لأن باب الصفات أوسع طيب. من صفات الله الصنع **(( صنع الله الذي أتقن كل شيء ))** هل يمكن أن نشتق من ذلك اسما لله هو الصانع ؟ لا, وعلى هذا فقس.

ثم اعلم أن دلالة الصفة على مدلولها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: دلالة تضمن ودلالة مطابقة ودلالة التزام, فدلالة الاسم على جميع معناه يسمى دلالة مطابقة, وعلى جزئه دلالة تضمن, وعلى لازمه دلالة التزام, فأنواع الدلالة ثلاثة: مطابقة وتضمن والتزام, فإن دل اللفظ على جميع معناه فهو مطابقة, وعلى جزئه فهو تضمن, وعلى شيء

خارج لازم دلالة التزام, ونحن نمثل لكـم الآن بالمحسـوس والمعقـول, إذا قلت هذه دار أو هذا بيت دلالته على جميـع مـا أدخـل السـور دلالـة مطابقة, يعني يشمل الحجر وهي الغرف الأسفل ويشمل الغرف الـتي في الدور الثاني والثالث وهلم جرا, نسمي هذه دلالـة مطابقـة, ودلالـة هذا اللفظ على الصالة وعلى المطبخ وعلى المعشـى ومـا أشـبه ذلـك على واحد منها دلالة تضمن, لأنه يدل على جزء المعنـى, ودلالتـه علـى بان بناه دلالة التزام, لأنه لا يمكن أن يوجد بيت إلا ببان, هذا مثال فــي المحسود واضح.

أنا الآن معـي هـذا القلـم دلالتـه علـى غطـاه وعلـى أصـله ؟ مطابقـة. ودلالته على واحد منهـا ؟ تضـمن ودلالتـه علـى أن هنـاك مـن صـنعه ؟ دلالة التزام. هذه الدلالة نـأتي عـل أسـماء اللـه عـز وجـل نقـول: مـن أسماء الله تعالى الخالق البـارئ المصـور, الخـالق دلالتـه علـى الـذات الإلهية وعلى الصفة التي هي الخلق جميعا دلالة مطابقة, ودلالته علــى الذات وحدها أو على الخلق وحـده دلالـة تضـمن, ودلالتـه علـى العلـم والقدرة ـ لأنه ما من خالق إلا وهو عالم وما من خالق إلا وهـو قـادر ـ هذه دلالة التزام, أما النوعان الأولان دلالـة المطابقـة والتضـمن هـذا لا يشكل على أحد, كل طالب علم يمكن أن يعـرف, وأمـا دلالـة الالـتزام فهي التي تخفى علـى كـثير مـن النـاس, ولـذلك يختلـف فيهـا العلمـاء اختلافا كثيرا.

وهنا نسـأل هـل دلالـة الـتزام لازمـة فـي كـل قـول أو فيمـا قـال اللـه ورسـوله ؟ الجـواب: الثـاني, لأن دلالـة الالـتزام قـد ينكرهـا مـن تكلـم بالكلام فمثلا نقول: الجهمية يقولون: إن الله فـي كـل مكـان مـن لازم قولهم أن يكون في الحشوش والأماكن القذرة هم لا يلتزمون بهذا, لو التزموا بهذا لكفـروا علـى طـول, ولا أحـد يشـك فـي كفرهـم, لكـن لا يلـتزمون بهـذا, ولـذلك عـبر العلمـاء عـن هـذه المسـألة: **"هل لازم القول قول أو لا "** نقول: أما قول الله ورسوله فلازمهما حق ومــن قول الله ورسوله, وأما غيرهما فلا, لأنه يحتمل إذا ألزمناه به ألا يلتزم, ويحتمل إذا ألزمناه به أن يدع قوله لئلا يلـزم منـه هـذا اللازم الباطـل, ويحتمل أنه حين تكلم لم يطـرأ علـى بـاله هـذا اللازم, علـى كـل حـال بارك الله فيكم نحن نقول: أهم شيء عندي ـ هذا ظهرت مني انسـيابا وإلا فيها صعوبة عليكم ـ لكن إني أقـول الآن: أسـماء اللـه تعـالى تـدل

على الذات العلية, على ذات الله وعلى الوصف الذي تضمنه هذا الاسم فالعلي يدل على الرب عز وجل وعلى صفة العلو, العظيم كذلك يدل على الرب وعلى صفة العظيمة.

السائل: ...

الشيخ: الاسم والصفة, هذا لابد من كل اسم؛ الأثر يعني الذي يترتب على هذا ... يكون مقتضى الاسم, السائل: ...

الشيخ: لا, ما هو بكل اسم, عندنا الحي ما فيه أثر, الحي وصف لازم لذاته ما يتعدى, لكن إذا قلت: البصير السميع هذا يتعدى, يتعدى إلى المسموع في السميع وإلى المبصر في البصير, فالضابط أن الذي لابد فيه من الأثر هو الاسم المتعدي نعم.

السائل: ...

الشيخ: لا هذا داخل في قولنا علو الصفة, إذا قلنا علو الصفة شمل علو القدر وعلو القهر وجميع أنواع العلو, يعني هذا أعم, وإلا بعض العلماء يقول: أنه ثلاثة أقسام: علو الذات وعلو القدر وعلو القهر لكن إذا قلنا: علو الذات وعلو الصفة صار أشمل وأعم؛

الظاهر والله أعلم أن الأرض التي ينتفع بها الخلق ويكون لهم فيها مصلحة, والمراد الإنس هي أرض واحدة, هذا الظاهر والله أعلم

السائل: ...

الشيخ: أي نعم, أحسنت هذا إشكال جيد, يقول: إذا قلنا الهواء تابع للقرار والأسفل تابع للأعلى, يوجد مساجد الآن أعلاها مسجد وأسفلها دكاكين, هذه أصل وضع الإنسان لها أنه وضع هذه دكاكين وهذه مسجد, كما أنه يوجد الآن بعض العمارات يكون أسفلها مملوك لزيد, والذي فوقه لعمرو, والذي فوقه لخالد, موجودة هذه, لكن إذا كان أرض الذي تحتها ما مالكها واحد فهي له, لأن العمارات هذه على حسب ما صرفها مالكها, يجعل الجهة هذه مسجد صارت مسجد, وإذا جعل هذه مساكن صارت مساكن, ... لا, أحيانا تكون أرضا وأحيانا تكون سطحا ... ما يجوز, يعني لو كان هذا مسجد مثل المسجد الذي نحن فيه الآن, لو أراد أحد يعمر فوقه شيئا لقلنا: لا, ما يجوز.

السائل: هذا يسأل يقول: إذا كان الرجل مبتدعا وأتى بكلام يحتمل أنه على مذهب السلف أو على مذهب الخلف, فهل نحمله على أنه على مذهب السلف ؟

الشيخ: نحن ذكرنا قبل قليل: أنه ما لم يوجد قرينة, فإن وجد قرينة ما نحمله على المعنى الصحيح, نحمله على ما نعلم من حال الرجل, ولهذا يقول بعضهم ـ أظنه البلقيني ـ يقول: **" استخرجت اعتزاليات الكشاف بالمناقيش "** الكشاف تفسير للزمخشري, تفسير جيد في الواقع من حيث اللغة ومن حيث المعنى جيد, ويتكلم أحيانا على أمور الفقهيات, وكل من بعده رأيناه يستسق منه فيما يتعلق بالبلاغة والإعراب مثل أبي السعود وغيره, لكنه معتزلي بحت, ويذم أهل السنة, ويسميهم الحشوية, تجد في كلامه أشياء تقول هذه جيدة, هذا كلام من أحسن ما يكون, كما في قول الله تعالى: **(( فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ))** قال: **" أي فوز أعظم من أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة "** كلام إذا سمعته ماذا تقول: هذا كلام طيب, هذا فيه فوز أعظم من هذا, لكنه يشير إلى نفي رؤية الله, لأنه من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى جعل رؤيته زيادة على نعيم الآخرة: **(( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ))** هو يقول: أي فوز أعظم من أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة, الجواب من كل واحد سيقول: لا شيء, لا فوز أعظم من هذا, لكن هو يشير إلى إنكار رؤية الله عز وجل, من يدري هذا لولا أننا عرفنا من مذهب الرجل أنه معتزلي ينكر رؤية الله عز وجل لكنا نقول: لا يجوز أن نتهمه, لأن من دخل الجنة فسوف يرى الله عز وجل.

القـارئ: **(( تَكَـادُ السَّـمَوَاتُ يَتَفَطَّـرْنَ مِـنْ فَـوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَـةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِـي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّـهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ))**[الشورى:5].

الشيخ: **(( تكاد السماوات ينفطرن منه ))** قال : **(( تكاد ))** يقـول الشـارح أو المفسـر : بالتـاء والياء تكـاد ويكـاد, أمـا تكـاد فمطابقتهـا لمرفوعها ظاهر لأن السماوات جمع, وكما قال الزمخشـري : كـل جمـع مؤنث؛ إذا تكاد مطابقتها لمرفوعهـا ظـاهرة, يكـاد للمـذكر والسـماوات مؤنث, فما هو الجواب ؟ الجواب: الجمـع المـؤنث إذا كـان مجازيـا جـاز تذكيره وتأنيثه أي تـذكير فعلـه وتـأنيثه, تقـول : طلـع الشـمس وطلعـت الشمس, يجوز هذا وهذا لأنه مجازي, أما إذا كـان حقيقيـا وهـو الـذي لـه فرج من بين آدم أو غيره فإنه يجب تأنيثه عـامله فتقـول : قـامت امـرأة وإلا قـام امـرأة ؟ قـامت امـرأة ولا غيـر, السـماوات مـن المجـازي أو الحقيقي ؟ المجازي, ولهذا جاء فيهـا قراءتـان **(( تكـاد السـماوات ))** ومعنى تكاد تقرب فهي من أفعال المقاربة.

**(( تكاد السماوات ))** يعني السبع **(( ينفطرن ))** بالنون وفي قراءة بالتاء والتشديد, سبعية أو غير سبعية ؟ سبعية لأن قاعدة المفسر رحمـه الله أنه إذا قال : في قراءة أو قال: بالتاء والياء أو قال: بالمد وحـذفه أن القـراءة سـبعية, إذا لـك أن تقـرأ ينفطـرن ويتفطـرن والانفطـار بمعنـى الانشـقاق, قـال اللـه تعـالى : **(( إذا السـماء انفطـرت ))** وقـوله : **(( من فوقهن ))**لم يقل مـن أسـفل لأن اللـه سـبحانه وتعـالى فـوق, والسموات تكاد يتفطرن من فـوقهن, قـال الشـارح رحمـه اللـه : **" أي تنشق كل واحدة فوق التي تليها من عظمـة اللـه عـز وجـل "** ولولا أن الله أمسكها لتفطرت كما أنه جل وعلا لمـا تجلـى للجبـل جعلـه دكا, فالسماوات على عظمها وقوتها وشدتها تكـاد تنفطـرن مـن عظمـة الله جل وعلا سبحانه وبحمده.

قال : **(( والملائكة يسبحون بحمد ربهم ))** شـف العظمـة, عظمـة تكاد السماوات تتفطرن منها, عظمـة أخـرى بجنـوده جـل وعلا الملائكـة يسبحون بحمد ربهم, من الملائكـة ؟ الملائكـة نقـول : إنهـم عـالم غيـبي خلقهـم اللـه تعـالى مـن نـور وسـخرهم لعبـادته: **(( يسبحون الليـل والنهار لا يفطرون ))** فهم عالم غيبي لا يشاهدون, وهم خلقـوا مـن نور سخرهم الله لعبادته, يسبحون الليل والنهـار لا يفطـرون قـال النـبي صلى الله عليه وسلم : **( أطت السماء وحق لهـا أن تئـط مـا مـن**

**موضع أربع أصابع منها إلا وفيه ملك قائم لله أو راكع أو ساجد** ) أطت يعني صار لها صرير كصرير الرحل المحمل, لعلكم أدركتم الرحل المحمل ! الرحل على البعير إذا ثقل الحمل صار له صرير مع حركة السير, السماء لها هذا من كثيرة من عليها من الملائكة, ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : **(حق لها أن تئط )** إذا الملائكة تفسيرهم عالم غيبي خلقهم الله تعالى من نور كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم, وسخرهم لعبادته يسبحون الليل والنهار لا يفترون إذا أمرهم الله بشيء: **(( لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون ))** ضدهم الشياطين, الشياطين عالم غيبي خلقوا من نار, عصاة لله مستكبرون عن عبادته, وأبوهم الشيطان الأكبر إبليس فإذا قال قائل : أنتم قلتم إنهم عالم غيبي أليس إبليس قد شاهده النبي صلى الله عليه وسلم على خلقته وله ستمائة جناح قد سد الأفق ؟ فالجواب: بلى, لكن هذا لا ينافي أن يكونوا عالما غيبيا في الأصل, قد يظهرهم الله سبحانه وتعالى فيراهم الناس, وقد يتشكلون أيضا يكون الملك بصورة الآدمي كما جاء جبريل مرة بصورة رجل غريب لكنه لا يرى عليه أثر السفر, وجاء مرة بصورة دحية الكلبي, فهو قد يتشكلون بصورة الآدمي, هذا التشكل هل هو بإرادتهم أو من الله عز وجل ؟ السؤال عن هذا بدعة, يعني هل لنا مصلحة أن نعرف أن جبريل يحول نفسه إلى صورة آدمي أو أن الله يقلبه إلى صورة آدمي ؟ ما لنا مصلحة, لكن نعلم أنه لم يقع ذلك إلا بإرادة الله سواء كان بفعل اختياري من جبريل أو بفعل خلقي من الله عز وجل, نحن ليس لنا حق أن نسأل عن ذلك, كل أمور الغيب لا تسأل عنها, أجرها على ما جاءت, لأنه سبقك من هو أحرص منك على العلم, وأقوى منك إيمانا, وباشر من يستطيع الجواب والرد, وهم الصحابة ومع ذلك ما سئلوا, إذا لم يسعك ما وسع الصحابة فلا وسع الله عليك, ولهذا يجب أن نقول لبعض الشباب الآن الذين يبحدثون في أسماء الله وصفاته ويتعمقون يجب أن ننهاهم ونقول : اتقوا الله آمنوا بالقرآن والسنة على ما جاء في الكتاب والسنة ولا تبحثوا, سبقكم من هو خير منكم وأحرص على العلم ما سألوا, ثم هم إذا سألوا يسألون من ؟ الرسول الذي قد ينزل عليه الوحي ويخبره الله عز وجل بما سألوا عنه, أما تسأل إنسان يخطئ ويصيب وأنت وهو سواء في علم الغيب فهذا من الغلط والسفه ومن مخالفة جادة السلف, وما أحسن ما قال مالك رحمه الله للذي سأله عن كيفية الاستواء قال: **" الاستواء**

**معلوم والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتـدع "** فنصـيحتي لكـم إذا أردتم السلامة أن تدعوا السؤال عن الأمور الغيبية, اتركـوه, وإلا هـذا يرجع للإنسان يعني قصـدي هـل الملـك يسـتطيع أن ينقلـب إلـى صـورة آدمي أو أن هذا بأمر الله عز وجـل ؟ بمعنـى أنـه مـا يسـتطيع لكـن اللـه يقلبه, نقول يرد هذا السؤال ولكن ما هو الطريـق السـليم فـي الجـواب عليه ؟ أن نقول : السؤال عن هذا بدعة في دين الله ما سأل عنه من هو خير منك دعه.

طيب الملائكة هل هم أجسام ؟ الجواب: نعم لا شك قال الله تعالى : **(( جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ))** وأما من قال : إن الملائكة كناية عن قوى الخير والشياطين كناية عن قوى الشـر فهذا يعني إنكار الملائكة والشـياطين, بـل نقـول : الملائكـة أجسـام ذوو أجنحة, الشياطين أجسام تأكل وتشرب ؟ نعم تأكل وتشـرب, قـال اللـه تعالى : **(( أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فـي الأمـوال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشـيطان إلا غـرورا ))** أعاذنـا اللـه وإيـاكم مـن الشـيطان, المهـم أننـا نـؤمن بـأن الملائكـة أجسـام وأن الشياطين أجسام, لكن هل نعرف كيفيتهم ؟ لا نعرف إلا مـا علمنـا اللـه, مـا علمنـا اللـه نعرفـه ومـا لا فلا نعرفـه لأنهـم عـالم غيـبي, قـال : **" (( والملائكـة يسـبحون بحمـد ربهـم )) أي ملابسـين للحمـد "** أفادنـا المؤلـف بقـوله : أي ملابسـين للحمـد أن البـاء هنـا للملابسـة والمصاحبة, ومعنـى يسـبح أي ينـزه, ومعنـى بحمـد أي تسـبيحا مصـبوبا بالحمد, لأن التسبيح تنزيه وتخلية, والحمد بالعكس إثبـات, فيجتمـع فـي هذا إذا قلت : سبحان الله وبحمده يجتمـع فـي هـذا تنزيـه اللـه عـن كـل نقص وإثبات كل كمال له, مـن أيـن أخـذنا إثبـات الكمـال ؟ مـن الحمـد, والتنزيه من التسبيح, **(( يسبحون بحمـد ربهـم ))** ورب هنـا بمعنـى: خالق مالك مدبر, **(( يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فـي الأرض ))** المفعـول محـذوف للعلـم بـه, مـن هـو المسـتغفر ؟ اللـه, ويستغفرون الله, والاستغفار طلـب المغفـرة, لأن اسـتفعل تـأتي دائمـا وغالبا بمعنى الطلب, تقـول: استسـقى بمعنـى طلـب السـقيا, اسـتغفر بمعنى طلب المغفرة, استرحم بمعنى طلـب الرحمـة, ومـا أشـبه ذلـك, وقد تأتي لغير ذلك كما في قولك: استكبر, ما فيها طلـب اسـتكبار لكنـه بلغ في الكبر غايته, طيب يستغفرون أي يطلبون المغفرة من اللـه, فمـا هي المغفرة ؟ المغفرة قـالوا إنهـا مشـتقة مـن المغفـر, المغفـر شـيء

يجعله المقاتل على رأسه يغطي الرأس ويقيه السهام, ففيه ستر ووقاية, فإذا قلت : أستغفر الله أو رب اغفر لي فأنت تطلب شيئين:
الشيء الأول الستر ,ستر عيوبك عن الناس, لو علم الناس ما عندك من الذنوب ما ردوا عليك السلام كما قال القحطاني رحمه الله : **والله لو علموا خبيئ سريرتي لأبى السلام علي من يلقاني**
فأنت تسأل الله أن يستر عليك؛ الثاني تسأل الله الوقاية من الذنب, وقاية إيش ؟ العذاب, كل مذنب مستحق للعقاب, إذا لو قال الإنسان المغفرة: عدم المؤاخذة على الذنب, فيقال : هذا بعض معناها، معناها ستر الذنب وعدم المؤاخذة عليه, وقوله: **(( لمن في الأرض ))** من هنا اسم موصول يفيد العموم, فهل هو عام ؟ لا, هذا عام يراد به الخاص بدليل قوله تعالى في آية أخرى : **(( يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذي تابوا واتبعوا سبيلك ))** إذا من هنا عام يراد به الخصوص, طيب لو قال قائل : إنه عام خصص قلنا لا, لأنه لم يرد للعموم من الأصل إنما أريد الخصوص, الذين آمنوا, **(( يستغفرون لمن في الأرض ))** ولهذا قال المؤلف : **" من المؤمنين ".**
**(( ألا إن الله هو الغفور الرحيم ))** ألا أداة استفتاح يبتدئ بها الجملة, وتفيد شيئين: الأول: التنبيه, والثاني: التوكيد, وننظر إن الله: إن حرف توكيد, هو: ضمير فصل, وضمير الفصل يفيد التوكيد, وحينئذ يحق لنا أن نقول : إن هذه الجملة أكدت بثلاثة مؤكدات: ألا, وإن, وهو الذي هو ضمير الفصل **(( ألا إن الله هو الغفور الرحيم ))** ولذلك طلبت الملائكة منه المغفرة لأنه سبحانه وتعالى أهل لذلك كما قال : **(( هو أهل التقوى وأهل المغفرة ))** **(( ألا إن الله هو الغفور الرحيم ))** فبمغفرتي تزول المكروهات وبرحمتي تحصل المحبوبات, غفر الله لنا ولكم.
قال الله تبارك وتعالى : **(( تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن ))** إلى آخره في هذه الآية الكريمة بيان عظمة الله عز وجل وأن هذه السماوات على شدتها وقوتها تكاد تتفطر من عظمة الله, وهذا كقوله لما سأل موسى أن يرى ربه قال: **(( لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ))** بل إن كلام الله عز وجل ـ وهو كلامه

ـ لو نزل على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله, ففي هذه الآيـة بيان عظمة الله عز وجل.
وفيها من فوائدها أيضا بيان علو اللـه عـز وجـل الـذاتي لقـوله : **(( من فوقهن )) .**
ومن فوائدها : إثبات الملائكة لقوله : **(( والملائكـة يسـبحون بحمـد ربهم ))** ويجب علينا أن نؤمن بالملائكة على أنهم عالم غيـبي وأن لهـم أجسادا وأن لهم أجنحة كما قال الله تبارك وتعالى .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة : كمال عبادة الملائكة لله عز وجل لقـوله : **(( يسبحون بحمد ربهم ))** فيجمعون له بين التنزيه والتمجيد, التنزيه في قوله : **(( يسبحون ))** التمجيد في قوله : **(( بحمد ربهم )) .**
ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن الملائكة أفضل من بنـي آدم, لأن بنـي آدم ليست حالهم هذه أي التسـبيح بحمـد اللـه بـل منهـم مـؤمن ومنهـم كافر, فيكون الملائكة أفضل من بني آدم, وهذا هو أحد الأقوال في هـذه المسألة, ومن العلماء من يقول : بـل صـالحوا البشـر أفضـل, يعنـي أن المؤمنين من البشـر أفضـل مـن المـؤمنين مـن الملائكـة, ولهـذا كـانت الملائكة مسخرة لهم, وهذا القول هو الذي نص عليـه الإمـام أحمـد : أن صالحي البشر أفضل من الملائكـة, لأن الملائكـة خلقـوا للعبـادة فليـس عندهم صوارف تصرفهم عن عبادة الله, والبشر خلقوا للعبـادة ولا شـك لكن هناك صوارف تصرفهم وهي الشبهات والشهوات, ومن المعلوم أن تحقيق الإيمان مع الصوارف أشد معاناة ومجاهدة من تحقيق الإيمان مع عدم الصوارف, ولهذا كان الرجل المتمسك بدين اللـه فـي أخـر الزمـان أفضل من خمسين من الصحابة كما قال النبي صلى الله عليه وسـلم : **( للعامل فيهن أجر خمسين منكم )** وإنما كان كذلك لمشقة العبـادة على هذا الذي بين أمة فاسدة, واختار شيخ الإسلام رحمه اللـه التفصـيل في ذلك فقال : **" الملائكة أفضل باعتبار البداية والبشر أفضـل باعتبار كمال النهاية "** لأن البشر في النهاية يدخلون الجنة والملائكة يدخلون عليهـم مـن كـل بـاب: سـلام عليكـم بمـا صـبرتم, كأنمـا خلقـوا لتهنئتهم وتطمينهـم, فيكـون فـي هـذا تفصـيل: الملائكـة أفضـل باعتبـار البداية لأنهم خلقوا من نور وبنو آدم من طين, ولأنهم في عبادة اللـه عـز وجل, لكنهم باعتبار النهاية البشر أفضل, وبعد هذا فإن الخوض في ذلـك ليس من الأمور المهمة لأننا قد نقول: ما علمنـا مـن فضـائلهم وفضـائل البشر نؤمن به, وأما التفضيل عند الله فهم درجات عند الله واللـه بصـير

بما يعملون, لا ندري, باعتبار ما يظهر لنا نعطي كـل إنسـان مـا تميـز بـه وباعتبار ما عند الله، الله عليم به, ولسنا مؤاخـذين فيمـا إذا توقفنـا فـي هذا الأمر .

ومـن فوائـد هـذه الآيـة : فضـيلة الجمـع بيـن التسـبيح والتحميـد لقـوله: **(( يسبحون بحمد ربهم ))** وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسـلم قوله : **( كلمتان حبيتان إلى الرحمـن خفيفتـان علـى اللسـان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم )** فما أجدرنا أن تكون هاتان الكلمتان على ألسنتنا دائما لأنهما: خفيفتان على اللسان, ما فيه تعب, حبيبتان إلى الرحمـن, ثقيلتـان فـي الميـزان, فماذا علينا لو كان الإنسان يديم هذا: القول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم, وهو يشتغل وهـو يعمـل وهـو يمشـي وهـو مضـطجع, وهـو قاعد, لحصلنا خيرا كثيرا, ولوصلنا بإذن الله عز وجل إلى محبة اللـه لنـا, لأن ما دمنا نأتي ونلازم ما يحبه فهو أكرم منا عز وجل .

ومن فوائد هذه الآيات الكريمة : أن الملائكة مربوبون ليس لهم حق مـن الربوبيـة لقـوله : **(( بحمد ربهـم ))** وعلـى هـذا فمـن دعـا جبريـل أو ميكائيل أو إسرافيل أو مالك أو غير ذلك فإنه كافر مشـرك بـالله, ولهـذا أهل النار لم يقولوا:, يا مالك أخرجنا من النار ولكنهم قالوا كما قال اللـه عنهم : **(( ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم مـاكثون ))** وقال تعالى : **(( وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُـوا رَبَّكُـمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ))**[غافر:49] انظر إلى الحيـاء والخجـل والعياذ بالله لم يقولوا : ادعوا ربنا بل قـالوا: **(( ادعـوا ربكـم يخفـف عنا يوما من العذاب ))** لأنهم أحقر في أنفسهم من أن يدعوا الله عـز وجل فيقولون : ياربنا خفف عنا يوما من العذاب .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : فضل الملائكة على البشر بمعنى أن لهـم منة ونعمة لقوله : **(( ويستغفرون لمن فـي الأرض ))** ولا شـك أن من استغفر لك فله عليك منة وفضل .

ومن فوائدها : نعمة الله علينا بأن سخر لنا الملائكة يسـتغفرون لنـا, لأن الملائكة لولا أن الله سخرهم لنا ما استغفروا لنا لكن الله سخرهم, ففيه فضل ونعمة من الله سبحانه وتعـالى علـى المـؤمنين حيـث أن الملائكـة يستغفرون لهم .

ومن فوائد الآية الكريمة : التوكيد على أن الله سبحانه وتعالى غفور رحيم, بكم مؤكدات ؟ بثلاث مؤكدات: **(( ألا إن الله هو الغفور الرحيم )).**

ومن فوائدها : إثبات ثلاثة أسماء من أسماء الله وهي الله الغفور الرحيم, وهل أسماء الله تعالى مشتقة ؟ الجواب نعم مشتقة بلا شك, الله من الإلوهية, الغفور من المغفرة, الرحيم من الرحمة, فهو لم يسمى بهذه الأسماء إلا وهو متصف بما دلت عليه من صفات, ولهذا نقول : كل اسم من أسماء الله فهو متضمن لصفة أو صفتين أو أكثر حسب ما تدل عليه هذه الأسماء من المطابقة والتضمن والالتزام .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أننا إذا علمنا أن الله غفور رحيم فجدير بنا أنه نسأله المغفرة والرحمة لأنه أهل لذلك, فيكون في هذا تربية للإنسان وسلوكه في وصوله إلى الله عز وجل أن يعلم بأنه غفور فيستغفر, وأنه رحيم فيسترحم .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن فيها حثا للإنسان على ترك الذنوب وعلى فعل الطاعات, وجه ذلك أن المغفرة تحتاج إلى عمل صالح إلى توبة يغفر الله بها الذنب, والرحمة تحتاج إلى طاعات يتوصل بها الإنسان إلى رحمة الله عز وجل .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : بيان الحكمة في حكم الله الكوني القدري لأن قوله: **(( إلا إن الله هو الغفور الرحيم ))** كالتعليل لقوله: **(( ويستغفرون لمن في الأرض ))** كأن قائل يقول: لماذا يستغفرون لمن في الأرض ؟ قال: لأن الله هو الغفور الرحيم .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الأسماء الحسنى تكون كاملة بانفرادها واجتماعها, لأنه لما جمع بن الغفور والرحيم تولد منهما صفة ثالثة غير المغفرة والرحمة, وهي اجتماع هذين الاسمين الدالين على الوصف في حق الله عز وجل, فبالمغفرة تمحوا الذنوب وفي الرحمة يحصل المطلوب .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فيما سبق ذكر المؤلف قراءتين في قوله : **(( تكاد السماوات ))** ؟

الطالب: تكاد ويكاد .

الشيخ: طيب **(( تكاد السماوات ))** مؤنث ولا إشكال فيه لكن يكاد كيف جاء مذكرا والسماوات جمع ؟

الطالب: مجازي التأنيث.

الشيخ: نعم, ومجازي التأنيث يجوز تذكير فعله وتأنيثه بارك الله فيك.
الشيخ: طيب, ذكر في الآية: **(( تكاد السماوات ))** ذكر قراءتين في **(( يتفطرن ))** ؟ ينفطرن ويتفطرن.
طيب قوله : **(( من فوقهن ))** لماذا تكاد تتفطر ؟ من عظمة الله؛ هل هذا يفيد علو الله ؟
الطالب: نعم.
الشيخ: يفيد علو الله .
الشيخ: قوله تعالى : **(( يستغفرون لمن في الأرض ))** ماذا تقول ؟ هل هي على عمومها أماذا ؟
الطالب: الإنسان فقط .
الشيخ: الإنسان فقط يعني وأما الذئاب والسباع فلا يغفر له !
الطالب: خاصة بالمؤمنين.
الشيخ: ما هو الدليل على خصوصها بالمؤمنين ؟ في آية أخرى: **(( ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ))**
الشيخ: طيب ماذا يسمى هذا النوع من العموم ؟ العام الذي أريد به الخصوص.
الشيخ: هل تستطيع أن تأتي لنا بمثال واضح ؟ قوله تعالى : **(( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ))** ما المراد بالناس في الموضعين ؟
الطالب: أبو سفيان وأصحابه.
الشيخ: والأولى يراد بها من أخبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو نعيم ابن مسعود الثقفي أو غيره, المهم من أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.
الشيخ: ما الفرق بين العام الذي أريد به الخصوص وبين العام المخصوص ؟
الطالب: العام الذي أريد به الخصوص هو من أصله مخصوص, بخلاف العام الذي خص فإنه يكون عاما في الأول ثم يرد عليه التخصيص.
الشيخ: أحسنت, العام الذي أريد به الخصوص لم يكن العموم مراد به من أول, إنما يراد به شيء خاص, وأما العام المخصوص فهذا عام أريد به عمومه ثم أخرج منه بعض الأفراد فخصص, واضح,

دليل العام الذي أريد به الخصوص عقلي, بمعنى أنه لا يمكن أن يراد به العموم.
الشيخ: ثم قال الله تعالى .
القارئ: **(( وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ))**[الشورى:6] .
الشيخ: **(( والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم ))** أولا في الإعراب: الذين اتخذوا: مبتدأ, أولياء: مفعول ثاني لاتخذوا لأن التقدير: اتخذوا الأصنام أولياء, الله: مبتدأ **(( الله حفيظ عليهم ))** وحفيظ: خبره, والجملة من المبتدأ والخير في محل رفع خبر المبتدأ الأول, أين المبتدأ الأول ؟ الذين. فإن قال قائل : المعروف عند النحويين أن الجملة الواقعة خبرا لابد أن تتضمن ضميرا يعود على المبتدأ حتى يعرف اتصالها به, قلنا : هنا حل الظاهر محل الضمير وهو قوله : **(( الله حفيظ عليهم ))** يعني الذين اتخذوا من دونه أولياء هو حفيظ عليهم يعني الله, ويجوز أن يكون الرابط هو قول : **(( عليهم ))** أي الضمير, المهم يقول الله عز وجل : **(( الذين اتخذوا من دونه أولياء ))** اتخذوا من ؟ اتخذوا الأصنام, ولهذا قال المؤلف : **" أي الأصنام "** وهذا التقدير لبيان المفعول الثاني, كأنه يقول : المفعول الثاني محذوف تقديره الأصنام؛ أولياء: جمع ولي, أي أنهم يتولون هذه الأصنام يعبدونها يذبحون لها ينذرون لها وهم عن الله غافلون.
**" (( الله حفيظ )) محص (( عليهم )) ليجازيهم "** تفسير الحفيظ بالمحصي تفسير باللازم, ولكن المراد بالحفيظ أي حافظ أعمالهم رقيب عليهم لا يفوته شيء من أعمالهم, **(( الله حفيظ عليهم ))** وإذا كان حافظا لهم مراقبا لهم فلابد أن يحصي عليهم أعمالهم ويجازيهم عليها.
**" (( وما أنت عليهم بوكيل )) تحصل المطلوب منهم ما عليك إلا البلاغ "** وما أنت عليهم الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام, بوكيل أي بحفيظ, فالآية واضحة, كأن الله يقول : أنا الحفيظ عليهم أما أنت فلست بحفيظ, ما الذي على الرسول ؟ إن عليك إلا البلاغ, ليس عليه إلا أن يبلغ, أما أن يهدي أحدا أو يحصي أعمال أحد فهذا ليس إليه إنما هو إلى الله عز وجل حتى إن الله قال له في آل عمران : (( **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ))** وما أنت عليهم بوكيل إلى آخره

في هذه الآية بيان سفه أولئك المتخذين أولياء من دون الله, وجه السفه قوله : **(( من دونه أولياء ))** يعني كأنهم غفلوا عن الله عز وجل نهائيا واتخذوا هذه الأصنام أولياء .

ومن فوائدها : وعيد من اتخذ من دون الله أولياء لقوله : **(( الله حفيظ عليهم ))** هذا التهديد, كما يقول القائل للإنسان : اذهب وأنا معك, أنا ورائك, أنا أحصي عليك, طيب .

ومن فوائد هذه الآية : بيان عموم علم الله عز وجل لقوله : **(( الله حفيظ عليهم ))** لأن قوله : **(( حفيظ عليهم ))** يشمل جميع ما يقومون به من عمل وهذا يدل على سعة علم الله سبحانه وتعالى واطلاعه .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر لا يعلم الغيب ولا يحصي أعمال العباد لقوله: **(( وما أنت عليهم بوكيل )).**

ومن فوائدها : أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد الدعاة وإمام الدعاة لا يلزمه إلا أن يبلغ لقوله: **(( وما أنت عليهم بوكيل ))** وهذه الآية لها شواهد لفظية ومعنوية قال الله تبارك وتعالى : **(( أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ))** يعني ما تستطيع, وإذا كان سيد الدعاة وإمامهم لا يملك أن يهديهم فما بالك بمن سواه طيب .

من فوائد هذه الآية : تسلية الدعاة إلى الله إذا لم يطعهم الناس, أكثر الناس يعني الدعاة إذا لم يطعهم الناس تتفطر قلوبهم وتنحل أجسامهم, نقول: يا أخي رويدك, من الذي منعهم ألا يطيعوك ؟ من الذي منعهم أن يطيعوك ؟ نقول : هو الله عز وجل, أنا قلت: من الذي منعهم ألا يطيعوك ؟ ثم قلت: أن يطيعوك ؟ وكلا العبارتين صحيح, قال الله تعالى : **(( ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ))** وقال : **(( ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ))** فكلا التعبيرين صحيح؛ على كل حال نقول لهذا الداعي الحريص على هداية الناس لا تحزن عليهم, لا تكن في ضيق مما يمكرون, لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين, أنت عليك ما عليك وهو البلاغ, والهداية بيد الله عز وجل, ولو شاء الله لاهتدوا, فإذا كان هذا واقعا بمشيئة الله فإن الإنسان يطمئن, لكن إذا تقطع قلبه حسرة اشتغل بعيوب الناس عن عيوبه, ولهذا تجد الداعية الذي هذا وصفه تجده دائما مشغول بأحوال الناس وينسى نفسه, لو فتشت ما فتشت لرأيته في العابدة مقصرا, وإذا جاء للعبادة وحضر فقلبه في واد, وهذا غلط,

أنت مأمور قبل كل شيء بإصلاح نفسك, مأمور أيضا بالرضا بقضاء ربك, قضى الله عز وجل ألا يهتدي هؤلاء, الأمر أمره والعباد عباده, صحيح أن الإنسان يحزن لكن لا ينبغي أن يصل إلى درجة يغفل بها عن نفسه, كما هو شأن بعض الدعاة, والإنسان إذا كان هكذا فثق أنه سيكون متزنا في الدعوة إلى الله, وإلا يكن فسيكون متهورا, ويأتي بما لا تحمد عقباه, لذلك كن داعيا إلى الله عز وجل كما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من فوائد هذه الآية الكريمة : أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بشر ليس له من الأمر شيء لقوله : **(( الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل ))** فالرسول عليه الصلاة والسلام بشر لا يستطيع أن يهدي أحدا ولا أن يحصي أعمال أحد, لو استطاع أن يهدي أحدا لهدى عمه أبا طالب الذي كان له من الفضل على الدعوة الإسلامية ما هو معلوم, لكنه لم ينفعه إلا في شيء واحد ـ هو حقيقة لم يفده شيئا ـ أنه شفع له عند الله فخفف عنه العذاب, فكان في ضحضاح من نار عليه نعلان يغلي منهما دماغه, ومع هذا يرى أنه أشد الناس عذابا, لأنه لو رأى أنه أخف الناس عذابا لهان عليه الأمر وتسلى بغيره, لكنه يرى أنه أشد الناس عذابا, نسأل الله العافية, وقد أشار الله إلى أن الإشتراك في العذاب يخفف في قوله تعالى : **(( ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ))** في الدنيا ينفع الإنسان إذا شاركه غيره لكن في الآخرة لا ينفع.

السائل: ...

الشيخ: كما قلت لك: أمور الغيب أي إنسان يسأل عن شيء لم يسأل عنه الصحابة فهو بدعة, هذا هو الضابط لاسيما فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته, حتى أحوال اليوم الآخر من أمور الغيب عليك أن تصدق بما سمعت فقط لكن البحث فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته أشد وأعظم .

السائل: ...

الشيخ: لا كل هذا بحث ما له داعي, هو الأصل لا شك أنه المعنى, فأنت لا يمكن أن تقول فعل ضارب إلا إذا وقع منه الضرب هذا هو الأصل, فالمصدر هو الأصل هذا مذهب البصريين وهو الحق إن شاء الله, الكوفيين يقولون: لا الأصل الفعل, فيقولون: ضرْب مشتق من ضرَب, والصواب العكس نعم.

السائل: ...

الشيخ: العام المخصوص هو الذي أريد عمومه أولا ثم أخرج بعض أفراده مثل أن تقول: قام القوم إلا زيدا, والعام الذي أريد به الخصوص لم يرد عمومه أصلا ودلالته عقلية فمثلا: **(( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ))** **(( الذين قال لهم الناس ))** هل هم كل الناس ؟ هل يفهم أحد من هذه الكلمة أن جميع الناس قالوا ؟ لا يفهم, إن الناس قد جمعوا لكم.

السائل: ...

الشيخ: أولا بارك الله فيك لن تجد في القرآن أن الأولياء هم الأصنام لكن المفسرين يفسرون بالأصنام على سبيل التمثيل وإلا فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : **( تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة )** فجعل الذي يربط قوله ومحبته ومعاداته وكراهته على هذا جعله عبدا له.

نعم فيه إشارة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون.

الشيخ: ثم قال الله تعالى .

القارئ: **(( وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ))** [الشورى:7-8].

الشيخ: وكذلك أوحينا إليك كذلك الكاف هنا اسم بمعنى مثل وهي منصوبة على المفعولية المطلقة ولهذا قدرها المؤلف بقوله : **" مثل ذلك الإيحاء "**؛ الأول قال : **(( كذلك يوحي إليك ))** ولم يبين الموحى هنا قال: **(( وكذلك أوحينا إليك قرآنا ))** فبين الموحى, فكان الآن هنا تفصيل بعد إجمال, أين الإجمال ؟ **(( يوحي إليك ))** لأنه لم يبين الموحى, وهنا أوحينا إليك قرآنا فهو تفصيل بعد إجمال, ولا يخفى علينا أن التفصيل بعد الإجمال من أساليب اللغة البلاغية العظيمة, لأن الشيء إذا أجمل بقيت النفس متطلعة متشوفة متشوقة إلى تفصيله, فإذا جاء مفصلا ورد كالماء على أرض يابسة, الماء على أرض يابسة أيش يعمل ؟ تشربه على طول, فكذلك إذا ورد التفصيل بعد الإجمال فإنه يرد على قلب متطلع تماما إلى التفصيل.

**(( وكذلك )) أي مثل هذا الإيحاء (( أوحينا إليك ))** والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام عن طريق من؟ عن طريق جبريل قال

الله تعالى : **(( نزل بـه الـروح الأميـن علـى قلبـك ))** **(( أوحينـا إليك قرآنا عربيا لتنذر ))** قرآنا: بمعنى مقروء أو بمعنـى قـارئ, أمـا هو فهو مصدر, قرآن: مصدر قرأ, كغفران مصدر غفـر, شـكران مصـدر شكر, إذا قرآن مصدر لكن هل هو بمعنى اسم الفاعل أو هو بمعنى اسم المفعول أو هو بمعناهما جميعـا, لنـا قاعـدة سـبقت أن الآيـة أو الحـديث أيضا إذا احتمل معنيين علـى السـواء ولا منافـاة بينهمـا وجـب أن يحمـل عليهما جميعا, إذا قرآن بمعنى قارئ وقرآن بمعنى مقـروء, كيـف يكـون القرآن بمعنى قارئ ؟ قاري بمعنى جامع ومنه سميت القرية لأنها تجمـع الناس فيكون قرآن يعني قارئ, ولا شك أن القرآن جامع لعلـوم الأوليـن والآخرين ولكل علم نافع وعمل صالح, وقـوله: **(( عربيا ))** أي بلسـان العرب, والعروبة هنا هل هي عروبة النسب أو عروبة اللسان ؟.

الشيخ: والعروبة هنا هل هي عروبة النسب أو عروبة اللسان ؟ الظاهر أنها عروبة اللسان, لكن حقيقة الأمر أن عروبة اللسان أصلها عروبة النسب, إذ أن اللغة العربية وإن تكلم بها من ليس بعربي هي أصلها من عروبة النسب, ولذلك أولئك القوم الذين من فارس والروم نقول : هم عرب لسانا وليسوا عربا نسبا فهل يلحقهم مدح العرب ؟ الجواب لا، لا يلحقهم, لأن المدح للعرب إنما هو عرب النسب, أما الوصف الذي عرب باللسان فلا يستحق هذا المدح, ولهذا لو سئلنا : من أشرف الناس نسبا ؟

الطالب: العرب.

الشيخ: عرب اللسان أو عرب النسب ؟ عرب النسب.

وبينا فيما سبق أن الله تعالى أجمل ثم فصل, فقال في أوله : **(( كذلك يوحي إليك ))** وهنا قال : **(( وكذلك أوحينا إليك ))** وأضاف الإيحاء إليه عز وجل لأن الأمر مهم جدا والموحى به هو أشرف الكلام **(( قرءانا ))** قلنا : أن قرآنا مصدر كالغفران والشكران, وهل هو بمعنى اسم الفاعل أو بمعنى اسم المفعول ؟ أي هل المعنى أنه قارئ أو المعنى أنه مقروء ؟ ذكرنا أنه يجوز فيه الوجهان : أما كونه قارئا فلأنه جامع لجميع الكمالات في الكلام, ومنه القرية لأنها تجمع الناس, وأما كونه بمعنى مفعول فلأنه يقرأ ويتلى, وكلاهما وصف صالح للقرآن ولا ينافي بعضهما بعضا, وعلى هذا فيحمل على المعنيين جميعا كما هي القاعدة في التفسير وفي الحديث النبوي, إذا كان يحتمل معنيين لا مرجح لأحدهما على الآخر وليس بينهما منافاة فالواجب أن يحمل عليهما جميعا, قرآنا عربيا أي بلغة العرب, والمراد بلغة العرب نطقا أو نسبا ؟ الأصل نسبا لأن لغة العرب انتشرت بعد الفتوحات الإسلامية وإلا هي كانت في الجزيرة فقط.

ثم قال : **(( لتنذر أم القرى ))** اللام للتعليل, فما هو المعلل ؟ قوله : **(( أوحينا ))** وعلى هذا فاللام متعلقة بقوله : **(( وأوحينا ))** **(( لتنذر ))** قال المؤلف : **" لتخوف (( أم القرى ومن حولها )) أي أهل مكة وسائر الناس "** قوله : **(( لتنذر أم القرى ))** هي مكة, وسميت بذلك لأنها جامعة للقرى إذ أن جميع القرى تأوي إليها, ولا شك أن المسلمين كلهم يتجهون إلى أم القرى لأن الكعبة فيها, وهي

أيضا تجمع القرى من جهة أنه يجب على كل المسـلمين أن يحجـوا هـذا البيت من استطاع إليه سبيلا, لقوله تعالى: **(( ولله على الناس حـج البيت ))** أو حَج البيت قراءتان سبعيتان **(( من استطاع إليه سـبيلا ))** إذا سميت أم القرى لماذا ؟ لأنهـا تجمـع جميـع القـرى, والقـرى هنـا المدن لأن القرية البلد الصغير عرفا, أما لغـة فـإن القريـة تطلـق حـتى على المدينة الكبيرة كما قال الله تبارك وتعالى: (( **وكأين مـن قريـة هي أشد قوة من قريتك الـتي أخرجتـك أهلكنـاهم ))** وقـوله : **(( ومن حولها ))** يقول المؤلف : المراد بمن حولها **" سائر النـاس "** وهذا التفسير وإن كان معناه صحيحا لأن رسالة النبي صلى الله عليـه وسلم بلغت جميع الناس ومن لم تبلغـه فسـتبلغه, ولكـن ظـاهر اللفـظ خلاف ذلك, لأن ما حول الشيء فهو القريب منه, وحينئذ يبقى في الأمر إشكال فإن النبي صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى جميع الناس, ولكن يقال لا إشكال فهو كقـوله تعـالى: (( **هو الـذي بعـث فـي الأميـين رسولا منهم ))** وهو مبعـوث لكـل الخلـق ولهـذا قـال **: (( وآخرين منهم لما يلحقوا به ))** وعلـى هـذا فنقـول : المـراد بالإنـذار الإنـذار المباشر, والإنذار المباشر من النبي صلى الله عليه وسلم ما كان إلا لأم القرى ومن حولها, ولهذا ما فتحت الشام ولا العراق ولا مصر فـي عهـد النبي صلى الله عليه وسـلم وإنمـا كـان الجزيـرة فقـط, وعليـه فيكـون المـراد بقـوله: **(( تنذر ))** الإنـذار الـذي تـم فـي حيـاته عليـه الصـلاة والسلام فإنه لم يشمل إلا أم القرى ومن حولها, وقوله: **(( أم القـرى ومن حولها ))** هل المراد بهذا إنذار المدينة نفسها أو المـراد الأهـل ؟ الأهل لا شك, ولا يشكل هذا على أحد, وهذا هو الذي جعل شيخ الإسلام رحمه الله يقول : إنه لا مجاز في القرآن ولا في غيره من اللغة العربية, لأنه إذا كان اللفظ دالا على معنـاه الخـاص فـإنه لا يعتـبر مجـازا, ونحـن نقول هنا ليس المراد أن الرسول ينذر بيوت مكة وأسواقها وإنما المراد أن ينذر أهلها, بقي أن يقال أيـن مفعـول ينـذر الثـاني, لأن أنـذر تنصـب مفعولين كما قال اللـه تعـالى : (( **فأنذرتكم نـارا تلظـى ))** الكـاف مفعول أول ونارا مفعول ثاني نقول: المفعول الثاني محذوف ويقدر بما يناسب, ممكن هنا أن نقدره بقـوله : **(( يـوم الجمـع ))** (( **لتنـذر أم القرى ومن حولها )) (( يـوم الجمـع ))** بـدليل قـوله: **(( وتنـذر يوم الجمع ))** فتجـد الآن الآيـة الكريمـة الجملـة الأولـى حـذف منهـا مفعول والثانية حذف منها مفعول, لكن الجملـة الأولـى حـذف مفعولهـا

الثاني والجملة الثانية حذف مفعولها الأول, وهذا مـن بلاغـة القـرآن, إذا المفعول الثاني في قوله : **(( لتنذر أم القرى ))** محذوف تقديره يوم الجمع, ولنا أن نقدره تقديرا آخر لكن ما دام بين أيدينا ما يدل عليه فهـو أولى.

قـال اللـه تعـالى : **(( وتنـذر يـوم الجمـع ))** قـال: **" (( وتنـذر )) الناس "** هذا المفعـول الأول المحـذوف **(( يوم الجمـع ))** المفعـول الثاني أي: تنذرهم اليوم الذي يجمع فيه الناس وذلك يوم القيامـة تجمـع فيه الخلائق, وهذا من أسماء يوم القيامة يـوم الجمـع, كمـا أنـه يسـمى يوم القيامة لأنه يشتمل على المعنى هذا وهذا, وقوله : **(( يوم الجمع ))** يقول: **" تجمع فيه الخلائق "** لقـول اللـه تعـالى **: (( ذلـك يـوم مجموع له النـاس وذلـك يـوم مشـهود )) (( لا ريـب فيـه )) " (( لا ريب )) شك " (( فيه ... ))** إلـى آخـره قـوله : **(( لا ريب ))** الريب هو الشك لكـن قـال شـيخ الإسـلام رحمـه اللـه : **" إن تفسير الريـب بالشـك تفسـير مقـارب وليـس مطابقـا, لأن الريـب يوحي بقلق في النفس والمعنى ليس فيه ريب وقلـق "** نعـم قوله : **(( لا ريب فيه))** لا نافيـة, فهـل المـراد بـالنفي النهـي فيكـون المعنى لا ترتابوا فيه, أو المراد بالنفي معناه الحقيقي, نقول المـراد بـه معناه الحقيقي, لأنه إذا كان معناه النفي صارت صفة هـذا اليـوم انتفـاء الريب, وعلى هذا فمن ارتاب فيه فقـد ارتـاب فـي أمـر واقـع, لكـن لـو جعلنا النفي بمعنى النهي لكنا أخرجنا الكلام عن ظاهره هـذه مـن جهـة, ومن جهة أخرى أن النهي قد يمتثله الناس وقد لا يمتثلـونه, لكـن النفـي هنا أوضح أولا لمطابقته لظاهر اللفظ, لأن ظاهر اللفظ النفي.

وثانيا: لأنه يعطي أن هذا اليوم موصوف بانتفاء الريب فيه, فيكـون مـن ارتـاب مخالفـا للواقـع؛ **" (( لا ريب فيـه فريـق )) منهـم (( فـي الجنة وفريق في السعير )) في النار "** فريق مبتدأ وفريق الثاني مبتدأ, ومن كان منكم عارفا بالنحو فسـيقول فـي هـذا إشـكال, مـا هـو الإشكال ؟

الطالب: الابتداء بالنكرة.

الشيخ: والابتداء بالنكرة غير جائز, لماذا ؟ لأن المبتدأ محكوم عليه فـإذا قلت : زيد قائم فقد حكمت على زيد بالقيـام, والمحكـوم عليـه لابـد أن

يكون معروفا, إذا كان نكرة أي فائدة في الحكم عليـه, فكلام النحـويين في أنه لا يجوز الابتداء بـالنكرة هـذا تعليلـه, لأن المبتـدأ محكـوم عليـه, والمحكوم عليه لابد أن يكون معرفة معلوما, فهنا ابتـدأ بـالنكرة, يقـول النحويون : إن المسـوغ للابتـداء بـالنكرة فـي هـذه الآيـة هـو التقسـيم, والتقسيم مفيد, فريق في الجنة أي نوع من الناس في الجنة ونـوع فـي السعير, فالتقسيم يبيح الابتداء بالنكرة, ومنه قول الشاعر :

**فيوم علينا ويوم لنا  ويوم نساء ويوم نسر**

فهذا مبتدأ نكرة لكنه فيه التقسيم فيكون المسوغ للابتـداء بـالنكرة هنـا هو التقسيم, نعم **(( فريق في ا لجنة وفريق في السعير ))** أيهـم أكثر ؟ فريق السعير أكثر كما جاء في الحـديث الصـحيح أن اللـه تعـالى يـوم القيامـة ينـادي يقـول : ( **يـا آدم ، فيقـول : لبيـك وسـعديك فيقول : أخرج من ذريتك بعـث النـار أو بعثـا إلـى النـار ـ أي مبعوثا إلى النار ـ قال: يا رب وما بعـث النـار قـال: مـن كـل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون واحد فـي الجنـة** ) والبـاقي مـن الألف في النار, إذا أيهم أكثر ؟ أهـل النـار أكـثر مـن أهـل الجنـة بكـثير, أجارنا الله وإياكم من النار, ففزع الصحابة لهذا, وقالوا: يـا رسـول اللـه أينا ذلك الواحد ؟ قال لهم: ( **أبشروا إنكم في أمتين ما كانتا فـي شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج )** وهم مـن بنـي آدم كمـا دل علـى ذلك القرآن, فمنكم واحد وألف منهم ففرح الصـحابة رضـي اللـه عنهـم بذلك, المهم أن الله قال : فريـق وفريـق مـع اختلاف الفريقيـن اختلافـا عظيما, نعم فدل ذلك علـى أن الفريـق فـي اللغـة يطلـق علـى القليـل والكثير, **(( فريق في الجنة وفريق في السعير ))** ما هي الجنة ؟ الجنة هي الدار التي أعدها الله تعالى للمؤمنين والمتقين, وهي دار فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر, وأصناف النعيم في هذه الجنة جعلني الله وإياكم منهم موجودة في القرآن والسنة, أمـا السعير والعياذ بـالله فهـي النـار تسـعر بهـا الأجسـاد, وفيهـا مـن أنـواع العذاب والنكال ما يتمنـى أهلهـا أن يموتـوا ولا يحصـل لهـم, قـال اللـه تعالى : (( **ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قـال إنكـم مـاكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كـارهون )) (( وفريـق في السعير ))**.

**" (( ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة )) أي على دين واحد هو**

**الإسلام "** نعم لو شاء الله أن يجعل الناس أمة واحدة لجعلهم أمة واحدة على الضلال أو على الهدى, يعني لو شاء هذا أو هذا, لأن الأمر كله بيده عز وجل, وقوله: **(( لجعلهم أمة واحدة ))** يعني فرقة واحدة على دين واحد, وقوله: **" وهو الإسلام "** قد ينازع فيه لأن الآية مطلقة وليس فيها ما يدل على أنه الإسلام أو غير الإسلام لأن قوله : (( **ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ))** ذكر الأمرين فنقول : إن الآية تحتمل المعنيين جميعا لو شاء الله لجعلهم أمة واحدة يعني على الإسلام أو على الكفر, ولكنه عز وجل لحكمته جعلهم متفرقين: (( **هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ))** قال : **(( ولكن يدخل من يشاء في رحمته ))** قوله : **(( يدخل من يشاء ))** من اسم موصول عامة, ولكن يجب أن نعلم أن هذا العموم مقيد بمن علم الله فيه خيرا, فهو الذي يدخله في رحمته, لأن كل فعل أضافه الله إلى مشيئته فلابد أن يكون لحكمة كما قال الله تعالى : (( **لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ))** وقال تعالى : (( **وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما ))** طيب إذا: **(( يدخل من يشاء في رحمته ))** ممن علم الله فيه خيرا ليكون إدخاله في الرحمة على وفق الحكمة وقوله : **(( في رحمته ))** المراد هنا بالرحمة التي هي وصفه أو المراد الرحمة التي هي خلقه ؟ الثانية, لأن الرحمة التي هي وصفه لا يدخلها الناس, وإنما يدخلون في الرحمة التي هي خلقه, وهي الجنة, ويدل لهذا قوله تبارك وتعالى في الحديث القدسي للجنة : ( **أنت رحمتي أرحم بك من أشاء )** فقال لها : أنت رحمتي,

**" (( والظالمون )) الكافرون "** الظالمون: مبتدأ وليست معطوفة على من لفساد المعنى واللفظ, والظالمون الكافرون, فسر المؤلف هنا الظالمون بالكافرين, لأن الله تبارك وتعالى وصف الكافرين بالظلم فقال: (( **والكافرون هم الظالمون ))** وقال الله تبارك وتعالى : (( **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ))** فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك وقال : ( **ألم تسمعوا قول الرجل الصالح إن الشرك لظلم عظيم )**

**(( والظالمون ))** الكافرون **(( ما لهم من ولي ولا نصير ))** ما

نافية, ولهم خبر مقدم, وولي مبتدأ مؤخر دخل عليه حـرف الجـر الزائـد للتوكيد " **(( ما لهم من ولي ولا نصير )) يدفع عنهم العــذاب "** أي من ولي يتولاهم ويتحمل عنهم, ولا نصير يدفع عنهم, فليس لهم من يسليهم في حال المصيبة ولا من يدفع عنهم إذا وقعت.

فـي هـذه الآيـة الكريمـة فوائـد منهـا أن القـرآن كلام اللـه لقـوله : (( **وكذلك أوحينا إليك قرءانا ))** وجـه كـونه كلام اللـه أن هـذا القـرآن كلام أو شيء مخلوق ؟ كلام, وإذا كان كلاما وقد أضافه الله إلـى نفسـه علمنا أنه كلام الله عـز وجـل, وهـل هـو مخلـوق ؟ لا, لـوجهين : الـوجه الأول : أنه وصفه وجميع أوصـاف اللـه غيـر مخلوقـة, لأن الصـفة تابعـة للذات, فالخالق هو الله وصفاته غير مخلوقة .

ثانيا: لو قلنا: إنه مخلوق لبطل الأمر والنهي, لأننـا إذا قلنـا: إنـه مخلـوق صار شيئا مخلوقا على شيء معين كما تخلق الشمس والقمـر والنجـوم والجبال والأنهار على شكل معين, فيكون مثلا: **(( أقيمـوا الصـلاة ))** ليست أمرا, لماذا ؟ لأنه خلق رسما, خلق على هذا الرسم, الآن مثلا لو رسمت في القرآن: **(( أقيموا الصلاة ))** وأنت تقول أن هـذه ليسـت كلاما ولكنها مخلوقة لم تفـد الأمـر, وكـذلك يقـال فـي الأخبـار, الأخبـار تأتيك آية طولية كلها فـي خـبر مـا إذا قلـت أن القـرآن مخلـوق صـارت مجرد نقش فقط, ما هي كلام, ولذلك قال ابن القيم رحمه اللـه : **" إن القول بأن القرآن مخلوق مبطل للشريعة لأنـه لا يكـون فيـه أمر ولا نهي "** إنما هي أشكال خلقت على هذا, **(( أقيمـوا الصـلاة أنتم ))** إذا شاهدتم: **(( أقيموا الصلاة ))** وجدتم أنهـا وشـي يختلـف بعضه عن بعض, أقيموا لها شكل والصلاة لها شكل فـإذا قلنـا : إن هـذه أشياء خلقها الله على هذا الشكل لم يكن أمرا ولا نهيـا, طيـب إذا الآيـة تفيد أن القرآن كلام الله لأن الله تعالى أضافه إلى نفسه .

من فوائد هذه الآيات الكريمة : فخر العرب لأن القرآن عربي وهو للأمم كلها.

ومن فوائدها حكمة الله تبـارك وتعـالى فـي إنـزال القـرآن باللغـة الـتي يفهمها من أنزل إليه وهذا كقوله تعالى : **(( وما أرسلنا مـن رسـول إلا بلسان قومه ليبين لهم )).**

ومن فوائد الآية الكريمة : التأكيد على معرفة اللغة العربيـة, وجـه ذلـك

أنه إذا كان القرآن عربيا وكنا مخاطبين به وملزمين بالعمل به فإنه لا يمكن الوصول إلى ذلك إلا بتعلم اللغة العربية .

ومن فوائد الآية : الإشارة إلى أن الناس جميعا ينبغي أن يكونوا يتحدثون باللغة العربية, لأن الناس كلهم جميعا يجب أن يكون دينهم الإسلام, فإذا كان يجب أن يكون دينهم الإسلام فإنه يلزم من ذلك أن يجب أن يتعلموا لغة الإسلام, ولذلك نرى أن الإسلام لما كان في أوج عزته وقوته دخل الناس في دين الله, وتعلموا اللغة العربية, ومن الفرس والروم من كانوا أئمة في الدين وأئمة في العربية, القاموس المحيط مرجع الناس في اللغة الآن وقبل الآن, من مؤلفه ؟ الفيروزأبادي, من قريش أو من بني هاشم ؟ لا هذا ولا هذا فارسي, ومع ذلك هو مرجع اللغة العربية, البخاري إمام المحدثين, يعني إمام نقلة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم, عربي أو غير عربي ؟ غير عربي, لأنه في الفتوحات الإسلامية كانت الغلبة للمسلمين الذين يتكلمون باللغة العربية, فتعلم الناس العربية ضرورة أنه لا يمكن الوصول إلى فهم الدين إلا باللغة العربية, ما حال الناس اليوم ؟ على العكس, الآن العربي يحاول أن يتعلم اللغة الغير عربية, لأن الإسلام مع الأسف الشديد بمعاصي أهله خذلوا وذلوا, وكانوا من أذل الأمم إن لم أقل أذل الأمم, أنا أقول : أذل الأمم ولا أبالي, لأن عند المسلمين من الثروات العظيمة والمعادن العظيمة والأماكن الفسيحة والواسعة ما إذا قسناه بحالهم وجدنا أنهم أذل الأمم, من يكون عنده مثل هذه الثروات ثم يتخلف هذا التخلف, حفنة من اليهود تلعب بعقولهم ليلا ونهارا, ولو قلت : أمم من النصارى يلعبون بهم, ولو كان لهم عزة لكانوا هم الذين يتحكمون في الناس ويقاتلونهم حتى يكون الدين كله لله, لكن لما ذلوا ذلت لغتهم, الآن تجد المتاجر في بلاد العرب في مدننا في قرانا تجدها مملوءة باللافتات باللغة غير العربية, أحيان تجد المتاجر كأنك في سوق لندن إلا أن يشاء الله, كل هذا من الذي طيب.

من فوائد هذه الآيات الكريمة إثبات حكمة الله تؤخذ من قوله : **(( لتنذر ))** لأن اللام هنا للتعليل وكلما وجدت لام التعليل في القرآن فإن فيها إثبات حكمة الله عز وجل, وحينئذ نعلم أن جميع ما يفعله الله عز وجل أو يشرعه فهو لحكمة .

ومن فوائد الآية الكريمة: الاقتصار على أحد موضوعي الرسالة إذا

اقتضت الحكمة ذلك, وجهه أنه قال: **(( لتنذر أم القرى ومن حولها ))** ولم يذكر البشارة, مع أن الله تبارك وتعالى في مواضع كـثيرة يـذكر الإنذار والبشارة**: (( لتبشر به المتقين وتنذر بـه قومـا لـد ))** لأن السياق مع قريش, وقريـش كمـا تعلمـون عتـاة معتـدون فناسـب ذكـر الإنذار دون ذكر البشارة لأنه إذا رأيت شخصا معتديا, فهـل أنـت تحـاول استقامته بالبشـارة أولا أو بالإنـذار أولا ؟ بالإنـذار أولا, وهـذا مـن بلاغـة القرآن أن يجعل كل شيء في موضعه .

ومن فوائد هذه الآيات الكريمة : أن النبي صلى الله عليـه وسـلم ملـزم بإنذار أم القرى إلزاما أوليا لقوله : **(( لتنذر أم القرى ))** وما سـواها إنذارا ثانويا .

ومن فوائد الآية الكريمة : الإشارة إلى أن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم لن يصل إلى مـن أرسـل إليهـم مباشـرة وإنمـا ينـذر مـن حـوله لقـوله**: (( لتنذر أم القرى ومن حولها ))** وأنا ذكرت لكـم قبـل قليـل هـذه الفائدة ذكرناها في كتاب التفسير,

أيضا فيه فائدة أخرى وهي أن القرآن باللغة العربية لا يمكن أن ينتذر به إلا: **(( أم القرى ومن حولها ))** الذين هم عرب, وأما فارس والروم والأقباط وما أشبههم فهؤلاء لا ينتفعون بالقرآن إلا بعد أن يعرفـوا اللغـة العربية ويعرفوا معاني القرآن, ولعل هذا والله أعلم أيضا من الحكم أن الله قال : **(( ومن حولها )) .**

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : تخويف الناس من يـوم القيامـة لقـوله : **(( وتنذر يوم الجمع )) .**

ومن فوائدها : أن يوم القيامة واقع لا محالة لقوله : **(( لا ريب فيه )) .**

ومن فوائد الآيـة الكريمـة : أن النـاس فـي ذلـك اليـوم ينقسـمون إلـى قسمين : فريق في الجنة وفريق في السعير, أهل الجنـة يتجهـون إلـى الصراط ليصلوا إلـى الأعلـى إلـى الجنـة, وأمـا أهـل النـار فلا يصـعدون الصراط لأنه لا يرجى منهم أن ينجوا, بل إنهم يساقون إلـى جهنـم وردا, أي على أشـد مـا يكـون مـن العطـش, وتمثـل لهـم النـار كأنهـا سـراب يظنونهـا مـاءا فيسـرعون إليهـا, فـإذا جاءوهـا وجـدوا الأمـر بـالعكس

فيتوقفون, ولكنهم يدعون إلى نار جهنم دعا ويقال لهم : **(( هذه النـار التي كنتم بها تكذبون * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا )) .**

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : إثبات مشـيئة اللـه عـز وجـل لقـوله : (( **ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ))** .

ومن فوائدها : الرد على القدرية وهم الذين يقولـون : أن اللـه سـبحانه وتعالى لا علاقة له في فعل العبـد يقولـون: العبـد مسـتقل مـا للـه فيـه إرادة, وغلاتهـم ينكـرون علـم اللـه فـي أحـوال العبـد إلا مـا وقـع منهـا, يقولون : أن الله لا يعلم ماذا يصنع العبد, لكن إذا صنعه العبـد علـم بـه, وهؤلاء لا شك في كفرهم لأنهم أنكروا علـم اللـه, مقتصـدوهم ينكـرون المشـيئة والخلـق, هـذا الـذي اسـتقر عليـه رأيهـم يقولـون : إن اللـه لا مشيئة له في فعـل العبـد, وليـس خالقـا لفعـل العبـد، العبـد حـر يقـول ويصمت يفعل ويترك ينام ويستيقظ استقالا ما لله فيه مشيئة, عرفتـم؟ ولهذا سموا مجوس الأمة المحمدية لأنهم بهذه العقيدة يجعلون للحادث خالقين, حوادث العباد مـن خلقهـا ؟ العبـاد, وحـوادث اللـه خلقهـا اللـه, ولهذا يسمون مجوس الأمة الإسلامية, في الآية الكريمة رد عليهم, وجه الرد: **(( ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ))** وهذا كمـا قـال تعـالى في سورة هود: (( **ولو شـاء اللـه لجعـل النـاس أمـة واحـدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** ))

طيب فيه الرد على القدرية, وفيه حجة للجبريـة لأن اللـه قـال : **(( لـو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ))** إذا هـم انقسـموا بمشـيئة اللـه ومـا شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن, فهذا دليل على أن الإنسـان لا اختيـار له, بل فعله بمشيئة الله, أعرفتم ؟ فيقال : هذا مما احتـج بـه مـن فـي قلـوبهم زيـغ, لأن الـذين فـي قلـوبهم زيـغ يتبعـون المتشـابه ويـدعون المحكم, يتعبون المتشابه في مثل هذه الآية ويقول : هذا دليل علـى أن فعل العبد بمشيئة الله ولا يمكن لأحد أن يغير مشيئة الله, نقول سبحان الله : أنتم نظرتم إلى الأدلة بعين أعور, والعين الباقية عليها عمش, مـا هي جيدة, فنظروا بعيـن أعـور وربـع أو أكـثر, هنـاك آيـات صـريحة فـي إضافة العمل إلى الإنسان نفسه, وأنه بمشيئة الإنسان أليس الله يقـول : **(( من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر )) ؟** أليـس اللـه تبـارك وتعالى يقول : (( **لمن شاء منكم أن يستقيم ))** ؟ والآيات في هـذا كثيرة, أليس الإنسان يحس بنفسه أنه يفعل الفعـل ولا مكـره لـه, أنـت

تأتي إلى المسجد بدون أحد يكرهك, تدخل المسجد بدون أحـد يكرهـك, تخرج من المسجد بدون أحد يكرهك, وهذا شيء ملموس, إذا ما معنـى كون فعلنا بمشيئة الله, نقول معنى فعلنا بمشـيئة اللـه أننـا مهمـا فعلنـا من شيء فالله قد شـاءه, ومشـيئته لـه سـابقة لمشـيئتنا لكننـا لا نعلـم بمشيئة الله إلا بعد وقوع الشيء فنعرف أن الله قد شاءه, هذا واضـح ؟ يعني أنا الآن أشاء أن أتكلم معكم وأشاء أن أحرك يدي, أليس كـذلك ؟ هل شاء الله أن أتكلم وأن أحرك يـدي, نعـم, بمـاذا عرفـت ؟ بوقـوعه, لأني أعلم علم اليقين أنه لا يمكن أن يكون في ملـك اللـه مـالا يشـاؤه, وأنا في ملك الله, والسماوات والأرض كلها في ملك الله, فإذا لا يمكـن أن يكون في ملكه ما لا يشاء, لكن أنا لا أعلم مشيئة الله إلا بعـد وقـوع الشيء, ولهذا قال بعض العلماء : **" إن القدر سر مكتـوم "** لا يعلـم به العباد, لأن العباد لا يعلمون به إلا بعد وقوعه, طيب .

ومن فوائد هذه الآيات الكريمة : أن الله تعالى يمن على من يشـاء مـن عباده فيدخلهم في رحمته لقـوله : (( **ولكن يـدخل مـن يشـاء فـي رحمته ))** .

ومن فوائد الآية الكريمة : أنه ليس في الجنة ما يكـدر, وجهـه ؟ قـوله : **(( في رحمته ))** والرحمـة تسـتلزم حصـول المطلـوب والنجـاة مـن المرهـوب, ولهـذا ينـادى أهـل الجنـة : **( إن لهـم أن يصـحوا فلا يسقموا وأن يشبوا فلا يهرموا وأن يحيوا فلا يموتـوا )** وأيضـا أن نقول : وأن يسروا فلا يحزنوا, جميع النعيم كامل لأهل الجنة, وليـس فيها تنغيص ولا خوف من مرض ولا خوف من موت, بل إنهم لا ينـامون, حتى النوم, لا ينامون من القلق والألم ؟ لا والله, لا ينـامون مـن الفـرح والسرور, حتى تكون أوقاتهم كلها مستغرقة في الفرح والسرور, وعدم نومهم دليل على كمال حياتهم, لأن النوم إنما نحتاج إليـه لنقـض التعـب السابق واستجداد القوة اللاحقة, أليس كذلك ؟ ولهذا كلما تعب الإنسان احتاج إلى النوم, وإذا نام قام نشيطا, إذا نحن محتاجون إلى النـوم فـي الحياة الدنيا لنقص حياتنا, لكن في الآخرة ما فيـه نقـص دائمـا هـم فـي سرور, اللهم اجعلنـا منهـم, ولـذلك قـال : **(( يدخل من يشـاء فـي رحمته ))** الرحمة ما فيها شيء يحزن ولا يكدر, وإنما كلها خير .

ومن فوائـد الآيـة الكريمـة : أن الكفـار ظلمـة, بـل هـم أظلـم الظلمـة, أعظم الذنب الكفر أن تجعل لله ندا وهو خلقـك, فـأظلم الظـالمين هـم

الكفار, وإذا كنا نؤمن بهذا ويجب علينا أن نؤمن بهـذا, فهـل نرجـوا مـن الكفار خيرا وهم أظلم الظلمة ؟ لا والله, لا نرجـوا منهـم خيـرا للإسـلام أبدا لأنهم أظلم الظلمة, ولهذا يجب أن تغرس في قلبك بغض الكافرين والكفر, يجب أن تجعلها غريزة مسـتقرة كامنـة تبغـض كـل كـافر وكـل كفر, طيب وإذا كان في الإنسان خصال كفر وخصـال إيمـان ؟ القسـط والعدل أن أحبه على ما معه من إيمان وأبغضه على ما معه من الكفـر, والإنسان قد يكون فيه خصلة إيمان وخصلة كفر, قال النـبي صـلى اللـه عليه وسلم : ( **اثنتان في النـاس همـا بهـم كفـر: الطعـن فـي النسب والنياحـة علـى الميـت )** وهـذان لا يخرجـان الإنسـان مـن الإيمان, طيب إذا انتبهوا لهذا الكفار أظلـم الظـالمين ومـن كـان أظلـم الظالمين فإنه لا يمكن أن يرجى منه خير ولا عدل, واعلـم أنـه إن عـدل فلاستغلال الفرصة ليأخذ بدل العدل مرة الظلم مرات, الآن اليهود نعلم أنهم أشد الناس حرصا علـى المـال, ومـع ذلـك نجـدهم يبـذلون, ولكـن يبذلون قرشا ليأخذوا دينارا, لا تفكر أبدا أنهم يبذلون شيئا إلا لينالوا أكثر منه, وهذا شيء معلوم: (( **ولتجدنهم أحرص الناس على حيـاة ))** طيب .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن الظالمين لا يجدون ناصرا ولا يجـدون وليا, لا ناصرا يدفع العـذاب أو يرفعـه ولا ولـي يواسـيهم فيهـون عليهـم المصائب, ليس لهم هذا, وهذا يدل على أنهم في حسرة شـديدة لأنهـم لا يرجـون نفعـا وقـد قـال اللـه تعـالى : **(( ولـن ينفعكـم اليـوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون** ))

السائل: ...

الشيخ: لا, لأن النفي أبلغ وأوفق للسياق, ونحن قلنا : نحمل الآيـة علـى المعنيين متى ؟ ... لا, ولا مرجح لاحظ هذا القيد, لأنـك إذا لـم تقـل: ولا مرجح, جاءك أهل التعطيل وقـالوا : مـا قلنـاه يحتمـل ... لا, لازم تفهـم هذا ... أي نعم لكن الله نفى باعتبار الواقع.

الطـالب: فـي غيـر هـذه البلاد مثلا يوجـد علمـاء متضـلعون فـي بعـض العلوم ولكن مثلا يكون معتزليا أو أشعري, ففي أثناء الدرس قـد يقـرر المذهب, فهل طالب العلم إذا كان يعلـم الحـق فـي هـذه المسـألة أن يناقش شيخه فيها, خاصة أنه يكون كبيرا في السن قد يصعب أن يرجع

عن رأيه ؟

الشيخ: هـو لا شـك أولا أن الـذين يـدعون إلـى البدعـة هـؤلاء تجنبهـم, والرزق على الله, حتى لو كانوا علماء في النحو والبلاغة لا خيـر فيهـم, هؤلاء الذين يدعون, أمـا الـذين لا يـدعون إلـى بـدعتهم ويتسـترون فلا بأس أن تجلس إليهم فيما ينفـع, لكـن إذا رأيتهـم خرجـوا علـى الجـادة فيجب عليك أن تنبههم, لكن لا تنبههـم أمـام الطلاب, لأن الإنسـان قـد تأخذه العـزة بـالإثم, خصوصـا إذا رأى نفسـه أنـه مـبرز فـي علـم مـن العلوم, يجيء طالب علم ويرد عليه أمام النـاس هـذا ثـق أنـه سـينتفخ ويكون أكبر من الجبل ولا يرجع, لكن مـن الممكـن أن تكتـب لـه كتابـا تبين له الحـق إذا لـم تسـتطع أن تناقشـه مباشـرة, إن كـان داعيـة فلا تقربه أبدا وحذر منه لأن هذا يخشى منه, ثـم إذا رأى النـاس أنـك أنـت وفلان وفلان ترجعون إليه توهم أنه علـى الحـق, عرفـت ؟ نسـأل اللـه تعـالى أن يشـملنا وإيـاكم فـي رحمتـه, وأن يوفقنـا وإيـاكم لمـا يحـب ويرضى.

القارئ: **(( أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ))** [الشورى:9-10]

الشيخ: **(( أم اتخذوا من دونه أولياء ))** أم هذه منقطعة, وأم المنقطعة تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام, هناك أم متصلة, وهي التي تقع بين شيئين متقابلين, وتكون بمعنى أو, مثال ذلك: **(( سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ))** هذه أم يسمونها متصلة لأنها بين شيئين متقابلين, ولأنها بمعنى أو **(( سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ))** في غير القرآن لو وضع بدل أم أو لاستقام الكلام فإذا نقول : إن أم تكون منقطعة وتكون متصلة, الفرق بينهما أم المتصلة بمعنى أو, أم المنقطعة بمعنى بل وهمزة الاستفهام, ثانيا: أم المتصلة تكون بين شيئين متقابلين, وأم المنقطعة بخلاف ذلك, هنا يقول الله عز وجل : **(( أم اتخذوا من دونه أولياء ))** ليس فيه شيئان متقابلان إذا فهي منقطعة بمعنى بل والهمزة **(( أم اتخذوا ))** الضمير يعود على المشركين **(( من دونه ))** الضمير يعود على الرب عز وجل.

يقول الشارح رحمه الله تعالى: **" أي الأصنام "** إشارة منه إلى أن المفعول الأول لاتخذوا محذوف, والتقدير أم اتخذوا من دون الأصنام أولياء, لأن اتخذوا تنصب مفعولين كقوله تعالى : **(( واتخذ الله إبراهيم خليلا ))**؛ هذه الآية: **(( أم اتخذوا من دونه أولياء ))** ليس أمام أعينا إلا مفعول واحد: **(( أم اتخذوا من دونه أولياء ))** نقول : بل المفعول الأول محذوف والتقدير أم اتخذوا الأصنام أولياء **(( أولياء ))**: يعني أنصارا يستغيثون بهم ويستنصرون بهم ويوالونهم ويتقربون إليهم كأنهم رب.

قال المؤلف الشارح: **" أم منقطعة بمعنى بل التي للانتقال والهمزة للإنكار أي ليس المتخذين أولياء "** يعني هؤلاء اتخذوا أولياء الأصنام, والأصنام بعضها شجر وبعضها حجر وبعضها مخلوقات كونية كالشمس والقمر, وبعضها مخلوقات بشرية كل هذه لا تنفع صاحبها, ولذلك تجد المشركين إذا وقعوا في الضرورة من يدعون ؟ يدعون الله عز وجل إذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين, فهي لا تنفع, وهم أيضا مقرون بهذا يقولون : **(( ما نعبدهم إلا**

**ليقربونا إلى الله زلفى )).**
**" (( فالله هو الولي )) أي الناصر للمؤمنين, والفاء لمجرد العطف "** الفاء في قوله : **(( فالله ))** يعني أنها ليست جوابا لشرط ولكنها لمجرد العطف **(( فالله هو الولي ))** انتبه في إعراب الجملة هذه, الله: مبتدأ وهو: ضمير فصل والولي: خبر المبتدأ, واعلم أن ضمير الفصل حرف وليس اسما هذه واحدة نعم وله ثلاث فوائد :
الفائدة الأولى: الحصر .
والفائدة الثانية : الفصل بين الخبر والصفة, يعني مثلا إذا قلت: فلان الكريم, فلان مبتدأ والكريم خبر, ويحتمل أن يكون فلان مبتدأ والكريم صفته والخبر محذوف, فلان الكريم حاضر, فإذا قلت : فلان هو الكريم تعين أن تكون الكريم خبرا وليست صفة, ولهذا يسمونه ضمير الفصل لأنه يفصل أن يميز بين الخبر وبين الصفة, ليس له محل من الإعراب, ولهذا نقول : **الله:** مبتدأ والولي: خبره وهو: ضمير فصل لا محل له من الإعراب, إذا هو يفيد الحصر والتوكيد, والتمييز بين الخبر والصفة, واضح ؟ طيب نزيد ذلك بالمثال: محمد الرسول, يحتمل أن تكون الرسول صفة لمحمد وأن التقدير محمد الرسول صادق طيب إذا أتيت بهو وقلت : محمد هو الرسول, يتعين أن الرسول خبر هذه واحدة, أيضا هو الرسول يفيد الحصر يعني لا غيره, ولا شك أن محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام هو الرسول لهذه الأمة ولا رسول غيره .
الفائدة الثالثة : التوكيد, هو الرسول, هذا فائدة ضمير الفصل, أما إعرابه فليس له محل من الإعراب لأنه حرف.
**(( فالله هو الولي ))** قوله : **(( هو الولي ))** يقول المؤلف : **" أي الناصر للمؤمنين "** وفي هذا نظر لأن المؤلف الآن قصر الولاية على الولاية الخاصة, والصواب أنها عامة هو الولي لكل أحد في الولاية العامة والولاية الخاصة, الولاية العامة لكل أحد فإنه لا يتولى شؤون الخلق إلا الله عز وجل, الولاية الخاصة هي ولاية النصرة والتأييد, وعلى هذا فاقتصار المؤلف رحمه الله على الولاية الخاصة فيه نظر, إذا هو الولي على كل أحد بالولاية العامة والولاية الخاصة, والفرق بين الولاية العامة أن الولاية العامة تشمل كل أحد فكل أحد فالله وليه يتولى أمره حتى الكافرون الله وليهم, الولاية الخاصة تقتضي النصر والتأييد ومنه قوله تعالى : **(( اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ**

**إِلَى الظُّلُمَاتِ ))**[البقرة:257] **(( فالله هو الولي ))** الجملة هذه فيها حصر أو لا ؟ فيها حصر, ما هو طريقه ؟ ضمير الفصل **(( فالله هو الولي وهو يحيي الموتى ))** وغيره لا يمكن أن يحيي الموتى, لأن الإحياء هو جعل الشيء حيا بعد أن كان ميتا, وهذا لا يقدر عليه إلا الله, بل إن الله عز وجل إذا أراد أن يميت أحدا لا يمكن لأحد أن يمنع الموت كما قال عز وجل : **(( فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها ))** يعني هلا ترجعونها **(( إن كنتم صادقين ))** الجواب يمكن أو لا يمكن ؟ لا يمكن, إذا الله يحيي الموتى ويميت الأحياء عز وجل: **(( وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ))** على كل شيء, أي شيء معدوم فالله قادر على إيجاده, أي شيء موجود فالله قادر على إعدامه, كل شيء فالله تعالى قدير عليه, ضد القدرة العجز, ولهذا قال الله عز وجل : **(( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ))**[فاطر:44]

**(( وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ))** ما: شرطية, واختلفتم: فعل الشرط, فحكمه إلى الله: الجملة جواب الشرط, قوله : **(( وما اختلفتم فيه من شيء ))** أي شيء يقع بين الناس من الخلاف فمرده إلى الله عز وجل سواء كان في الأمور الدينية أو في الأمور الدنيوية, وسواء كان مع المؤمنين أو كان مع الكفار, أي شيء فحكمه إلى الله عز وجل, لا أحد يرد إلى حكمه إلا الله.

يقول الشارح**: " (( وما اختلفتم )) مع الكفار (( فيه من شيء )) "** والصواب أنه أعم, المؤلف رحمه الله خصه بالكفار, باختلافنا مع الكفار, وفي هذا التخصيص نظر أيضا, والصواب أنه عام: ما اختلتم أيها الناس مع الكفار أو فيما بينكم أيها المسلمون: **(( فحكمه إلى الله ))**.

وقوله : **(( من شيء ))** يقول الشارح : **" من الدين وغيره "** أي نعم, من الدين, الدين كل ما يتعبد به الإنسان لله, وغيره ما ليس كذلك, فحكمه إلى الله عز وجل وحده أي مرد حكمه إلى الله ولهذا قال: **" فحكمه مردود (( إلى الله )) يوم القيامة يفصل بينكم "**

والصواب أنه مردود إلى الله في الدنيا والآخرة ويدل لهذا قوله تعالى : **(( وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن**

**تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ))**.
ويستفاد من هذه الآية : أنه لا مرجع للقوانين, وأن القوانين المخالفة لحكم الله باطلة, وهو كذلك لأن القانون من وضع البشر, وليس عندهم إحاطة علم لا في الحاضر ولا في المستقبل, فهم لم يحيطوا بالدنيا علما, غاية ما هناك أن هذا الذي وضع المادة القانونية يعرف ظواهر شعبه فقط, وهل يعرف كل الناس وأن هذا الحكم مناسب لهم ؟ لا, هذا قصور .
ثانيا : أنه لو علم أحوال الناس من حيث العموم هل يمكن أن يعلم حال كل أحد لأن الناس يختلفون حتى في الحكم الواحد, أرأيت غني وفقير الغني عليه زكاة والفقير ليس عليه زكاة, الفقير يجوز دفع الزكاة له والغني لا يجوز له, العاجز والقادر، القادر يصلي قائما والعاجز يصلي قاعدا, هل هذا الذي وضع القانون يعرف أحوال الناس بحيث يكون القانون صالحا لكل حال من أحوال الناس ؟ لا, فهذا نقص آخر .
ثالثا : واضعو القانون هل يدرك أحوال الناس في المستقبل أو لا ؟ لا يدرك, ومعلوم أن الأحكام تختلف باختلاف الأحوال, ولهذا نجد أن الشريعة الإسلامية تختلف عن الشريعة النصرانية, والشريعة النصرانية تختلف عن الشريعة اليهودية, فها هو عيسى يقول : **(( ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ))** والدين الإسلامي أيضا جاء مغايرا في كثير من الأشياء الفرعية لما سبقه من الأديان قال الله تعالى : **(( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ))** إذا القانون قاصر من كل وجه, إذا كان قاصرا من كل وجه فهل يمكن أن يكون هذا الشيء القاصر مردا في النزاع ؟ لا يمكن.
بقينا من رجع إلى القانون فهل يكون كافرا ؟ يحتاج إلى تفصيل, إذا لم يجد الإنسان طريقا إلى أخذ حقه إلا عن طريق القانون فليس هذا بكفر, بل ولا محرم, فلو كنت في بلد تحكم بالقانون ولك خصومة مع شخص ولا يمكن أن تلجأ إلى حكم شرعي, فلا حرج أن تتحاكم إلى القانون, وإذا حكم لك فهذا يعني أنه كالشرطة, ولو أننا قلنا بهذا لضاعت حقوق الناس, وقد أشار إلى هذا المعنى المحقق ابن القيم رحمه الله في كتاب الطرق الحكمية, لكن إذا تحاكمت إلى القانون وأنت تعلم أنه يحكم بالظلم, فهل يجوز أن تتحاكم إليه أو لا ؟ لا يجوز, ما فيه إشكال, لأن بعض الناس قد يكون من حيث الحكم الشرعي لا يستحق هذا الشيء, لكن باعتبار القانون يستحقه فقال : أحاكمه لآخذ حقي بمقتضى

القانون, ماذا نقول ؟ نقول : هذا حرام ولا يجوز, مثال ذلك: ما يسمونه بالفوائد البنكية, الفوائد البنكية في الحكم الشرعي حرام, طيب هذا الرجل يعرف أنها حرام في الشرع لكن قال : أريد أن أتحاكم إلى القانون لأن القانون سوف يمكنني منها, لا يجوز, لأن هذا أكل للمال بالباطل, إذا التحاكم إلى الطاغوت وهو ما خالف الحكم الشرعي إن كان لاستخراج الحق لا لاعتقاد أن ما حكم به هو الحق ـ انتبه للفرق ـ لاستخراج الحق لا لاعتقاد أن ما حكم به حق, أجيبوا, فهذا جائز وكأنك جعلتهم شرطة يستخرجون حقك من هذا الذي ظلمك, وإن كان لاعتقاد أن ما جاء في القانون حق مع مخالفته للشرع فهذا حرام, هذا في التحاكم إلى القانون.

بقينا في وضع القانون, واضع القانون إما أن يعلم أنه مخالف للشرع لكنه يعتقد أنه أنفع للخلق من شرع رب الخلق, فهذا كافر لا شك, كافر كفرا مخرجا عن الملة, لأنه مكذب لقول الله تعالى **: (( ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ))** ومكذب لقوله تعالى : **(( أليس الله بأحكم الحاكمين ))** لأنه وضع الآن كتابا بدلا عن كتاب الله, وهذا واضح أنه كافر, أبدل دين الله بغيره, أبدل حكم الله بغيره, فهذا كافر, أما إذا كان لا يدري أنه مخالف للشرع, وإنما صنع ذلك بتأويل إن كان من أهل الاجتهاد أو بتضليل إن كان من غير أهل الاجتهاد فهذا لا يكفر, مثل أن يعتقد أن مسألة العينة جائزة ويضعها قانونا, ومسألة العينة معروفة عندكم: أن يبيع شيئا بثمن مؤجل ويشتريه نقدا بأقل فيقول مثلا: مادة كذا: إذا باع شيئا بثمن مؤجل واشتراه بأقل فالعقد صحيح؛ هذه المادة تخالف الشرع, لكن هو لا يدري أنها تخالف الشرع, أو تأول أنها جائزة بناء على صورة المعاملة, فهذا لا يكفر, وقد يكون وضع القانون المخالف للشرع عن تضليل لا عن تأويل, بحيث يكون الحاكم جاهلا أميا لكن ضلله بعض علماء الدولة, قال : هذا لا بأس به لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **( أنتم أعلم بأمور دنياكم )** ونحن نعلم أن هذا خير لنا في الدنيا بناء على ظنه, فهذا لا يكفر, فصار الآن الذي يضع قانونا مخالفا للشرع معتقدا أنه أولى من الشرع وأنفع للخلق فهذا كافر لا نشك في هذا, لكن بشرطين: أن يعلم أنه مخالف للشرع, يعتقد أنه أنفع للخلق أو مثل الشرع, حتى الذي يعتقد المماثلة فهو كافر لأن الله يقول : **(( ومن أحسن من الله حكما ))** ويقول : **(( أليس الله بأحكم الحاكمين ))**.

أما من وضعه مخالفا للشرع بتأويل أو تضليل فإنه لا يكفر لأن هذا في نظره لم يخالف للشرع فلا يكفر بهذا, الخلاصة الآن: عندما يختلف الناس في شيء فإلى من يرجعون ؟ إلى الله: **(( وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ))** فإذا قال قائل : من أين نعلم حكم الله ؟ قلنا: من القرآن والسنة, يفسر هذا قوله تعالى : **(( فإن تنازعتم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ))**[النساء:59].

الآن فهمنا أن المؤلف رحمه الله قصر في تفسير الآية في قوله : **(( والله هو الولي ))** حيث خصها بالمؤمنين بالولاية الخاصة؛ قصر أيضا هنا " **(( فحكمه إلى الله )) يوم القيامة يفصل بينكم** " هذا أيضا قصور, والصواب أن حكمه إلى الله في الدنيا والآخرة.

**(( ذلكم الله ربي عليك توكلت ))** ذلكم ويمر بنا كثيرا ذلك, فلماذا تختلف الكاف من موضع إلى موضع ؟ فالجواب أن الكاف بحسب المخاطب, واسم الإشارة بحسب المشار إليه, وهنا اختبار بالنسبة لكم, الكاف باعتبار المخاطب واسم الإشارة باعتبار المشار إليه, طيب أشر إلى مذكر مفرد مخطبا مذكرا مفردا.

الطالب: ذلك.

الشيخ: ذلك صح, أشر إلى اثنين مخاطبا اثنين.

الطالب: ذلكان.

الشيخ: ذانكما, ذان هذا المشار إليه, المخاطب كما, ذانكما, طيب أشر إلى أنثى مخاطبا ذكرا.

الطالب: ذلك.

الشيخ: لا, ما يمكن أنت الآن جعلت المرأة ذكرا.

الطالب: تلك.

الشيخ: تلك صحيح, أي نعم تلك لأن الإشارة للأنثى بالتاء تلك, طيب أشر إلى أنثى مخاطبا أنثيين.

الطالب: تلكما.

الشيخ: تلكما, طيب تمام, إذا الحمد لله فهمنا ليس هناك حاجة نستوعب جميع الأمثلة, اسم الإشارة بحسب المشار إليه, الكاف بحسب المخاطب طيب.

هنا **(( ذلكم الله ربي ))** اسم الإشارة بحسب المشار إليه لأنك تشير إلى لفظ الجلالة **(( ذلكم الله ))** واحد, ويخاطب جماعة **(( ذلكم**

**الله ربي ))** ذلكم: مبتدأ, والله: عطف بيان, ربي: خبر المبتدأ, يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم يجب أن يعلن لهؤلاء أن الله تعالى ربه وأنه لا رب له سواه, وإنما قلنا : وأنه لا رب له سواه لأن طرفي الجملة معرفة, لأن كلا من طرفي الجملة معرفة, وإذا كانت الجملة قد عرف طرفاها دلت على الحصر؛ لو سألنا سائل بما تعلقت الكلمة عليه ؟ قلنا : تعلقت بتوكلت, بما تعلقت إليه ؟ قلنا بينيب, إذا العامل متأخر عن المعمول في: **(( عليه توكلت ))** وفي: **(( إليه أنيب ))** والقاعدة عند البلاغيين أنه إذا تقدم ما حقه التأخير كان ذلك دليلا عل الحصر, **(( فعليه توكلت ))** بمنزلة ما توكلت إلا عليه **(( إليه أنيب ))** بمنزلة لا أنيب إلا إليه.

**(( عليه توكلت ))** أي فوضت أمري إلى الله تفويضا كاملا, والتوكل على الله ليس كالتوكل على البشر, التوكل على البشر بمعنى أنك تعمده أن يشتري لك شيئا, وهذا تفويض خاص, وأيضا تفويض تعتقد أنك أنت صاحب الشأن فيه, بمعنى لو شئت لأزلته وفسخت الوكالة, لكن توكلك على الله تفويض إلى الله في كل شيء, ولا يمكنك أن تفسخ الوكالة, حتى لو فسختها فالله عز وجل وكيل عليك, وبهذا نعرف الفرق بين أن يقول القائل : توكلت على فلان يعني أني وكلته, وتوكلت على الله, هل توكلت على الله مثل وكلت فلان ؟ لا أبدا, وإن اتفق اللفظان لكن يختلف المعنيان اختلافا عظيما, لاحظوا يا جماعة توكلت على فلان أي فوضته بأمري والأمر إلي أن شئت عزلته, لكن توكلت على الله فوضت أمري إليه مستندا إليه جل وعلا في تيسير أمري وتسهيله, وحينئذ لا نقول : إن من توكل على شخص في شراء شيء يكون مشركا بالله, لا نقول هذا, لأنه يظهر الفرق العظيم بين توكلي على الشخص الذي وكلته أن يشتري حاجة وبين توكلي على الله, توكلي على الله تفويض واستعانة, لكن على الشخص لا, استخدام في الواقع, توكيلي إياه أو توكلي عليه في الوكالة عبارة عن استخدام, ولهذا متى شئت قلت: لا أتوكل عليه وأعزله, لكن بالنسبة للتوكل على الله ليس كذلك, فما هو التوكل على الله ؟ قلنا: تفويض الأمر إلى الله عز وجل تفويضا تاما, وبعضهم يقول: صدق الاعتماد على الله ـ يعني التوكل ـ صدق الاعتماد على الله عز وجل في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله عز وجل, يفسر هكذا: صدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله عز وجل, وهل التوكل على الله عز وجل يعني

إلغاء الأسباب ؟ لا, ولهذا لو قيل : لرجل تزوج حتى يأتيك أولاد, قال : أنا متوكل على الله؛ يصلح ولا ما يصلح ؟ لا يصلح, لأن الأولاد لا ينبتون بالسطح, افعل الأسباب وتوكل, وفي المثل: **" اعقلها ـ يعني الناقة ـ وتوكل "** لا تطلق الناقة وتقول : أنا متوكل على الله, الناقة إذا أطلقتها ذهبت حيث شاءت, حتى لو كنت متوكل على الله افعل الأسباب, لو أن إنسانا قيل له : يا فلان ابتغي الرزق, بع اشتر, اعمل الأسباب التي تحصل بها المال قال : أبدا أنا متوكل على الله, هل هو صادق ؟ هذا توكل المتهاونين, إذا كنت صادقا في التوكل على الله فاعمل السبب, ولكن لا تعتمد على السبب اجعل السبب سببا والمدبر هو الله عز وجل.

**" (( وإليه أنيب )) أرجع "** أرجع إلى الله تعالى في عباداتي وفي جميع أحوالي.

قال الله عز وجل : **(( ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ))** في هذه الآية فوائد منها : الرد على القدرية الذين ينفون القدر ويقولون إن الإنسان مستقل بعمله, لأنكم تعلمون كما درستم ـ أو بعضكم ـ في العقيدة أن الناس انقسموا بالنسبة لأفعال العبد إلى ثلاثة أقسام : قسم يقولون : إن العبد لا اختيار له ولا إرادة ولا مشيئة, وأنه يفعل الفعل الاختياري كالفعل الإجباري, وهؤلاء هم الجبرية وهم الجهمية، الجهمية جبرية بالنسبة لأفعال العبد, فحركة الإنسان الاختيارية كقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه واستيقاظه مجبر عليه, فهو في هذه الحركات كالمريض الذي يرتعش من الحرارة بغير اختياره, وهؤلاء ضالون لأنه على قاعدتهم يكون الله عز وجل إذا عذب الإنسان المخالف يكون ظالما له, لأنه ليس يختار, هم يرون أن الظلم في حق الله محال مستحيل, لأن الظلم تصرف الفاعل في غير ملكه, والله عز وجل له ملك السماوات والأرض ولهذا كان الظلم عندهم مستحيلا هذه طائفة. وطائفة أخرى يقولون : الإنسان مستقل بعمله يفعل ما يشاء ولا علاقة لله تعالى في عمله, وهؤلاء هم القدرية الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة, لأن هؤلاء يقولون: الحوادث الكونية لها خالقان, حوادث العباد هم يخلقونها, وحوادث الكون يخلقها الله عز وجل, فجعلوا للحوادث خالقين كما أن المجوس جعلوا للحوادث خالقين, ولهذا سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة, وعلى رأيهم يكون في ملك الله ما لا يشاءه الله, إن الله له ملك السماوات

والأرض فإذا كانت أفعال العباد بغير مشيئة الله وإرادته صار في ملكه ما لا يشاء, وهؤلاء ضالون غالطون, لأنه كيف يكون الله هو الخالق للعبد ونقول : العبد مستقل عن الله ولا لله فيه دخل ولا شيء, أهل السنة والجماعة يقولون : إن الإنسان يفعل باختياره وإرادته والقرآن دل على ذلك: **(( وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ))**[الإسراء:19] **(( من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها ))** **(( منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ))** يقولون : الإنسان له إرادة واختيار ويفرق بين الفعل الاختياري والفعل الإجباري ولا شك, الإنسان يقوم ويقعد ويأكل ويشرب وينام ويستيقظ كل ذلك لا يشعر أن أحدا يجبره عليه, ولكن مع هذا, هذا الفعل وهذه الإرادة مخلوقة لله عز وجل, كيف تكون مخلوقة لله ؟ لأن الإنسان نفسه مخلوق لله, فإراداته التي تكون في نفسه والأفعال التي تكون في جوارحه تكون مخلوقه لأن أوصاف المخلوق وأفعال المخلوق مخلوقة, كما أن أوصاف الخالق غير مخلوقة, ولهذا نقول : القرآن غير مخلوق لأنه كلام الله, إذا أهل السنة والجماعة والحمد لله هداهم الله للحق فكانوا وسطا بين متطرفين الآية الكريمة: **(( ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ))** ترد على القدرية الذين يقولون : إن الإنسان مستقل بعمله؛ على رأيهم لا يستطيع الله عز وجل أن يهدي الناس جميعا أو يضلهم جميعا .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن من حكمة الله عز وجل أن ينقسم الناس إلى مؤمن وكافر من قوله : **(( ولكن يدخل من يشاء في رحمته ))** لأنه لا يمكن أن تظهر أثر الرحمة إلا إذا انقسم الناس إلى مرحوم وغير مرحوم, فكان من حكمة الله عز وجل أن اختلف الناس, نحن نعلم لولا اختلاف الناس لم يتميز مؤمن من كافر, لولا اختلاف الناس ما قام جهاد, ولا قام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, ولم يكن فائدة في خلق الجنة والنار إلى غير ذلك .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : إثبات الرحمة لله عز وجل لقوله : **(( في رحمته ))** واعلم أن الرحمة نوعان : مخلوقة وغير مخلوقة, أما غير المخلوقة فهي رحمة الله التي هي وصفه, فهذه غير مخلوقة, لأن جميع صفات الله غير مخلوقة, وأما المخلوقة فهي الشيء البائن عن الله الذي كان من آثار رحمة الله التي هي وصفه, قال الله عز وجل : **(( وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون**

**))** هذه مخلوقة, في للظرفية, ولا يمكن أن تكون رحمة الله التي هي وصفه ظرفا لهؤلاء الذين آمنوا, إذا ففي رحمة الله أي المخلوقة, ما هي رحمة الله المخلوقة ؟ هي الجنة لقوله تعالى للجنة : **( أنت رحمتي أرحم بك من أشاء )** طيب **(( وربك الغفور ذو الرحمة ))** ما المراد بالرحمة هنا الصفة أو المخلوقة ؟ الصفة, إذا من صفات الله تعالى الرحمة.

والعجب من قوم يدعون أنهم منزهون لله يقولون : إن الله لا يوصف بالرحمة؛ نسأل الله ألا يزيغ قلوبنا يقولون: إن الله لا يوصف بالرحمة لأن الرحمة انفعال وانكسار كما ترحم الصبي ترحم اليتيم والله عز وجل منزه عن ذلك, طيب ماذا نفعل بالآيات التي لا تحصى المثبتة لرحمة الله ؟ قالوا : فسر الرحمة بالإنعام, فيفسرونها بالرحمة المخلوقة, أو فسر الرحمة بإرادة الإنعام فيفسرونها بالإرادة, وهؤلاء الأشاعرة, لأنهم يقرون بالإرادة على أنها صفة لله, وسبحان الله حجتهم في هذا يقول : الإرادة دل عليها العقل والرحمة ما دل عليها العقل, بل دل العقل على خلافها, فنقول لهم : ما هو العقل الذي دل على الإرادة ؟ قالوا: العقل التخصيص, تخصيص المخلوقات, الجمل له صورة معينة الشاة لها صورة معينة بنو آدم لهم صورة معينة, فكونه يجعل البعير على هذه الصفة والشاة على هذه الصفة وبني آدم على هذه الصفة تدل على الإرادة, طيب الرحمة هناك أدلة عقلية على الرحمة أكثر دلالة من دلالة التخصيص على الإرادة, كل ما في الكون من النعم ماذا يدل عليه ؟ يدل على الرحمة, ولهذا العامي إذا أمطرت السماء قال : مطرنا بفضل الله ورحمته, فدلالة هذه الأشياء على الرحمة أقوى من دلالة التخصيص على الإرادة, فنحن نؤمن بأن لله رحمة, فإذا قال : إن الرحمة انكسار وانفعال قلنا : أن هذا بالنسبة لرحمة المخلوق, أما رحمة الخالق فهي تليق به عز وجل, ما فيه انكسار ولا فيها نقص ولا فيها عيب, أرأيتم الغضب ؟ الغضب انفعال يحدث للإنسان حتى يفقد أعصابه ويتصرف تصرف المجانين, حتى ربما كسر ماله, وضرب أولاده, وطلق زوجته, وربما يؤدي إلى أن يرمي بنفسه في الماء, الغضب لأنه جمرة يلقيها الشيطان في قلب الإنسان حتى يفور دمه, هل نقول: إن غضب الله كغضب الإنسان ؟ أبدا حاشا, إن غضب الله صفة تليق به تدل على كمال سلطانه وقدرته على الانتقام, لكنها لا يمكن أن ينتج عنها سوء تصرف أبدا, بخلاف غضب المخلوق.

المهم أن نقول : هناك قوم أنكروا رحمة الله وبماذا فسروا الرحمة ؟ بواحد من أمرين: إما الإنعام أو إرادة الإنعام, وهذا لا شك من ضلالهم وبدعهم وإرجاعهم أمور الغيب إلى ما تقتضيه عقولهم القاصرة,
والحقيقة أن هذه العقول ليست عقولا بل هي أوهام وإلا فنحن نعلم علم اليقين أن ما جاءت به الشريعة لا يمكن أن يخالف صريح المعقول أبدا, صحيح المنقول لا يخالف صريح المعقول أبدا, ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتاب مجلدات في بيان موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ويسمى " **درء تعارض العقل مع النقل** " طيب.
من فوائد الآية الكريمة : سوء عاقبة الظلم لقوله : **(( والظالمين ما لهم من ولي ولا نصير ))** حتى أولياؤهم في الدنيا لا ينفعونهم في الآخرة, ليس لهم ولي يتولاهم ولا نصير يدفع عنهم الأذى .
ومن فوائد الآية الكريمة : أن القائم بالعدل له ناصر وولي, تؤخذ من مفهوم المخالفة, إذا كان الظالم لا ولي له ولا نصير فمن قام بالعدل فله ولي ونصير .
من فوائد الآية : الإنكار على الذين اتخذوا من دون الله أولياء لأن أن هنا بمعنى بل وهمزة الاستفهام الإنكارية.
ومن فوائد الآية الكريمة : أن هؤلاء طلبوا شيئا من غير محله لقوله : **(( فالله هو الولي ))** فهو الذي ينبغي أن يتخذ وليا عز وجل فالله هو الولي .
ومن فوئد الآية الكريمة : إثبات الولاية لله لقوله : **(( فالله هو الولي ))** وهل هي عامة أو لا ؟ الجلالين مشى على أنها خاصة قال : " **ولي المؤمنين** " والصحيح أنها في هذه الآية عامة، الله ولي كل أحد, فإن الله تعالى ولي للكافرين يرزقهم ويعافيهم ويدفع عنهم السوء ويتولاهم كما قال تعالى : **(( حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ))** لكننا نقول : الولاية قسمان عامة وخاصة كما بيناه في التفسير .
ومن فوائد الآية الكريمة أنه لا ولاية لأحد دون الله من قوله : **(( هو ))** لأن هو ضمير فصل يفيد الحصر.

في الآية الكريمة بيان قدرة الله عز وجل على أمـر لا أحـد يـدعيه ومـن ادعاه كذبه الواقع لقوله : (( **وهو يحيـي المـوتى ))** هـذه الجملـة لا أحد يدعيها أبدا, ولو ادعاها فهـو كـاذب, فـإن قـال قائـل : أليـس يـؤتى بالرجل يسـتحق القتـل فيـأمر السـلطان ألا يقتـل, أليـس هـذا إحيـاء ؟ الجـواب: لا يمكـن أن يكـون إحيـاء, ولكنـه اسـتبقاء حيـاة, لأن الحيـاة سابقة, هو لم يجعل في هذا حياة فيبقى, ولكنه استبقى حياة موجـودة, فإن قال قائل : ما تقولون في قول الله تعالى: (( **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَـلَ النَّـاسَ جَمِيعًـا وَمَـنْ أَحْيَاهَـا فَكَأَنَّمَـا أَحْيَـا النَّاسَ جَمِيعًا ))** [المائدة:32] ... **(( ومن أحياهـا فَكَأَنَّمَـا أَحْيَـا النَّـاسَ جَمِيعًـا ))** فـأثبت الإحيـاء للإنسـان, الجـواب: أحيـاهم بإبقـاء حياتهم, يعني من رفع القتل عن إنسـان ودافـع عـن شـخص يقتـل فهـو كأنما أحيى الناس جميعا, وإلا من المعلوم أنه لا أحـد يسـتطيع أن ينفـخ الروح في ميت .

ومـن فوائـد الآيـة الكريمـة: عمـوم قـدرة اللـه تبـارك وتعـالى لقـوله: (( **وهو على كل شيء قدير ))** .

ومن فوائدها : الحث ـ أعني حث الإنسان ـ على أن يدعوا اللـه بكـل مـا أراد ما لم يتعدي في الدعاء, انتبه هذه فائدة تربوية أن تدعوا اللـه بكـل شيء إلا ما حرم الله عليك الدعاء به, لقوله : (( **وهو على كل شيء قدير ))** فإنك إذا دعوت الله عز وجل بأي شيء لا تيأس, لا تقول : هذا لا يمكن إلا ما كان عدوانا واعتـداء فلا يجـوز, وهـذا يفتـح للإنسـان بـاب الرجاء وباب دعاء الله واللجوء إليه, لو كان عندك مريض مدنف أيســت منه, فقلت: والله ما أقدر أدعوا اللـه عـز وجـل لأن الرجـل وصـل إلـى حالة خطيرة, فهذا لا شك غلط, لأن الله على كل شـيء قـدير, فـادعوا اللـه, إنسـان تقطعـت بـه الأسـباب, طلـب الـرزق فـي الـبيع والشـراء فخسر, طلب الرزق في التقديم للوظيفة فلم ينجـح, وهكـذا, قـال : إذا خلاص ما حاجة أدعوا؛ ماذا نقول له ؟ نقـول : هـذا خطـأ وغلـط, ادعـوا اللـه فـالله علـى كـل شـيء قـدير, كـم مـن إنسـان دعـوا لـه الغاسـل, واشتروا له الكفن, وقربوا له النعش, وتهيأ أصحابه لتشييعه, ثـم يعـافيه الله عز وجل, لأن الله على كل شيء قدير, إذا متى آمنت بأن الله على كل شيء قدير فلا تستصعب شيئا على قدرة الله, اسأل كـل شـيء مـا لم يكن إثما أو قطيعة رحم ولا تيأس ولهـذا قـال : (( **وهو علـى كـل**

**شيء قدير ))** وهذه الجملة كما قلت لكم : تفيد أن الإنسان لا ييأس من رحمة الله عز وجل, وأن يدعوا الله تعالى بكل ما أراد ما لم يكن إثما أو قطيعة رحم.
ثم قال عز وجل : (( **وما اختلفتم فيه من شيء ... ))** إلى آخره في هذه الآية من الفوائد:
أولا : أنه لابد أن يكون اختلاف بين الناس, وهذا هو الواقع, يعني لا يمكن أن ترفع الاختلاف بين الناس لابد أن يختلفوا, وسبب الاختلاف كثيرة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه " **رفع الملام عن الأئمة الأعلام** " وهو كتاب مختصر نافع, لخصناه وزدنا عليه بعض الشيء, وذكرنا بعض الأمثلة التطبيقية على القواعد التي ذكرها رحمه الله في كتابنا الرسالة صغير اسمها " **اختلاف العلماء وموقفنا منه** " وهو مفيد .
ومن فوائد الآية الكريمة: أن الواجب عند الاختلاف الرجوع إلى حكم الله, لقول الله تعالى: (( **فحكمه إلى الله )).**
ومن فوائد الآية الكريمة : أن حكمه إلى الله في الدنيا والآخرة لعموم قوله : **(( فحكمه إلى الله ))** وأما من خص ذلك في الآخرة فغلط, حتى في أمور الدنيا نرجع إلى حكم الله كما قال تعالى : (( **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ))** [النساء:59].
ومن فوائدها : تحريم الرجوع إلى القوانين البشرية عند الاختلاف لقوله : (( **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ))** لا إلى غيره, فإن قال قائل: ألستم تقولون أن قول الصحابي حجة ؟ فالجواب: بلى, على خلاف في هذا, المسألة ما هي إجماعية, لكن على القول بأن فقهاء الصحابة أقوالهم حجة قلنا : بلى, نقول : بذلك لكننا مستندون إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : **( عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ))** لأن الصحيح أن الخلفاء الراشدين معلقة بأوصاف لا بأعيان, يعني ليس الخلفاء الراشدون هم الأربعة بل كل من خلف النبي صلى الله عليه وسلم في أمته علما ودعوة وتعليما هذا خليفة راشد, أرشد من خلف النبي صلى الله عليه وسلم هم الصحابة رجوعا إلى حكم الله عز وجل .
ومن فوائد الآية الكريمة : إعلان النبي صلى الله عليه وسلم بالإخلاص والتوحيد لقوله : **(( ذلكم الله ربي ))** أي ذالكم الذي يرجع إلى

حكمه هو الله ربي .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن من هدي النبي صلى الله عليه وسلم التوكل على الله وحده لقوله : **(( عليه توكلت ))** لكن كلمة وحده من أين أخذناها ؟ من الحصر الذي طريقه تقديم ما حقه التأخير .
ومن فوائد الآية الكريمة : أيضا أن من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم الإنابة إلى الله تعالى وحده لقوله : **(( وإليه أنيب ))** وإذا كان هذا من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم وجب علينا أن نأخذ به لقوله تعالى : (( **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً )) .**
السائل: قوله تعالى : **(( ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ))** هل من الاعتداء في الدعاء أن يدعوا الإنسان بهداية جميع الناس مؤمنهم وكافرهم ؟
الشيخ: لا, ليس من الاعتداء, لأن الناس في عصرك ماذا يمثلون بالنسبة للبشر كلهم ؟ قليل, فليس من الاعتداء في الدعاء .
الطالب: بالنسبة للساحر وأنه ... ؟
الشيخ: هل الساحر يحيي ويميت ؟
الطالب: كيف يرد عليه ؟
الشيخ: نقول : ليس يحيي ولا يميت, يعني إن خيل للناس أن الميت تحرك فهو لم يتحرك حقيقة, ولهذا لو جاء أحد لم يدرك الساحر الذي غشى به على الناس لأدركه ميتا لا يتحرك.
نحن قلنا صفة حقيقية هنا ؟ إثبات الرحمة لله ثم قسمناها نحن, ما قسمناها باعتبار الآية هذه, قسمنا الرحمة عموما .
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **(( وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ))** ما معنى الآية ؟ ... الاختلاف في أمور الدين يرجع إلى الله؛ إذا في أمور الدين والدنيا فحكمه إلى الله تعالى, طيب.
هل يؤخذ من هذا تحريم الحكم بالقوانين ؟ إذا كانت هذه القوانين تخالف الشريعة فإنه يحرم الرجوع إليها. طيب لو اضطر الإنسان إلى التحاكم إلى القوانين الوضعية ؟ ... أصل التحاكم, يعني إذا كان قصده الوصول إلى حقه فهذا جائز, أما إذا كان قصده التحاكم إليهم بمعنى أن حكمهم هو النافذ فهذا لا يجوز طيب.
على الوجه الأول ما وجه الجواز ؟ ... يعني كأنهم جعلهم بمنزلة

الشُرط الذين يستنقذون حقه, لا على أنهم حكام على أنه يتوصل إلى حقه بهم طيب.
قوله تعالى **(( عليه توكلت ))** فيها حصر أو لا ؟ ما طريقه ؟ ... تقديم ما حقه التأخير هذا التعليل بالأعم أحسن, لأن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر طيب.
ما معنى التوكل ؟ ... تفويض الأمر إلى الله تعالى تفويضا كاملا على أنك أنت مفتقر إلى الله عز وجل طيب. ما الفرق بين التوكل على الله وعلى الإنسان ؟ ... التوكل على الإنسان يعني استخدامه في حاجة توكله عليها, وفي هذه الحال تعتقد أنك أنت فوقه, ولهذا لو شئت لفسخت الوكالة, لكن التوكل على الله تعتمد على الله عز وجل مفوضا الأمر إليه على أنه هو الفاعل كما يشاء, واضح ؟ طيب.
ثم قال الله تعالى .
القارئ : **(( فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ))**[الشورى:11-12] .
الشيخ : **(( فاطر السماوات والأرض ))** فاطر: خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو فاطر وإنما قلنا : هذا لأن اللغة العربية لا يمكن أن يتركب بها كلام إلا من مبتدأ وخبر أو فعل وفاعل أو ما ينوب مناب الفعل, فاطر: أي هو فاطر, والفاطر بمعنى الخالق على غير مثال سبق فهو بمعنى بديع السماوات؛ والسماوات والأرض معروفان, السماوات هي هذه السماوات السبع التي أخبرنا الله عنها وبين أنها سبع شداد, وبين أنه سبحانه وتعالى بناها بأييد فقال تعالى : **(( والسماء بنيناها بأييد ))** أي بقوة, وليس المراد بالأيد في هذه الآية يد الله عز وجل, لأن الله لم يضفها إلى نفسه لم يقل : بأيدينا قال : **(( بأييد ))** وأيد مصدر آد يئيد إذا قوي فهو كقوله : **(( وبنينا فوقكم سبعا شدادا ))** هذه السبع الشداد إذا كان يوم القيامة فقد قال الله عنها : إنها تكون واهية: **(( فهي يومئذ واهية ))** أي ضعيفة؛ أما الأرض فهي أرضنا المعروفة؛ والسماوات مجموعة لأنها سبع والأرض مفردة يراد بها الجنس, وقد بين الله عز وجل في سورة الطلاق أنها سبع فقال : **(( الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل**

**الأمر بينهن ))** فقال : **(( ومن الأرض مثلهن ))** ومن المعلوم أن المماثلة هنا ليست مماثلة في الذات إذ أن بين السماوات والأرض بونا شاسعا, لكن المراد مثلهن في العدد, ويؤيد ذلك ما جاءت به السنة فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : **( من اقتطع شبرا من الأرض ظلما طوقه الله به يوم القيامة من سبع أراضين )**.
يقول المفسر: **" (( فاطر السماوات والأرض )) مبدعهما "** يريد أن يفسر فاطر بمعنى مبدع, ولكنا فسرناها بمعنى بديع, وتفسيرنا لا ينافي تفسيره المعنى واحد, لكن مطابقة اللفظ لما جاء به القرآن أولى, والذي جاء في القرآن بديع أو مبدع ؟ بديع طيب.
**(( جعل لكم من أنفسكم أزواجا ))** أي صير لكم من أنفسكم أزواجا قال الشارح : **" حيث خلق حواء من ضلع آدم "** كأنه يميل رحمه الله إلى أن المراد بالأزواج هنا حواء, ولكن هذا غير صحيح, بل جعل من أنفسنا أزواجا يعني نساء مشاكلات لنا, لم تكن الأنثى بعيدة عن شكل الرجل, لأنها لو كانت بعيدة عن شكل الرجل ما ألفها ولا جعل الله بينهم مودة ورحمة, وقوله إذا : **(( من أنفسكم ))** أي من جنسكم, وليس المراد من نفس الإنسان جعل له زوجة لا, لو كانت من نفسه لم تكن زوجة لأنه تكون بنته, لأنها تكون بنته, لكن المراد من أنفسكم أي من جنسكم, كما قال الله تعالى **(( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ))**.
**(( و ))** جعل لكم أيضا **(( من الأنعام أزواجا ))** الأنعام جمع نعم كبهيمة الأنعام, أزواجا أي ذكورا وإناثا من أجل الإنتاج والتنمية وغير ذلك من المصالح؛ قال : **" (( يذرؤكم فيه ))** بالمعجمة يخلقكم " ما معنى المعجمة ؟ هل في القرآن شيء عجمي ؟ لا, لكن يعبرون عن المنقوط بأنه معجم من باب تسمية الشيء بضده, وإلا فهو معرب في الواقع, لأنه لولا هذه النقط مثلا لأشكل ولم يفهم المعنى, إذا المعجم المنقط, وسمي بذلك من باب تسمية الشيء بضده, كما يسمون التعبد بالتحنث كما في حديث بدء الوحي: يتحنث فيه أي يتعبد؛ طيب المعجمة ضدها المهملة, الشين ضد السين, الذال معجمة ضد الدال, أما الحركات فيسمونها مثلثة أو بالوجهين أو ما أشبه ذلك, وأحيانا يقولون : إذا كانت الكلمتان المشتبهتان كلتاهما معجمة قالوا : بالمثلثة مثل التاء والثاء لو قالوا : معجمة ما زال الإشكال ولكن يقولون : بالمثلثة, الطاء والظاء يقولون بالظاء المشالة التي فيها ألف احترازا

من الضاد لأنها غير مشـالة, المهـم اصـطلاحات معروفـة عنـد العلمـاء وقوله : " **يخلقكم** " فسر يذرأ بيخلق وهو تفسير ناقص, لأن يذرأ لها معنى زائد على الخلق وهو البـث والانتشـار, كمـا قـال تعـالى فـي آية أخرى : **(( وبث فيها من كـل دابـة ))** فالـذرء أخـص مـن الخلـق, فمعنى يذرؤكم إذا: يبثكم وينشركم, ثم قال: " **(( فيه )) أي الجعل المذكور أي يكثركم بسببه** " فسر أولا يذرؤكم بيخلقكم ثـم قـال : أي يكثركم, والتفسير الثاني هو الأصح, التكثير والبـث والنشـر بالتوالـد قال : " **والضمير للأناسي والأنعام بـالتغليب** " يـذرؤكم يقـول : إن الضـمير وهـو الكـاف والميـم للأناسـي والأنعـام, الأناسـي البشـر والأنعام البهائم, للتغليب, كيف للتغليب ؟ لأن الضـمير هنـا جـاء ضـمير العاقل, والأنعام لا يأتي لها ضمير العاقل لأنها غير عاقلة, لكن جاء ذلك للتغليب لما كان الـذرء للإنسـان والبهـائم قـال : **(( يذرؤكم فيـه ))** ولم يقل : يذرؤكن يـذرؤكم فيـه, انتبهـوا أن التغليـب قـد يكـون بتغييـر الاسم قد يكون بالضـمير ومـا أشـبه ذلـك, القمـران للشـمس والقمـر تغليب بتغيير الاسم لأنه القمران لو فكيته على التثنية لكان قمر وقمـر وليس كذلك, المراد قمر وشمس فهنا بتغيير الاسم, الضمير في قـوله : **(( يذرؤكم ))** يعود على مـا سـبق ذكـره مـن بهـائم وأناسـي علـى سبيل التغليب, لولا التغليـب لـوجب أن يكـون الضـمير ضـمير المـؤنث للبهائم وضمير مذكر للأناسي.

قال : **(( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ))** السـميع لمـا يقال, البصير لما يفعل جل وعلا, قال: " **(( ليس كمثلـه )) الكـاف زائدة لأنه تعالى لا مثل له** " الكـاف زائـدة وزيـادة الكـاف ليـس غريبا, تأتي دائما زائدة, ولهذا قال ابن مالك رحمه الله في الألفية التي ينبغي لطالب النحو ألا يترك حفظها يقول : " **شبه بكاف** " هذا تشبيه " **وبها التعليل قد يعنى** " أي قد يراد بها التعليل " **وزائدا لتوكيد ورد** " يعني وقد تأتي زائدة؛ في هذه الآية الكاف زائدة بمعنى أنهـا لـو حذفت لاستقام الكلام, لو قيل ليس مثله شـيء يسـتقيم الكلام أو لا ؟ يستقيم الكلام لا شك, لكن لماذا جاءت الكاف ؟ جاءت الكاف للتوكيد, كأنه نفى المثل مرتين: ليس كهو ليس مثله, فالزيـادة هنـا فيهـا زيـادة معنى, وهو كأنه نفى المثلية مرتين, مرة عن طريق الكاف ومـرة عـن طريق مثل, وبعضـهم يقـول: إن الزائـد مثـل وإن التقـدير: ليـس كهـو شيء, لكن هذا قول ضعيف, لأنـه إذا دار الأمـر بيـن أن تكـون الزيـادة

حرفا أو اسما فالواجب أن تكون الزيادة حرفا, لأنه لم يـأت فـي اللغـة العربية زيادة الأسماء, ولأن الحرف معناه في غيره فمجيئه زائدا ليـس بغريب, والاسم يدل على معنى في نفسه, فإتيانه زائدا بعيد, إذا عنـدنا قولان:

الأول أن الكاف زائدة وهذا سهل وجرى في اللغة العربية مثله, وتكون الزيادة هنا للتوكيد, وبعضهم قال: الزاد مثل وهو قول ضـعيف, بعضـهم يقول : إن المثل هنا بمعنى الصفة, يعني: ليس كصفته شـيء, والمثـل تأتي بمعنـى الصـفة مثـل قـوله تعـالى : **(( مثل الجنة الـتي وعـد المتقون ))** أي صفتها وهذا أيضا ضعيف, لأننـا نقـول : إن اللـه ليـس مثله شيء لا فـي ذاتـه ولا فـي صـفاته, بعضـهم يقـول : إن هـذا علـى سبيل المبالغة, يعني إذا لم يكن لمثله مثل لـو فـرض أن لـه مثلا فمـن باب أولى ألا يكون له هو مثل, وأن هذا مما جرى علـى لسـان العـرب للمبالغة في المبالغة في الوصف, وأنشدوا على ذلك: **" ليس كمثـل الفتى زهير "** من المبالغة, يعني هذا لا نظير له إطلاقا, وهذا الأخيـر والأول هما أقرب الأقـوال فـي إعـراب هـذه الجملـة, لكـن مـن حيـث المعنى والاعتقاد نؤمن بأن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاتـه ولا في صفاته ولا في أفعاله, ليس كمثله شيء في كل شيء, يجب علينـا أن نؤمن بهذا, فذاته مخالفة لجميع الذوات, نحن نرى الذوات مختلفـة, الإنسان مركب من عظم ولحم وعصـب ودم هنـاك أشـياء مركبـة مـن جواهر أخرى, الرب عز وجل مباين لكل شيء موجود فـي الكـون فـي ذاته لا تقل مثلا : إنه مثل الذهب مثل الفضة وما أشـبه ذلـك لا, ولهـذا لما قال المشركون للرسول: يا محمد هل ربك من ذهب أو مـن فضـة أو من كذا أو من كذا أنزل الله تعالى قوله تعـالى : **(( قل هـو اللـه أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفـوا أحـد ))** فلا تتصور ذات الرب عز وجـل أبـدا, لأنـك مهمـا تصـورت علـى أي شـيء تتصورها ؟ لا مثيل له ولا نظير له, كذلك في صفاته ليس له مثيل ليس له نظير في أي صفة من صفاته.

ولنأخذ العلم, العلم من صفات الله عز وجـل, هـل لـه نظيـر فـي هـذه الصفة ؟ لا نظير له في هذه الصـفة أبـدا, علـم كـل ذي علـم محـدود, أعلم الناس علمه محدود, أليس كـذلك ؟ قـال اللـه عـز وجـل : **(( إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَـا فِـي الأَرْحَـامِ وَمَا تَدْرِي نَفْـسٌ مَـاذَا تَكْسِـبُ غَـدًا ))** أنـت بنفسـك لا تـدري مـا

تكسب غدا, قد تقدر أنك ستعمل كذا وكذا ولكن لا تعمل, إما لصرف الهمة أو لمانع خارجي, كلنا نقدر أن غدا سنفعل كذا وكذا لكن ما نفعله, ولا ندري ما يكون, قد يصرف الله همتنا عن هذا الفعل أو توجد موانع خارجية من مرض أو سفر أو حيلولة بيننا وبين مرادنا ما ندري عنه, أيضا علمك محدود بالمشاهدة, الغائب لا تفكر أن عندك علما منه حتى في المشاهد علمك ناقص, الإنسان لا يعلم ماذا يفعل ولده في بيته ولا أهله في بيته, بل أشد من هذا وأضعف في العلم أنك لا تعلم عن نفسك ـ سبحان الله ـ روحك التي بها حياتك وهي في جسمك لا تدري عنها, لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح أنزل الله تعالى: **(( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ))** ثم وبخهم على هذا السؤال فقال : **(( وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ))**[الإسراء:85] كأنه يقول سبحانه وتعالى : تسألون عن الروح وأنتم ما أحطتم بالأشياء, ما علمتم عن الأشياء إلا قليلا, ما بقي عليكم إلا علم الروح حتى تسألوا عنها ؛ فإذا كان الإنسان لا يعلم روحه التي بين جنبيه وبها حياته فهو دليل على نقصان العلم, علم الله عز وجل اسمع ماذا يقول : **(( ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ))** كل إنسان كل حيوان فالله عز وجل يعلم ما في نفسه, واضح هل علم المخلوق مثل هذا ؟.

في القدرة, القدرة ليس أحد, بل لو اجتمع الخلق كلهم بقدرهم ما ساووا شيئا من قدرة الله, فإن الله عز وجل على كل شيء قدير, اسمع قال الله عز وجل : **(( إن كانت إلا صيحة واحدة ))** يعني البعث صيحة واحدة يصيح الله بهم: **(( فإذا هم جميعا لدينا محضرون ))** كلهم في أقطار الدنيا ولو في الغابات والكهوف وأعماق البحار كلهم يأتون في آن واحد **(( فإذا هم جميعا لدينا محضرون ))** هذه القدرة هل يمكن أن يشابهها أو يماثلها قدرة ؟ لا يمكن أبدا, لذلك نقول : إن الله ليس كمثله شيء.

واعلم أن هذه الآية استدل بها المعطلة والممثلة وأهل السنة, كل الثلاثة: الممثلة والمعطلة وأهل السنة, الممثلة قالوا : **(( وهو السميع البصير ))** إثبات يدل على المماثلة لأن الله سبحانه وتعالى ـ هذه شبهتهم ـ خاطبنا بالقرآن, والقرآن جعله الله بلسان عربي من أجل أن نعقل ونفهم قال الله تعالى : **(( إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ))** قالوا : فإذا خاطبنا الله بشيء مما وصف به نفسه

وجب أن نحمله على ما نفهم, ونحن لا نفهم إلا ما نحس بـه فيجـب أن تحمل كل صفة لله على ما كان معلوما, ولذلك قـالوا : إن اللـه تعـالى مثل خلقه, نسأل الله العافية, والله لو كان مثلنا ما عبـدناه, ولا يمكـن أن يعبد الإنسان مثله, لكن هم بعقولهم الضالة قـالوا: يلـزم ممـا أخـبر الله به عن نفسه من الصـفات أن تكـون مثـل صـفاتنا, والشـبهة ؟ أن الله خاطبنا بما نفهم ونعقل ونحن لا نفهم إلا مـا نشـاهد, فـإذا خاطبنـا عن شيء غائب وجب أن نحمله على المعلوم عندنا.

المعطلة استدلوا بقوله : **(( ليس كمثله شيء ))** وقالوا : كل صـفة أثبتها الله لنفسه فإنها تدل على التمثيل فيجب أن تكون منفية, والـذي فتح لهم الباب هم الممثلة يقولون : كل صفة أثبتهـا اللـه لنفسـه فإنهـا تستلزم التمثل, والتمثيل ممتنع, إذا يجب أن تمتنع كل صفة, مثال ذلك يقولون : إن الله عز وجل لم يستوي على العرش الاسـتواء الحقيقـي, لأنه لـو اسـتوى علـى العـرش لكـان جسـما فيكـون ممـاثلا للمخلـوق, فتصوروا الآن هم تصوروا أن استواء الله على عرشه كاستواء الإنسان على الأنعام, فلما فهموا هذا الفهم أنكـروا الاسـتواء, الإنسـان يسـتوي على البعير كما قال تعالى : **(( وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ))** هم فهموا أن اسـتواء اللـه علـى العرش كاستواء الإنسان على البعير على الأنعام, وقـالوا : هـذا تمثيـل والتمثيل مستحيل على الله فيجب إنكاره.

وهذا قول المعتزلة والجهمية ومن ضاهاهم, نفوا كل صفة لله, وقالوا : لا يمكن أن نصـف اللـه بشـيء, الحجـة ؟ أن الإثبـات يسـتلزم التمثيـل والله عز وجل قد نفى أن يكون له مثل, وأيضا المماثلة مسـتحيلة عقلا فيكون دل العقل ـ على زعمهم ـ دل العقل والشرع على أن الله ليس له مثيل, فيجب أن ننفي جميـع الصـفات, فهـؤلاء حقيقـة أمرهـم أنهـم مثلوا أولا ثم عطلوا ثانيا, مثلوا أولا حيث اعتقـدوا أن الأدلـة تـدل علـى التمثيل وهذا اعتقاد فاسد, ثـم بعـد ذلـك عطلـوا وأنكـروا, ولكـن هـذه الشبهة دفعها يسير, نقول لهم: هل تثبتون لله وجودا ؟ إما أن يقولـوا : لا وإما أن يقولوا: نعم, أليس كذلك ؟ ما يمكن يحيصون, إما أن يقولـوا : نعم أو يقولوا : لا, فإذا أثبتوا لله وجودا, نقول: هل هو وجـود حقيقـي أو وهمي ؟ إن قالوا : وهمي كفروا ما فيه إشكال, وإن قالوا : حقيقـي قلنا : طيب هل تثبتون لأنفسكم وجودا ؟ إما أن يقولوا : نعم أو يقولـوا : لا, إن قالوا : لا, قلنا : لا نخاطب أشباحا بلا شيء, لكن لن يقولـون :

لا, يقولون :نعم نثبت لأنفسنا وجودا, نقول : إذا يلزمكم التمثيل لأنكم أثبتم لله تعالى صفة هي ثابتة للمخلوق فيلزمكم التمثيل, شف الباطل لابد أن يندحر, لكن انفك قوم عن هذا الإلزام من الغلاة قالوا : لا نقول : إن الله موجود, أعوذ بالله تعبدون من ؟ قالوا : لا نقول: إن الله موجود, قلنا: معدوم, إذا قلتم : غير موجود لزم أن تقولوا: إنه معدوم, إن قلتم: إنه معدوم مثلتم, لأن الموجود من الخلق يكون معدوما قبل وجوده وبعد وجوده, قال الله تعالى : **(( هل أتى على الإنسان حينا من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ))** وهذا حقيقية, الواحد منا قبل ولادته بسنتين ليس بشيء معدوم, فإن قلتم أن الله معدوم شبهتم ومثلتم على قاعدتكم, قالوا : إذا نقول : لا موجود ولا معدوم, أعوذ بالله : لا موجود ولا معدوم, نقول : الله أكبر هل يمكن أن يكون الشيء لا موجودا ولا معدوما ؟ كل شيء فهو إما موجود وإما معدوم, لأن تقابل الوجود والعدم تقابل تناقض, والمتناقضان لابد من وجود أحدهما, لا يمكن أن يجتمعا ولا أن يمتنعا, فإذا قالوا: لا موجود ولا معدوم نقول: شبهتموه الآن بالمستحيلات والممتنعات, فأهل الباطل لا مفر لهم من لوازمه الباطلة.

تكايس قوم وقالوا: نحن لا نقول أنه لا يتصف بصفة لكننا نصفه بما نحكم به عليه ولا يحكم به على نفسه, انتبه قالوا: لا ننكر الصفات, لكن نصفه بما نحكم به عليه لا بما يحكم به على نفسه, وهؤلاء المتكايسون هم الأشعرية أثبتوا بعض الصفات وأنكروا أكثر الصفات, أثبتوا من الصفات سبعا وأنكروا الباقي, فأثبتوا الحياة, والعلم, والقدرة, والسمع, والبصر, والإرادة, والكلام, وأنكروا الباقي قالوا : لا نثبت من الصفات على وجه الحقيقة إلا هذه الصفات السبع, فهذه ثابتة حقيقة على اختلاف بينهم وبين أهل السنة في بعضها, الكلام عندهم غير الكلام عند أهل السنة, والباقي لا نثبته, ايش تعملون به ؟ قالوا لنا : فيه طريقان : إما التفويض بأن نقول : لا ندري ما معناه, وإما التأويل الذي يسمونه تأويلا وهو في الحقيقة تحريفا, والأشاعرة هم أكثر الناس انتشارا في البلاد الإسلامية, ولهذا يجب أن نعرف مذهبهم تماما, ونعرف الرد عليهم حتى يتقلص هذا المذهب أو يزول بالكلية, ونسأل الله تعالى أن يزيله إلى الحق, نسأل الله تعالى أن يشملنا وإياكم برحمته, وأن يوفقنا وإياكم إلى ما يحب ويرضى.

والأشاعرة هم أكثر الناس انتشارا فـي البلاد الإسـلامية, ولهـذا يجـب أن نعرف مذهبهم تماما ونعرف الـرد عليهـم حـتى يتقلـص هـذا المـذهب أو يزول بالكلية, ونسأل الله تعالى أن يزيله إلى الحق, يقولون : نثبت هذه الصفات السبع وغيرها لا, ولذلك يقولـون فـي اسـتعمالهم للنصـوص مـا سوى هذا: إما أن نفوضه ونقول: لا نـدري معنـاه, وإمـا أن نـؤوله ونحـن نسمي تأويلهم تحريفا لأن التأويل الذي لا دليل عليه تحريف, طيب وفـي ذلك يقول ناظم عقيـدتهم : " **وكل نـص أوهـم التشـبيه أولـه أو فـوض ورم تنزيهـا** " واللـه عجيـب, إن فوضـناه أو أولنـاه بمعنـى التحريف فإننا لم نرم التنزيه بل وقعنا في العيب, وجهـه لأن إذا قلنـا : لا نعلم هذا المعنـى, لا نعلـم معنـى, فهـذا يعنـي أن اللـه أنـزل علينـا كتابـا مجهولا لا يدرى معناه, وليته لا يدرى معناه في أمـور تتعلـق بفعـل العبـد كالصلاة والطهارة في العقيدة, وإن حرفناه وقعنا أيضا في بلاء في اتهام الله عز وجل أنه لم يبين لعباده إلا ما كـان خلاف الحـق, وكلاهمـا شـيء كبير, حتى إن شيخ الإسلام رحمه الله يقول : إن قول أهل التفويض مـن شر أقوال أهل البدع والإلحاد, وأنه هو الـذي فتـح للفلاسـفة القـدح فـي الدين وقالوا : إذا كنتم لا تعرفـون المعنـى وأنتـم عجـم بالنسـبة للقـرآن العربي نحن نعرف, وصاروا يخبطون خبط عشواء.

الآن نعود إلى مذهب الأشاعرة يثبتون للـه سـبع صـفات: الحيـاة والعلـم والإرادة والقدرة والسـمع والبصـر والكلام, ومـع ذلـك إثبـاتهم لهـا ليـس كإثبات أهل السنة والجماعة, نضرب مثلا بـالكلام, الكلام يقولـون : اللـه عز وجل ما هو يتكلم بصوت مسموع أبدا, وإنما كلامه هو المعنى القـائم بنفسه, وما يسمعه العباد فإنما هو عبارة عن الكلام مخلـوق, فلمـا قـال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : **( إني فرضت عليك خمسين صلاة )** بهذا اللفظ أو معناه, الله ما قاله, لأن الكلام هو المعنى القائم بنفسه, لكن خلق أصواتا سمعها النبي صلى الله عليه وسلم تعبر عما في نفسه, سبحان الله الآن لو تفكرنا لوجدنا قولهم هذا أخبـث مـن قـول الجهميـة, ليش ؟ الجهمية عندهم صراحة قالوا : كلام الله مخلـوق ومسـموع لكنـه مخلـوق, هـؤلاء قـالوا : كلام اللـه غيـر مخلـوق لكنـه غيـر مسـموع, هـو المعنى القائم بنفسه ويخلق أصواتا تسـمع تعـبر عمـا فـي نفسـه, أيهـم أصرح ؟ الجهمية, ما بين أيدينا القرآن هذا, الجهميـة يقولـون : هـذا كلام الله حقيقة لكنه مخلـوق, الأشـاعرة يقولـون : لا, هـذا مـا هـو كلام اللـه حقيقة, هذا عبارة عن كلام الله, وكلام الله هو المعنـى القـائم بـالنفس,

أيهم أحسن ؟ الأول, وكلاهما غير حسن, لكن نحن نقول أحسن كما قال الله عز وجل : **(( أصحاب الجنة يومئذ خير مستقر ))** مع أنه ما فيه خير مستقر أهل النار؛ على كل حال الأشعرية أثبتوا سبع صفات قيل لهم: ما هو الدليل على إثبات الصفات السبع ونكر ما سواها ؟ قالوا : الدليل العقل, العقل دل على إثبات هذه الصفات ولم يدل على إثبات غيرها, إذن حكموا العقل فيما يثبتون لله ولم يحكموا الله فيما يثبت لنفسه, وهذا عدوان في حق الله عز وجل, من الذي يحكم على نفسه لنفسه ؟ الله عز وجل, أنتم تحكمون على الله قالوا : الله خاطبنا ولنا عقول لابد أن نعمل العقول, قلنا : طيب, أعطونا دليلا عقليا على هذه الصفات السبع, قالوا : نعم نعطيكم أدلة عقلية, الإيجاد يدل على القدرة, لأن العاجز لا يوجد شيئا, ومعلوم أننا نرى المخلوقات تتواجد شيئا فشيئا, قالوا: إيجادها يدل على القدرة؛ طيب المخلوقات الكائنة بعضها إنسان وبعضها حصان وبعضها جمل وبعضها شمس وبعضها قمر وبعضها سماء وبعضها أرض, هذا التخصيص يدل على الإرادة, لولا الإرادة ما صار هذا كذا وهذا كذا, إذن أثبتنا الإرادة والقدرة, هذه المخلوقات محكمة متقنة ما فيها تناقض ولا تصادم, لم نرى الشمس يوما من الأيام اصطدمت بالأرض أو بالقمر أو بالنجوم, محكم متقن يدل على العلم, إذن ثبت ثلاث صفات عن طريق العقل: وهي العلم والإرادة والقدرة, قالوا: وهذه الصفات لا يمكن أن تقوم إلا بحي, فثبتت بذلك صفة الحياة, قالوا: والحي إما أن يكون سميعا بصيرا متكلما, أو أصم أعمى أخرس, والأول كمال والثاني: نقص والله تعالى منزه عن النقص, فوجب أن يكون سميعا بصيرا متكلما, فنحن قد نوافقهم على هذا ونقول: العقل دل على ذلك, لكن ما سوى هذه دل عليها الشرع ونحن نتنزل معهم إلى آخر شيء, نقول: ما سوى ذلك دل عليه الشرع, ومن المعلوم أن انتفاء الدليل المعين لا يستلزم انتفاء المدلول, لأن الأدلة قد تتعدد على مدلول واحد, فإذا قدرنا أن العقل لم يدل على الصفات التي أثبتها الله لنفسه سوى السبع فقد دل عليها الشرع, والشرع يثبت بدليل واحد وبدليلين وبثلاثة المهم أن يكون له دليل, هذه واحدة, هذا جواب، جواب آخر أن نمنع من كون العقل لم يدل على بقية الصفات ونقول : بقية الصفات منها ما دل عليه العقل ومنها ما دل عليه السمع فقط, فمثلا إنزال المطر إنبات النبات رفع الوباء بسط الرزق, ممن هذا ؟ من الله عز وجل, ماذا يدل عليه هذا ؟ يدل على الرحمة دلالة واضحة أقوى

من دلالـة التخصـيص علـى الإرادة, لأن دلالـة التخصـيص علـى الإرادة لا يفهمه إلا ذاك إلا طالب العلم المختص, حتى طالبة العلـم أحيانـا ننشـب نحن وإياهم, يقول: كيف دلت التخصيص على الإرادة ؟ لكـن كـون هـذه الأمور النافعة, حصول النعم واندفاع النقم تـدل علـى الرحمـة, هـل هـو خفي أو واضح ؟ واضح, حتى العامي، العامي يخرج من بيته فـي الصـباح وقد جاء المطر في الليل فيقول : مطرنا بفضل الله ورحمته وهو عـامي فنقول لهم : الآن ما نفيتمـوه زاعميـن أن العقـل لا يـدل عليـه فلنـا عنـه جوابان :

الجواب الأول أننا لا نسلم أن العقل لا يدل عليـه, بـل نقـول : إن العقـل يدل عليه وإن كان لا يدل على كل صفة لكن بالجملة .

ثانيا : أن نقول : هب أن العقل لا يدل عليه لكن دل عليه السـمع القـرآن والسنة, ولا يلزم من انتفاء دلالة العقل أن لا يثبـت الشـيء بـدليل آخـر, لأن انتفاء الدليل المعين لا يستلزم انتفاء المدلول, وهـذه قاعـدة مفيـدة وأضرب لكم ذلك بشيء محسـوس, مكـة كـم لهـا مـن طريـق ؟ طـرق متعددة, فإذا قدر أن هذا الطريق يمتنع السير معه لوجـود قطـاع طريـق أو وجود أمطار أفسدته أو ما شابه ذلك, ألا يمكن أن نصل إلى مكـة مـن طريق آخر ؟ بلى, هكذا المعاني, إذا انتفى دليل مـن الأدلـة لكـن وجـدنا دليل آخر هل ننكر هذا المدلول لأن أحد الأدلة غير قائم ؟ لا, مـا دام هـذا الدليل غير قائم فهناك دليل آخر.

ولذلك هدى الله أهل السنة والجماعـة إلـى القـول الوسـط لا تمثيـل ولا تعطيل قالوا : نثبت لله عز وجل جميع ما وصف به نفسه فـي القـرآن أو فيما صحت به السنة, لاحظوا لا بد هذا القيد بالنسبة للسنة فيمـا صـحت به السنة, لأن من الأحاديث ما هو ضعيف أو موضوع ، القرآن لا تقل : ما صح في القرآن لأن كله صحيح, في السنة لابد أن تقيـد أو مـا صـحت بـه السنة, نثبت كل صفة ولا نتحاشى ولا نتهيب, إذا كان الله عز وجل أثبـت لنفسه يدا وقال : **(( بل يداه مبسوطتان ))** هل علينا أن نتهيـب مـن إثبات اليد بل هل لنا أن نتهيب ؟ لا يجوز أبدا, بل الهيبة أن نخالف, أثبـت اليد ولا تبالي, أثبت ربك لنفسه وجها تتهيب من إثبات الوجه ؟ لا, التهيب حقيقة من نفي الوجه, أما ما أثبته الله فيجـب أن نثبتـه لكـن علـى هـذه القاعدة: ليس كمثله شيء, فنقول : للـه وجـه وليـس كـوجه المخلـوق, يقينا أنه ليس كأوجه المخلوقين, فـإن قـال قائـل : مـا دليلـك ؟ لمـاذا لا تحمل الوجه على الوجه المعروف ؟ دليله: **(( ليس كمثله شيء ))**.

أثبت الله تعالى أنه يـأتي يـوم القيامـة: **(( وجاء ربك والملـك صـفا صفا ))** أتتهيب أن تصف الله بالمجيء ؟ لا, ما نتهيب نقول : نصف اللـه بالمجيء, لكن هل هو كمجيء الملك على فـرس أو سـيارة أو مـا أشـبه ذلك ؟ لا, يقينا ليس كذلك, لكنه مجيء يليق بجلاله, أثبت الله لنفسه أنه استوى على العرش في عدة مواضع من القرآن تبلغ سبعة بهـذا اللفـظ: **(( استوى على العرش ))** هل تتهيب أن تثبت ذلـك للـه ؟ لا, بـل هـو مسـتو حقيقـة, أتهيـب أن أقـول : **(( استوى ))** بمعنـى اسـتولى, لأن **استوى** بمعنى استولى تحريف للكلم على مواضعه, لكنني أؤمن إيمانـا لا شك فيه أن هذا الاستواء لا يماثل استواء المخلوقين في أي حـال مـن الأحوال, استوائي على الفك أو على البعيـر لـو أزيـل مـا اسـتويت عليـه لسقطت لا شـك, لكـن اسـتواء اللـه علـى العـرش ليـس كـذلك, ليـس استواء احتياج إلى العرش, لأن الله غني عن العـرش وعـن غيـره, لكنـه استواء عظمة وسـلطان, حققـوا العقيـدة لا تغركـم الأوهـام, ومـا ذنـب الإنسان إذا قال : أنا أؤمـن بكـل م ا أثبتـه لنفسـه ؟ ليـس ذنبـا, بـل هـذا حقيقة الانقياد والاستسلام لله عز وجل, لكن يجب شـيء واحـد وهـو أن تؤمن بأنه لا مثيل له, لأن الله قال: **(( لا تضربوا لله الأمثال ))** وقال : **(( ليس كمثله شيء )) (( ولا تجعلوا لله أندادا ))** وأشبه ذلـك, وأنت لا تعلم الغيب, الله عز وجل هو الذي يعلم وهو أخـبرك عـن نفسـه بكذا فقل : آمنا وصدقنا.

وقد ذكر شيخ الإسـلام رحمـه اللـه أن المعطلـة أقسـام : قسـم عطلـوا البعض, وقسم عطلوا الصفة دون الاسم, وقسم عطلوا الصـفة والاسـم نفيا لا إثباتا, يعني بمعنى قالوا : لا نصـف اللـه بشـيء ثـابت لكـن نصـفه بالنفي, وقسم قالوا : لا نصفه لا بالنفي ولا بالإثبـات, إن وصـفناه بثـابت شبهناه بالموجودات وإن وصفناه بمنفي شبهناه بالمعدومات.

طيب قوله تعالى : **(( ليس كمثله شيء ))** نرى في بعـض الكتـب: **" إن الله لا شبيه له "** فهل هذا التعبير يماثل قولنا : إن الله لا مثل له ؟ لا, ولهذا التعبير بقولنا : نؤمن بإثبات ذلك بلا تمثيل خير من التعبير بقولنا : نثبت ذلك بلا تشبيه مع أننا نرى أكثر الكتب الـتي بأيـدينا أنهـم يقول ون: بلا تشبيه, لكن هذا نقص, التعبير بلا تمثيل أولى, أولا: لأنه تعـبير القـرآن وكلما أمكنك أن تعبر بالقرآن أو السنة عن المعاني التي تريد فهو أولى .

ثانيا : أن التشبيه عند قوم يعنون به إثبات الصـفات ويقولـون : كـل مـن أثبت لله صفة فهو مشبه فإذا قلت : أنت بلا تشبيه وكان هـذا المخـاطب

لا يفهم من التشبيه إلا الإثبات فهم منك أنك لا تثبت شيئا, ثـم إن التشـبه أيضا له احتمالات, إن نفيت التشبيه من كل وجه فهذا لا يمكن, لأنـه لابـد أن يشترك الخالق والمخلوق في أصل الصفة, فالحيـاة مثلا عنـدنا حيـاة والله تعالى حي, أصل الحياة موجود, لكن المنفي أن تكون حياتنا مماثلة لحياة الله, السمع موجود فينا وموجود عند الله عز وجل, فإن الله تعالى سميع, فلابد من اشتراك في الأصل, وجودنا نحن موجودون والـرب عـز وجل كذلك واجب الوجود, وهلم جرا, فصار التعبير بنفـي التمثيـل أولـى من التعبير بنفي التشبيه.

طيب قـال تعـالى : **(( وهو السـميع البصـير ))** هـذا رد علـى مـن ؟ المعطلة, والجملة الأولـى: **(( ليس كمثلـه شـيء ))** علـى الممثلـة؛ السميع أي ذو السمع وسمع الله عز وجل له معنيان :

المعنى الأول : الاستجابة كقوله تعالى : **(( إن ربي لسميع الدعاء ))** معنى سميع أي مستجيب, وليس المراد أنه يسمعه فقط لأن مجرد كونه يسمعه ولا يستجيب قليل الفائدة, لكن: **(( إن ربي لسميع الدعاء ))** أي مستجيبه, واستجابته إياه تستلزم سماعه لا شك, ومن ذلك أيضا, أي من كون السماع بمعنى الاستجابة, قول المصلي : **" سمع اللـه لمـن حمد "** يعني أنه سمع صوته أو استجاب له ؟ استجاب له, لأن كمـا قلـت لكم : مجرد سماع الصوت لا يفيد شيئا بالنسبة للـداعي, ولهـذا لـو قـال لك إنسان : يا فلان أرجوا أن تساعدني تقول : أسمع, يعني أسمع بأذني, هل يستفيد من هذا أو لا يستفيد ؟ لا يستفيد, لأنه سيقول لـك : إذا كنـت تسمع أعطني, فصار كل ما أضيف للدعاء من السمع فمعنـاه الاسـتجابة طيب .

النوع الثاني من السمع : إدراك المسموعات, بمعنى أنـه لا يخفـى علـى الله أي صوت, قرب أم بعد خفـي أم بـان, فـإن اللـه يسـمع كـل شـيء, أرأيتـم قـوله تعـالى : **(( قَدْ سَـمِعَ اللَّـهُ قَـوْلَ الَّتِـي تُجَادِلُـكَ فِـي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ))**[المجادلـة:1] أين اللـه ؟ فـي السـماء علـى العـرش, وأيـن المكـان الـذي كـانت هـذه تشتكي فيه ؟ في الأرض, تقول عائشة رضي الله عنهـا : **" الحمد للـه الذي وسع سمعه الأصوات لقـد كـانت تجـادل الرسـول عليـه الصلاة والسلام وإني لفي الحجرة يخفى علي بعض حـديثها "** وهي في الحجرة, والله عز وجل لا يخفـى عليـه شـيء, سـمع المجادلـة وسمع التحاور وأنزل حل المشكلة, إذا سمع بمعنى سمع الإدراك شامل

لكل صوت, ثم هذا السمع إمـا أن يكـون للتأييـد أو للتهديـد أو للإحاطـة, ثلاثة أقسام : إما أن يكون للتأييد أو للتهديد أو للإحاطة, التأييد مثل قوله تبـارك وتعـالى لموسـى وهـارون : **(( لا تخافا إننـي معكمـا أسـمع وأرى ))** هذا لمـاذا قـال اللـه عـز وجـل : **(( أسمع وأرى ))** ؟ تأييـدا لهما, يعني أسمع ما تقولان وما يقال لكما, والأمر أمـره عـز وجـل, هـذا سماع يراد به التأييد .

الثـاني : مـا يـراد بـه التهديـد مثـل قـول اللـه تبـارك وتعـالى : **(( أم يحسبون أنـا لا نسـمع سـرهم ونجـواهم بلـى ورسـلنا لـديهم يكتبون ))** ما المراد بهذه الآية ؟ ليس المـراد مجـرد أن اللـه يخـبر أنـه يسمع سرهم ونجواهم, المراد بذلك التهديد, ونظير هذا قوله تعالى : **(( لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقيـر ونحـن أغنيـاء ))** هذا تهديد بدليل قوله : **(( سنكتب ما قالوا ))** فهذا تهديد,

الإحاطة: أن يخبر مثل: **(( وهو السميع البصير ))** إخبـار بـأنه تعـالى محيط بكل شيء سمعا, وكما في قصة المجادلة فـإن اللـه تعـالى أخـبر بذلك ليعلمنا أنه محيط بها, أعود مرة ثانية في السمع, ينقسم إلى سمع بمعنى الاستجابة وسمع بمعنى إدراك المسموع, الأول مثاله قوله تعـالى : **(( إن ربي لسميع الدعاء ))** وقول المصلي : **" سمع اللـه لمـن حمد ".**

والثاني ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول ما يراد به التأييد .

والثاني : ما يراد به التهديد .

والثالث : ما يراد به الإحاطة, وعرفتم الأمثلة.

طيب: **(( البصير ))** لها معنيان :

المعنى الأول : إدراك الشيء بالبصر .

والثاني : العلم, فهنا: **(( البصير ))** تشمل المعنيين, فبصر اللـه تعـالى محيط بكل شيء لا يخفى عليه, والـدليل علـى أن بصـير تتضـمن البصـر قـوله فـي الحـديث الصـحيح : **( حجابه النور لـو كشـفه لأحرقـت سبحات وجهه من انتهى إليه بصره مـن خلقـه )** يعنـي لأحرقـت كل شيء, لأن بصر الله ينتهي إلـى كـل شـيء, فـالمعنى لأحرقـت هـذه السبحات, والسبحات هي البهاء والعظمة كل شيء لا إله إلا الله.

بصير بمعنى عليم مثل قوله تعالى : **(( بصير بما تعملون ))** ومعلـوم أنا نعمل أشياء لا ترى, في قلوبنا أشياء لا ترى والله يعلمها, فإذا البصـير

من أسماء الله عز وجل أي ذو البصر, وله معنيـان: بصـير بمعنـى إدراك المرئيات ببصره.
والثاني : بمعنى العليم.
إخوتنا إذا سمعتم أسماء الله وصفاته فليـس المقصـود أن نعلـم المعنـى فقط, بل أن نتعبد لله بها, فإذا علمنا أنه سميع أوجب لنـا أن نخـاف مـن قول يغضب الله لأن الله يسمع, إذا علمنا أنه بصـير أوجـب لنـا أن نحـذر من كل فعل يغضب الله, لأن الله تعالى يبصره ويراه, ففي هذه الأسماء التي يخبرنا الله بها تربية للإنسان أن يحذر الله عز وجـل مـن أن يخـالفه بقول أو فعل.
**(( ليس كمثله شيء هو السـميع البصـير ))** ولعلنـا أشـبعنا الكلام في هذا, وأهم شيء أن تبني عقيدتك على أمرين : إثبـات مـا أثبتـه اللـه لنفسه في القرآن أو السنة .
والثاني: نفي المماثلة أنه لا مثيل له.
بقي شيء آخر: هل علينـا أن نكيـف الصـفة بـدون أن لا تكـون ممـاثلا ؟
الجواب: لا, لا يجوز أن نكيف الصفة لأن ا لله تعالى قال : **(( ولا تقـف ما ليس لك به علم ))** وقـال عـز وجـل : **(( قُـلْ إِنَّمَـا حَـرَّمَ رَبِّـيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَـنَ وَالإِثْـمَ وَالْبَغْـيَ بِغَيْـرِ الْحَـقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ))** [الأعراف:33] هل أنت علمت كيفيـة اللـه عـز وجـل, كيفية صفاته, لا, أنا أؤمن بأنه ينزل لكن لا أدري كيف ينـزل, أؤمـن بـأنه اسـتوى علـى العـرش ولكـن لا أدري كيـف اسـتوى, فالكيفيـة لا يجـوز للإنسان أن يتخيلها, ولا يجوز أن ينطق بها, لأن الله أعظم من كل تخيـل تتخيله, ولأنك لو تخيلت فإنك سوف تعبد صنما, لأن هذا المتخيل لابـد أن يكون عندك تصور أنك تعبد هذا الذي تتخيله, فتكون من جنس الممثلين, وفي مقدمة النونية لابن القيم قال : **" المعطل يعبد عدما والممثل يعبد صنما "** إذا لا تتخيل الكيفية, ولهذا جاء في الأثر: **( تفكروا فـي آيات الله ولا تفكروا فـي ذات اللـه )** الآيـات تفكـر فيهـا, السـماء والأرض النجوم البشر المخلوقات الأخرى تفكـر فيهـا بقـدر مـا تسـتطيع لتستدل بها على الخالق عز وجل, لكن في ذات الله, لا، لا تتفكر, طيـب هل لنا أن نتفكر في معاني أسماء الله وصفاته ؟ نعم, بل يجب أن نتفكر في المعنى, والمعنى غير الكيفية, سئل الإمام مالك رحمه الله قيل له يا أبا عبد الله: **(( الرحمن علـى العـرش اسـتوى ))** كيـف اسـتوى ؟

أتدرون ماذا حصل للإمام مالك ؟ قام يتصبب عرقا وأطرق رأسه حياء وخجلا, ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف, نحن تمر علينا هذه الكلمة مر الرياح لا تؤثر في القلوب شيئا, لكن أهل المعرفة بالله الذين هم أهله لابد أن يتأثروا, أطرق برأسه وقام يتصبب عرقا, ثم رفع رأسه وقال : **" يا هذا الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك ـ يعني ما أظنك ـ إلا مبتدعا "** ثم أمر به فأخرج لا مقام له عندي؛ هؤلاء هم الرجال, فالمعاني معلومة ولا يمكن أن يخاطبنا الله عز وجل بما لا نعلم أبدا, لكن الكيفيات مجهولة, فإن قال قائل : كيف أتصور المعنى ولا أتصور الكيفية ؟ قلنا : هذا سهل, الآن لو أقول لك : فلان صعد على السطح, تعرف معنى صعد ؟ نعم, لكن هل تعرف كيف صعد مع أنه مثلك ؟ لا تعرف كيف صعد, يمكن صعد على يديه ورجليه, يمكن صعد بعربية, يمكن صعد محمولا, يمكن صعد يمشي على يديه, ما فيه ناس يمشون على أيديهم الآن ؟ شاهدنا من يمشي على يديه يا جماعة, من هذا الطرف إلى الطرف الآخر, ويمكن يمشي على رأسه ؟ هذه ما أظنه لأنه لا يمكن أن ينقز على الرأس, لكن على كل حال نحن الآن إذا قيل فلان : صعد على السطح, أنا أعرف معنى الصعود, لكن كيف صعد ؟ ما تدري, فإذا عقل المعنى دون الكيفية أمر واقع, فنحن نؤمن بأن الله عز وجل استوى على العرش لكن لا نكيف ذلك ولا ندري كيفيته, وما لا ندري كيفيته لا يجوز أن نتكلم فيه, كما قال الله عز وجل : **(( ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ))** أرجوا الله تعالى أن ينفع بهذا الكلام, لأنه كلام مهم جدا كلام في العقيدة, ولا يمكن أن يستريح الإنسان راحة نفسية ولا أن يتخلى على الشبهات إلا إذا لزم مذهب أهل السنة والجماعة, نثبت لله ما أثبته لنفسه وننفي ما نفاه عن نفسه, وإثباتنا إثبات تنزيه لا إثبات تمثيل, ونفينا نفي تنزيه لا نفي تعطيل, والله الموفق.

السائل: ما الفرق بين قول القرآن عبارة عن كلام الله وحكاية, ما هو الفرق ؟

الشيخ: الفرق العبارة أنه لا علاقة بين ما في نفسه وما خلقه, قد يكون في نفسه شيء الآن ويخلقه بعد ساعة أو ساعتين, الحكاية كحكاية الصدى, الصدى الآن إذا كنت بين جبال وتكلمت يرد عليك, هذا يسمى حكاية, وهذا يلزم منه أن يكون ما يسمع في الحال.

... الشيخ: هذه العبارة للموفق رحمه الله في عقيدته, هي التي جاء بها الإمام أحمد, نفس الإمام أحمد فسر, قال: **" نؤمن بذلك لا كيف ولا معنى "** ومراده لا معنى: ما ذهب إليه أهل التحريف الذين يجعلون لآيات الصفات معنى يعينونه هم, لأنه قال : **" لا كيف "** ردا على الممثلة **" ولا معنى "** ردا على المعطلة, فالمراد بالمعنى الذي نفاه الإمام أحمد وتبعه ابن قدامة رحمه الله المراد به المعنى الذي ابتكره هؤلاء المعطلة .

الطالب : كيف نرد على من يقول ظاهر آيات الصفات يقتضي التمثيل ... مع أن قوله : **(( ليس كمثله شيء ))** يمنع ذلك ؟

الشيخ : قل : **(( ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا )).**

الشيخ: قل : **(( ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ))** بس يكفي, القلب إذا زاغ ـ والعياذ بالله ـ انقلب الحق عنده باطلا وانقلب الباطل حقا, وإلا كيف نقول يقتضي التمثيل, أنت لو أخبرتني أنك رأيت الفيل, هل أتصور أن الفيل مثل الإنسان ؟ ما أتصور هذا, إن كنت قد رأيت الفيل عرفت الفرق, وإن لم أكن رأيته فأنا أعلم أن بينهما فرقا, لأنه إن لم يكن فرق لكان الفيل آدميا, ولا تستغرب, الإنسان والعياذ بالله إذا طمس الله على قلبه رأى الحق باطل والباطل حقا, الآن أعظم كلام, كلام الرب عز وجل, وقد قال الله تعالى: (( **إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ))** سواليف لا يتصور لها معنى يوجب الإيمان, قال الله عز وجل: **(( كلا ))** يعني ليست أساطير الأولين: **((بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** )).

الطالب : ما الفرق بين المفوضة والواقفة ؟

الشيخ : الواقفة في الكلام فقط, يقفون يقولون: لا نقول كلام الله حق ولا عبارة, وأما المفوضة فيفوضون كل الصفات, كل الصفات مفوضة فيها .

الطالب: منهم من يقولون أن أهل السنة قسمان: مفوضة ومؤولة ؟

الشيخ : هذا كذب, من قال أن أهل السنة أهل تفويض على وجه الإطلاق فهو كاذب, بل أهل السنة مفوضة للكيفية غير مفوضة للمعنى, وكلام مالك الذي سمعتموه واضح, قال: **" الاستواء غير مجهول "** معلوم **" الكيف غير معقول "** هنا نفوض, نعم .

الطالب: كيف الرد على من يقول أن مالك كان يفوض

وبعض الصحابة: أمروها كما جاءت ؟
الشيخ: الظاهر أن المفوضة أنهم خرجوا بعد ما خرجت بدعة التعطيل, عجزوا أن يقابلوا أهل التعطيل فقالوا إذن نفوض, لأن أهل التعطيل ـ تعرف الجهمية صار لهم شأن كبير ـ فضغطوا على علماء السنة وعجزوا عن مقاومتهم فقالوا إذن لا نقول بهذا ولا بهذا نفوض الأمر, وأما من زعم أن الإمام مالكا رحمه الله مفوض فقد كذب هذا كلامه قال: **"الاستواء غير مجهول "** يعني هو معلوم ولا يجهله أحد, وأما: **" أمروها كما جاءت "** فنعم, والله قالوا هكذا, أمروها كما جاءت بلا كيف, هذا حق, إذا أمرناها كما جاءت فهل نثبت اللفظ فقط دون المعنى ؟ الجواب: لا, لأنها ألفاظ جاءت لمعاني, لم ينزلها الله عز وجل ألفاظا جوفاء لا معنى لها, أو لها مائة معنى ولا ندري ما المراد أبدا, فنقول: أمرناها كما جاءت, أي: ألفاظا لمعاني, ثم قولهم: بلا كيف, يدل على إثبات المعنى, لأنه لولا ثبوت المعنى ما صح أن يقولوا: بلا كيف, إذ نفي الكيف عما ليس بموجود لغو من القول ينزه عنه كلام السلف, فمن استدل بقول السلف هذا قلنا هذا دليل عليك وليس لك.
وأنا أعطيكم فائدة عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كل إنسان يستدل بدليل صحيح ثبوتا على باطل فإنه سيكون دليلا عليه, سبحان الله, هذه قاعدة, وشيخ الإسلام التزم بها, قال: **" أنا ألتزم أن كل إنسان يأتي بدليل صحيح ثبوتها ـ يعني ثابت ثبوتا لا شك فيه ـ على باطل ألتزم أن أجعله دليلا عليه "** لأن استدلال أهل الباطل بالدليل الصحيح معناه

يشم منه رائحة المعنى, هل يمكن أن يكون المعنى الذي يشم من هذا الاستدلال أن يكون باطلا ؟ لا يمكن, ولذلك تأمل إذا فتح الله عليك جميع الأقوال الباطلة التي يستدل قائلوها بدليل صحيح من الكتاب والسنة فسترى أن ما استدلوا به دليل عليهم, هذه الجملة التي ذكرت: أمروها كما جاءت بلا كيف, الآن فهمنا أنها ترد عليهم من وجهين:

الوجه الأول: أننا إذا أمررناها كما جاءت لزم من ذلك إثبات المعنى, لأننا نعلم أن الله لن يخاطبنا بشيء لا نعرف معناه أبدا, ما يكن هذا, لاسيما في أسماء الله وصفاته التي هي العقيدة.

الثاني: قولهم: بلا كيف, يدل على أن المعنى موجود, ولولا ثبوت أصل المعنى ما صح أن يقولوا: بلا كيف .

الطالب : ألا يدل العقل على قدرة الله عز وجل ؟

الشيخ : لا, هذه شواهد, يعني العقل قد يكون عنده شواهد كثيرة على القدرة, لكن أصل القدرة توقيفية.

... الشيخ : ذكرنا هذا, وقلنا لا حاجة له, بعضهم قال: مثل بمعنى ذات, لكن ما لها حاجة, أحسن ما قيل التخريج الأول الذي ذكرناه والأخير .

الطالب: ألا يمكن أن يقال أن التفويض هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه ؟

الشيخ: لا, المفوض لا يدرج معنى أصلا, المفوض لا يثبت معنى, يعني هؤلاء المفوضة نقرأ عليهم قول الله تعالى : **(( هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ... ))** [الحشر:22] إلى آخر السورة سبعة عشرة اسما, ما معناها ؟ قال:

والله ما ندري, ما نثبت, تثبت أن لـه رحمـه ؟ قـال: مـا أدري, تثبت أنه ملك له الملك ؟ قال: ما أدري أنـا علـي أن أقرأ القرآن وبس, وفكنا مـن شـرك, هـل يعقـل أن يكون هـذا مـذهبا لأهـل السـنة ؟ هـذا مـذهب للجهـال, وعلماء السنة والحمد لله فيهم العلمـاء الفحـول الـذين جمعوا بين العلم بالمعقول والمنقول.

ثم يا سبحان الله هل يمكن أن نقول أن أبـا بكـر وعمـر وعثمان وعلي ابن مسعود وابن عباس وغيرهم يقرؤون القرآن وهم لا يعرفون معناه في أسـماء اللـه وصـفاته, إن كنا نعتقد هذا فهو أكبر قدح فـي الصـحابة, بـل إنهـم يقولـون إن الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم يحـدث بالحديث ولا يدري معناه, قالوا إنه قـال: **( ينـزل ربنـا إلى السماء الدنيا حيث يبقى ثلث الليل الآخر )** ما هو معناه يا رسـول اللـه, قـال: واللـه مـا أدري, هـل يعقل هـذا؟ لكـن عنـد المضـايقات فـي المنـاظرة تجـد الإنسان يرتقى مرتقا صـعبا هـو نفسـه يعـرف أنـه غيـر صواب لو تأمل.

... الشيخ: يقول: فيـه رد علـى المعطلـة ؟ أي صـحيح, لأن المعطلــة يشــبهونه بالعــدم, لكــن مــا دام عنــدنا: **(( وهو السميع البصير ))** واضح, لماذا نـذهب نـأتي بمعنى بعيد, فليس كمثله شيء رد على الممثلـة واضـح ولا يحتاج تعب في الفهـم, **(( وهو السـميع البصـير ))** رد علـى المعطلـة أيضـا واضـح ... نعـم الـرد عليهـم ســهل, نقــول هــل أثبــت اللــه لنفســه يــدا أو لا ؟ فسيقولون: نعم, لماذا لا تثبتها أنـت ؟ قـال: أخشـى أن تكون مماثلة ليد الإنسان, نقـول: لا تخشـى هـذا, كيـف

تخشى هذا والله يقول: **(( ليس كمثله شيء ))**. ثـم نقول له, ألست تثبت لشاتك يـدا, يقـول: نعـم, هـل يـد شـاتك مثـل يـدك ؟ خلاص, إذا انتفـت المشـابهة بيـن المخلوقات فيما تتفق فيـه بالأسـماء فانتفـاء المشـابهة في حق الخالق من باب أولى, بل انتفاء المشـابهة فـي حق الله واجب, وفـي حـق المخلـوق غيـر واجـب, الآن القط, أتعـرف القـط مـا هـو ؟ عنـدنا الآن اثنـان, واحـد يقول: البس, والصـواب البـس بالفتـح, إذا قلـت البـس فـأنت لاحـن, والأخ قـال: الهـر, وثـالث يقـول: القـط, والسنور, مـا أكـثر أسـماء الهـر والأسـد, وسـبحان اللـه أيدي الهر وأيدي الأسد متشابهة تماما.

الطالب: ...

الشيخ : ما هو صحيح أبدا, والحجر الأسود يمين الله في الأرض ما صح عن الرسول أبدا ما صح, كما قررناه في كتاب القواعد المثلى, كل الأمثلة التي ذكرتهـا موجـودة في القواعد المثلى, وموجود الرد عليها.

... الشيخ : الطريقـة المثلـى, أمـا إذا كـان لهـم سـلطة بمعنى أنك لو جادلتهم علنا لكان عليك خطر, فدع هـذه المجادلة, لكن لك أن تتكلـم فـي المجـالس الخاصـة أو في المجالس التي لا يوجـدون فيهـا, وتعـرض المـذهب وتبين بطلانه, لو لـم يكـن مـن هـذا العـرض إلا تشـكيك العامـة فـي هـؤلاء لكـان كافيـا, وزحزحـة العقيـدة والتشكيك فيها مهم جدا, فأنت مثلا إذا رأيت أناسا على باطل وبينت الحق, لو لم يكن من الفائدة إلا أن يشـكوا في الأمر حتى عنـد زعمـائهم يشـكون فـي قـولهم, مـا دمت أنت أتيت بالحق وبينت, ولهذا سـمعت عـن بعـض

دعاة النصرانية ـ قاتلهم الله ولعنهم إلى يـوم القيامـة ـ سـمعت أنـه يقـول لقـومه: يـا قومنـا إنكـم لـن تنقلـوا المسلم إلى النصرانية هذا مستحيل, لأن ديننا النصرانية الموجود الآن كل يعرف أنه خرافة, وليس علـى شـيء, لكن يكفيكم أن تشككوا المسلم في دينه؛ شف الخبثاء, خلوه يشك بس, وإذا شك كفـر أو لـم يكفـر ؟ نعـم, إذا شك الإنسان فيما يجب الإيمان به فهو كـافر, مـا يجـب الإيمان به يجب الجزم به, فانظر كيف أساليبهم, ونحـن والحمد لله عندنا من الأساليب أقوى منهم, لكـن عنـدنا أن الإنسان إذا رأى هذا العـالم يمكـن يخـاف, وشـجاعة خالد بن الوليد وحمزة بن عبد المطلب غير موجـودة إلا في قليل من الناس.

نعم خلاص, هذا بدأ قبل أن نعلن, مـن أدرك ركعـة مـن الصلاة .

الطالب : ...

الشيخ: سهلة هذه, إذا قالوا ابن حجر والنووي, أما ابـن حجر رحمه الله فأنا رأيـي فيـه أنـه ليـس علـى طريقـة الأشعرية, الرجل متذبذب, أحيانـا يتكلـم بكلام هـو كلام أهل السنة مائة بالمائة, وأحيانا ينقل كلام الأشاعرة, هو أحيانا ينقل عن شيخ الإسلام مقررا قوله, النووي صحيح رحمه الله على مذهب الأشاعرة في جميع ما قرأت لـه من كتبه, لكن إذا قابلونـا بفلان وفلان نقـول: هـل أنتـم تعرفون الحـق بالرجـال ولا الرجـال بـالحق ؟ إن قـالوا: نعرف الحق بالرجال قلنا: عندنا شيخ الإسلام ابن تيميـة وابن القيم والإمام أحمد وغيرهم مـن العلمـاء الفحـول, فهـؤلاء مقابـل هـؤلاء, ثـم لـدينا شـيء فـوق الجميـع

الصحابة رضي اللـه عنهـم, ائتـوا لنـا بـدليل واحـد يؤيـد مذهب الأشـاعرة, يقـول: اسـتوى بمعنـى اسـتولى, مـا منهم أحد قال: استوى بمعنى اسـتولى, كلهـم يقولـون: استوى بمعنى علا, من أين علمنا هذا ؟ علمنا هذا بأنهم يقرئون القرآن ويعرفون معناه ولم يأت عن أحـد منهـم قول بصرف اللفظ عن ظاهره, الحمد لله الحق واضح, فلو قال لنا قائل: إن الصحابة أجمعـوا أن معنـى قـوله: **(( استوى على العرش ))** يعني علا عليـه, أجمعـوا, هل يمكن أحد يمكـن أن ينـازع يقـول مـا أجمعـوا ؟ مـا يمكن, لأنا نعلـم أن الصـحابة يقـرؤون القـرآن وينزلـون معنـاه علـى اللغـة العربيـة, واللغـة العربيـة فـي جميـع مواردها أنه إذا تعدت استوى بعلى فالمراد العلو.

قـال اللـه تبـارك وتعـالى: **(( فـاطر السـماوات والأرض ... ))** إلى آخره من فوائد الآية:

أن الله تعالى هو الذي خلـق السـماوات والأرض ابتـداء على غير مثال سبق.

ومن فوائدها: تمام قـدرة اللـه تبـارك وتعـالى لأن هـذه السماوات العظيمة لا يقدر عليهـا أحـد إلا اللـه, ثـم إنـه خلقها في ستة أيام, جاءت مفصلة في سورة فصلت .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن السماوات جمع, كـم هي ؟ سبع, والأرض ؟ سبع, لكن من غير هذه الآية .

ومن فوائدها : حكمة الله عز وجل ورحمته حيـث جعـل لنا من أنفسنا أزواجا, فإن هذا حكمـة حيـث كـانت مـن أنفسنا, ورحمة حيـث جعـل لنـا أزواجـا نتمتـع بهـن مـن جهة, وننمو ونزداد من جهة أخرى.

ومن فوائد الآيـة الكريمـة أيضـا: رحمـة اللـه تعـالى بنـا

حيث جعل لنا من الأنعـام أزواجـا, لأن هـذا لا شـك مـن مصلحتنا .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن الله سـبحانه وتعـالى ينشر ويبـث ويكـثر بنـي آدم ومـا خلـق لهـم مـن أنعـام بسبب التزاوج لقوله : **(( يذرؤكم فيه ))** .
ومن فوائد هذه الآيـة الكريمـة : الـرد علـى المشـركين الـذين جعلـوا مـع اللـه إلهـا آخـر حيـث قـال: **(( ليس كمثله شيء ))** فهو سبحانه وتعالى لا مثل لـه, لا فـي الخلق ولا في الصفات ولا غيرها .
ومن فوائد الآية الكريمة : الرد علـى أهـل التمثيـل فـي قوله : **(( ليس كمثله شيء )) .**
ومـن فوائـدها : إثبـات اسـمين مـن أسـماء اللـه همـا السميع والبصير .
ومن فوائد الآية : إثبات السـمع والبصـر وصـفا للـه عـز وجل, لأن السميع من السمع, والبصير من البصر.
وهنا قاعدة نشير إليها: كل اسم مـن أسـماء اللـه فـإنه متضمن لشيئين:
الأول: إثبات كونه اسما من أسماء الله, والثاني: إثبـات الصفة التي دل عليها, فمن قال: إن اللـه سـميع ولكـن بلا سمع, فإنه لم يؤمن بالاسم, لأنـه لابـد أن تـؤمن بمـا دل عليه من صفة وإلا لم تؤمن به, أيضا إثبـات أن هـذه الصفة متعدية للغير إذا كانت متعدية.
فمثلا السميع نؤمن بأن الله من أسـمائه السـميع ومـن صفاته السمع, ونـؤمن بـأمر زائـد وهـو أنـه يسـمع كـل شيء, ولهذا قال أهل العلم: الاسم إذا كان لازما لم يتم الإيمان به إلا بشيئين:

الأول: إثبات كونه اسما من أسماء الله, والثاني: إثبات الصفة التي دل عليها, وإذا كان متعديا فلابد في الإيمان به من أمور ثلاثة:
الأول: إثبات كونه اسما لله, والثاني: إثبات الصفة التي دل عليها, والثالث: إثبات تعدي هذه الصفة إلى ما تتعلق به, بمعنى أن السمع يتعلق بكل مسموع, والبصر بكل مبصر, فإثبات السمع لا بد أن نثبت أنه يسمع.
طيب فيه أيضا, يقولون: الأسماء تتضمن الدلالات الثلاث دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام, وإن شئت فقل: دلالة اللزوم, الدلالات ثلاث مطابقة وتضمن ولزوم, فدلالة الاسم على الذات وحدها دلالة تضمن, وعلى الصفة وحدها دلالة تضمن, وعليهما جميعا دلالة مطابقة, ودلالة ذلك الاسم على معنى لازم له دلالة التزام, هذه من القواعد المهمة. الدلالات كم ؟
الطالب: ثلاثة: مطابقة وتضمن والتزام.
الشيخ: فدلالة الاسم على الذات وحدها ؟
الطالب: تضمن.
الشيخ: وعلى الصفة وحدها ؟
الطالب: تضمن.
الشيخ: وعليهما ؟
الطالب: مطابقة.
الشيخ: وعلى أمر لازم ؟ التزام.
نضرب لهذا مثلا الخالق, من أسماء الله تعالى الخالق, فدلالته على الذات وحدها تضمن, وعلى صفة الخلق وحدها تضمن أيضا, وعليهما جميعا مطابقة, إذن فهمنا أن دلالة اللفظ على جميع معناه دلالة مطابقة, وعلى

بعضه تضمن, على اللازم الخارج الذي يلـزم منـه دلالـة التزام, المثال الذي معنا الآن لا يزال باقيا, الخالق يـدل على صفة الخلق, وعلى الخالق نفسه, ويدل أيضا علـى شـيء لازم, مـن لازم الخلـق القـدرة, مـن لازم الخلـق العلم, إذ من ليس بقادر لا يمكن أن يخلـق, ومـن ليـس بعالم لا يمكن أن يخلق, فتكون دلالة الخالق على العلم والقدرة دلالة التزام.

من فوائد هذه الآية الكريمة: الـرد علـى أهـل التعطيـل في قوله : **(( وهو السميع البصير ))**

نحـن ذكرنـا السـميع مـن فوائـد الآيـة الكريمـة إثبـات السميع اسـما للـه, والبصـير اسـما للـه, وإثبـات البصـر صفة لله, وإثبـات السـمع صـفة للـه, فـإن قـال قائـل : أيهما أوسع الصفة أو الاسـم ؟ الجـواب: الصـفة أوسـع, لأن الله يوصف بما لا يسمى به, ولكن كل ما سمي بـه فهو متضمن للصـفة, افهمـوا القاعـدة ثـم يـأتي المثـال بعد, أن كـل اسـم متضـمن لصـفة وبهـذا يكـون الاسـم والصفة متوازيين, هناك صفات لا يمكن أن يسمى اللـه بها, فالصفة أوسـع, ألسـنا نقـول: عـبر اللـه بكـذا وكـذا ألسنا نقول : تحدث الله عن كـذا, ومـع ذلـك لا نسـمي الله تعالى متحدث ولا نسميه معبر, لأن الوصـف أوسـع من الاسم, وهذه فائدة أيضا مهمة, عكـس مـا يقولـون: إن الأسماء لا تتضمن الصفات.

ثم قال الله تعالى .

القارئ: **(( لَهُ مَقَالِيـدُ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُـطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيـمٌ ))** [الشورى:12].

الشيخ: **(( له مقاليد السماوات والأرض ))** لـه أي لله واحد, وإنما قلنا وحـده لأن تقـديم الخـبر يـدل علـى الحصر, بل القاعدة أوسع من هذا تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر حتى لو قلت: زيـدا أكرمـت يعنـي أنـك لـم تكـرم غيـره لأنـك قـدمت المعمـول, فنقـول: لـه أي لا لغيره,

قال المفسر : " **(( مقاليـد السـماوات والأرض )) أي مفاتيــح خزائنهمــا** " فجعــل المقاليــد بمعنــى مفاتيح, ولكـن مـن حيـث اللغـة العربيـة لا تتناسـب مـع الاشـتقاق, لأن مقاليـد مـأخوذ مـن القلادة يعنـي أزمـة الأمور في السموات والأرض كلها بيد الله عز وجل كمـا تقول: قلادة البعير لأنك تجرها بها, فالظاهر والله أعلـم أن المفسر رحمه الله فسرها بما يخالف الظـاهر, لكـن بعـض النـاس يقـول: إن مقاليـد اسـم أعجمـي معـرب, والمقلاد بمعنى المفتاح, لكن هذا قول ضـعيف بلا شـك لأنه يجـب ألا نلجـأ إلـى التعريـب إلا للضـرورة, يعنـي لا يمكن أن نقول: هذه كلمة أصلها فارسية أصـلها روميـة أصلها كذا وعربت, لا يجـوز أن نعـدل إلـى هـذا إلا عنـد الضرورة, لأن الله تعالى جعل القرآن عربيـا, فـإذا قلنـا فـي كلمـة معربـة أصـلها غيـر عربـي هـذا خلاف ظـاهر القرآن, لكن إذا اضطررنا إلـى هـذا بـأن لـم نجـد لهـذه الكلمة أصلا في اللغة حينئـذ يكـون معـرب, مقاليـد لهـا أصل مأخوذة من القلادة التي تقـاد بهـا البعيـر, فمعنـى مقاليـد: أي أذمـة الأمـور فـي السـماوات والأرض لـه وحده.

أما المؤلـف رحمـه اللـه فقـال: " **مفاتيح خزائنهمـا**

**من المطر والنبات وغيـره (( يبسـط الـرزق )) يوسعه (( لمن يشـاء ويقـدر ))** " يبسـط: بمعنـى يوسع, يقدر: يعني يضيق, طيب البسط والقـدر امتحانـا وابتلاء, لأن مـن النـاس مـن لا يصـلحه إلا الفقـر, ومـن الناس من لا يصلحه إلا البسط, وفي الحديث القدسـي: **( إن من عبادي من لو أغنيتـه لأفسـده الغنـى, وإن من عبادي من لو أفقرته لأفسده الفقر )**.
**(( إنــه بكــل شــيء عليــم ))** يقــول المفســر: " **(( يبسط الرزق )) ـ والمراد بالرزق العطـاء ـ يوسـعه (( لمـن يشـاء )) امتحانـا (( ويقـدر )) يضيقه لمن يشـاء ابتلاء** " امتحانـا هـل يشـكر أو لا يشكر ؟ ابتلاء هل يصبر أو لا يصبر ؟
**(( إنه بكل شيء عليم ))** إنه عليم بكـل شـيء فهـو يعلم أن البسط لهذا أفضل وأن التضييق لهذا أفضل.
في هذه الآية فوائد منها: أن أزمة الأمور لله وحده فــي السماوات والأرض, فهو الذي يدبر الأمور ويداول الأيـام بين الناس ويقلب الأحوال, وكم من رجـل أصـبح كـافرا وأمسى مؤمنا, وكم مـن إنسـان أصـبح مؤمنـا وأمسـى كافرا, كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عـن الفتـن في آخر الزمان: أنه يمسي الإنسان كافرا ويصبح مؤمنا ويصبح مؤمنا ويمسي كافرا.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن الأرزاق بسـطها وتضـييقها بيد من ؟ بيد الله عز وجل, فهل يلزم من هذا ألا نفعــل الأسباب ؟ لا, لأن هذا ضعف في التوكـل, إذا لـم تفعـل الأسباب, افعل الأسباب واعتمد على الخلاق عز وجل.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: ألا نطلـب الـرزق إلا مـن

الله لأنه هو الذي يبسط الرزق أو يضيقه.
ومـن فوائـد الآيـة الكريمـة: إثبـات المشـيئة للـه لقـوله تعالى : **(( لمن يشاء ))** فـإن قـال قائـل : هـل هـذه المشـيئة مجـردة عـن الحكمـة أو مقرونـة بالحكمـة ؟
الجواب: الثاني لا شك, يعني ليس عطاء اللـه أو منعـه ليـس مجـرد أنـه أراد,لا, لابـد أن يكـون لحكمـة, وهـذه قاعدة أثبتها في دماغك, كل شيء قرنـه اللـه بمشـيئته فإنه مقرون بالحكمة ولابد, لا يمكن أن يفعل شيئا عبثـا كمـا قـال عـز وجـل : **(( ومـا خلقنـا السـماوات والأرض ومـا بينهمـا لاعـبين ))** وقـال تعـالى: **(( أفحسبتم أنما خلقنـاكم عبثـا وأنكـم إلينـا لا ترجعـون ))** فكلمـا مـر بـك شـيء مقـرون بالمشـيئة فاعلم أنه تابع لحكمة اللـه عـز وجـل, واقـرأ قـول اللـه تعالى : **(( إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا وما تشـاؤون إلا أن يشـاء اللـه ))** بعـدها: **(( إن اللـه كـان عليمـا حكيمـا ))** يعنـي فمشـيئته مقرونة بالعلم والحكمة.
ومن فوائد هذه الآية الكريمـة: إثبـات عمـوم علـم اللـه لقوله : **(( إنه بكل شيء عليم ))** بكل شيء موجود أو معلوم ؟
الطالب: كليهما.
الشيخ: كلاهما, بكـل شـيء واجـب الوجـود أو جـائزه أو ممتنعه ؟
الطالب: كل شيء.
الشيخ: كل شيء, حتى الممتنع ؟
الطالب: نعم.

الشيخ: يعلم حتى الممتنع, يعلمه قال الله تعالى : (( **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** )) وهل يمكن أن يكون فيهما آلهة إلا الله ؟ لا يمكن, ومع ذلك علم الله عز وجل أنه لو كان ذلك لفسدت السماوات والأرض, ولهذا نقول : علم الله تعالى متعلق بكل شيء, بالواجب كعلمه بنفسه, بالمستحيل كعلمه بفساد السماوات والأرض لو كان فيهما آلهة إلا الله, بالممكن كعلمه بالمخلوقات, فعلم الله متعلق بكل شيء من واجب ومستحيل وممكن.

هنا تنبيه على خطأ جار بين الناس, إذا كان الشيء قليلا قالوا: هذا بسيط, هذا غلط لأن البسط في اللغة يعني التوسيع والتكثير, فلا تقل هذا بسيط, قل: هذا يسير هذا قليل, إن كان من حيث الصفة قل: يسير, إن كان من حيث العدد قل: هذا قليل, نسأل الله تعالى أن يشملنا وإياكم برحمته, وأن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى.

ثم قال الله تعالى بدأ الدرس الجديد:

القارئ : **(( شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ))** [الشورى:13] .

الشيخ : ثم قال عز وجل : **(( شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ))** إلى آخره, شرع لكم الخطاب لهذه الأمة ولله الحمد, ومعنى شرع لكم أي سن لكم وجعل لكم شريعة, هي: **(( ما وصى به نوحا ))** قال الشارح : **" وهو أول أنبياء الشريعة "** وتساهل رحمه الله في هذا, والصواب أن يقول : هو أول رسل الشريعة, لأن جاء في الحديث الصحيح: **أن الخلق يوم القيامة يأتون إلى نوح ليشفع لهم فيقولون له : أنت أول رسول أرسله الله,** ولأن الرسول أخص من النبي, ولا ينبغي أن نعدل عن الأخص إلى الأعم, إذا الصواب أن نقول : هو أول رسل الشريعة, أما أول أنبياء الشريعة فهو آدم عليه الصلاة والسلام, نبي مكلم, لكنه ليس برسول, الحكمة من كونه غير رسول لأن الناس لم يختلفوا بعد, والله تعالى أرسل الرسل ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه كما قال جل وعلا : **(( كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس**

**فيما اختلفوا فيه ))** لكن في عهد آدم ما فيه اختلاف, العدد قليل وليس هناك مغريات ولا أشياء توجب أن يختلف الناس, فلذلك كان آدم يتعبد لله تعالى بشريعة التي شرعه له, أبنائه ؟ يتبعونه, لما كثروا وانتشروا واختلفوا حينئذ جاءت الحاجة بل الضرورة إلى الرسل, إذن الأولى أن نقول : هو أول رسل الشريعة, لماذا ؟ لأن أول أنبياء الشريعة آدم.

**(( والذي أوحينا إلينا ))** يعني: وشرع لكم الذي أوحينا إليك؛ **(( والذي أوحينا إليك ))** معطوفة على **(( ما ))** في قوله **: (( ما وصى به نوحا ))** والوصية: هي العهد بالشيء الذي يهتم به, يسمى وصية **(( والذي أوحينا إليك ))** وهو القرآن **(( وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ))** الله أكبر, ذكر الله تعالى أول الأنبياء الذين هم الرسل وآخرهم, ثم ذكر ما بين ذلك ليجمع سبحانه وتعالى بين الطرفين والوسط, من أول هؤلاء الرسل الكرام ؟ نوح, وآخرهم ؟ محمد صلى الله عليهم وسلم, هؤلاء الخمسة هم أولوا العزم من الرسل قال الله تعالى : **(( فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ))** وذكروا في القرآن في موضعين : هذا واحد.

والثاني قوله تعالى : **(( وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ))** [الأحزاب:7] نعم.

**(( وما وصينا به إبراهيم وموسى عيسى أن أقيموا الدين ))** أن هذه تفسيرية بمعنى أي, ولذلك لا تعمل شيئا لأنها لمجرد التفسير والتبيين: **(( أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ))** أقيموا الدين يعني: ائتوا به

مستقيما غير منحرف, وما هـو الـدين القيـم ؟ هـو الـدين الذي شرعه الله عز وجل, فيجب علينا أن نقيم الدين كما أقامه الله عز وجل, لا نغلو فيه ولا نقصر عنه, ولذلك كان الناس في دين الله على ثلاثة أقسام:

قسم غلوا وقسم قصروا وقسم اعتدلوا, فما الذي أمرنـا به ؟ الاعتدال **(( أن أقيموا الدين ))** غير متجاوزين ولا قاصرين عنه, ولذلك هلك أقوام ممن قصـروا أو تجـاوزا, وأيهما أخطـر ؟ الأخطـر التجـاوز وهـو الغلـو, قـال النـبي صلى الله عليه وسلم : **( إنما أهلك من كـان قبلكـم الغلو )** ولأن الغالي يعتقد أن هذا دين فلا يكاد يقلع عنـه, والمقصر يعترف أنه مقصر فربما حاسب نفسه يوما مـن الأيـام وأتـم, فـالغلو أخطـر, ولـذلك تجـد بـدع المبتدعـة أشدها الغلو, فالرافضة مثلا غلو فـي آل الـبيت وتجـاوزوا الحـد, والمؤلهـة للرسـول عليـه الصـلاة والسـلام الـذي يعتقدون أنه أشد مـن الإلـه عـز وجـل غلـو فـي الرسـول وهلكوا, والغالية في الدين الذين يريـدون مـن النـاس أن يسـتقيموا علـى الـدين وألا يفعلـوا كـبيرة أيضـا غلـو كالخوارج, المهم أنـك إذا تـأملت البـدع وجـدت أن الغلـو فيها أشد خطرا على الإنسان, لأن الغالي يعتقد أن ما هـو عليه دين, والمقصر يعرف أنه مقصر وربمـا اسـتقام بعـد ذلك.

قـال اللـه تبـارك وتعـالى : **(( أن أقيمـوا الـدين ولا تتفرقوا فيه ))** الدين يطلق على معنيين:

المعنى الأول : الجزاء .

والمعنى الثاني : العمل, يعني يطلق علـى العمـل وعلـى الجزاء, فمن إطلاقه على العمل قول الله تبارك وتعـالى:

(( **لكم دينكم ولـي ديـن** )) يعنـي لكـم عملكـم ولـي عملي, كقوله تعالى: (( **فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم** ))؛ ومن إطلاقه على ا لجزاء قوله تعالى : (( **وما أدراك ما يوم الدين ثـم مـا أدراك مـا يـوم الدين** )) وما نقرأه نحن في كـل صـلاة: (( **مالك يـوم الـدين** )) أي المعنييـن يـراد ؟ الجـزاء (( **أن أقيمـوا الدين** )) هنا ما المراد به ؟ العمل (( **أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** )) يعني: لا تتفرقوا في دينكم فتكونوا أحزابا, فنهى الله عز وجل عـن التفـرق فـي الـدين وهـذا يستلزم وجوب الاجتماع عليه, لأن النهي عن الشيء أمـر بضده إذا لـم يكـن لـه إلا هـذا الضـد, وحينئـذ يجـب علـى المسلمين أن يجتمعوا في دين الله وألا يتفرقوا فيه, ومـا اختلف العلماء فيه من الآراء فإن الهدف منـه واحـد لمـن صـلحت نيتـه, لأن كـل واحـد مـن المختلفيـن إنمـا يريـد الوصول إلى الحق لكن اختلفـوا فـي الطريـق, وإذا كـان الهدف واحـد وهـو الوصـول إلـى الحـق فـإنه لا يجـوز أن يجعل هذا الاختلاف سببا للتفرق في الاتجاه, لا يجوز هــذا إطلاقـا, بـل تجـب الوحـدة والاجتمـاع حـتى مـع اختلاف الآراء, ولهذا كان السادة الغرر الصحابة رضي اللـه عنهـم يختلفـون فـي أشـياء كـثيرة مهمـة ومـع ذلـك فـالقلوب واحدة, ولما وصل الاختلاف بهم إلى تفرق القلوب حصل ما حصل من الفتن بين علي ومعاوية وعائشة والزبير وما أشبه ذلك, في وقتنا الحاضر لا شك أن النـاس مختلفـون فمنهم من يتجه اتجاها سياسـي ومنهـم مـن يتجـه اتجاهـا صوفي ومنهم من هو معتدل, اختلافات كـثيرة, فـالواجب علينا أن ننزع فتيل هـذا الاختلاف, وأن نكـون أمـة واحـدة

حتى لا نتفرق فنفشل لأن الله يقول : (( **وَأَطِيعُوا اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَـذْهَبَ رِيحُكُـمْ** )) يعنـي: ولا يكـن لكـم قيمـة (( **وَاصْـبِرُوا إِنَّ اللَّـهَ مَـعَ الصَّابِرِينَ** )) [الأنفال:46] ولهـذا نجـد الآن مـع الأسـف الشـديد أن مـا يسـمى بالصـحوة الإسـلامية أصـيب بهـذا البلاء, وصار نفس المتدينين يلمز بعضـهم بعضـا, ويضـلل بعضهم بعضا ويبـدع بعضـهم بعضـا, وربمـا يكفـر بعضـهم بعضا, فضاعت تلك الصحوة, وصار الـذين يـراد منهـم أن يكونوا حزبا على أعداء الله وحربا على أعداء الله صــاروا حربا على أنفسهم وأحزابا بأنفسهم, وهـذا مـا يبـذل فيـه العـدو أغلـى مـا يكـون ليحصـل وقـد حصـل لـه مجانـا, فالواجب علينا أن نزيل هـذه الاختلافـات وأن نـدعها, وأن نترك ما يعمر به كثير من الناس مجالسهم في سب فلان وفلان أو ذم فلان وفلان أو الغلو فـي فلان وفلان لأن هـذا يضيع الأوقات ويولد الأحقاد ولا يفيد شيئا بل يضر, مـا لنـا ولفلان, إن كان ميتا فقـد واجـه الحسـاب, وإن كـان حيـا فنرجوا له الاستقامة, وأمـا أن نجعـل أكـبر همنـا هـو هـذا الكلام الذي لا يعود إلى الأمة إلا بالشر, ولهـذا ينهـى اللـه عز وجل عن التفرق في عدة آيـات كمـا فـي هـذه الآيـة: (( **أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** )) فإذا اختلفت أنـت وصـاحبك فـي رأي مـن الآراء وهـو محـل للاجتهـاد فالواجب أن تعتقد أن صاحبك لـن يخالفـك, لمـاذا ؟ لأنـه سلك السبيل الذي تسلكه أنت, هو اجتهد فقال : هذا هــو الصواب, وأنت اجتهدت فقلت: هذا هـو الصـواب, إذا مـا مراد كل واحد منكم ؟ الوصول إلـى الحـق, ولا يمكـن أن يكون اجتهادك حجة عليه ولا اجتهاده حجة عليـك, وحينئـذ

نكون في الواقع متفقين حتى لو خـالفني فأنـا أعتقـد أنـه موافقني, لأننا كلنا نقصـد الحـق ولا نريـد مخالفـة الحـق, لكن مع الأسف الآن أن بعض الناس يتخذ من هذا الخلاف الذي هو محل الاجتهاد يتخذ منه سلما للتفرق والطعن.

قبل سنوات فـي منـى حضـرت طائفتـان أفريقيتـان كـل واحدة تلعن الأخرى وتكفرها, فأتوا إلى أمير الدعوة التي أنا من ضمن أعضائها أتوا إليه متشاكسـين جـدا جـدا فـي منى في أيام الحج في شـهر حـرام فـي بلـد حـرام, فهـو جزاه الله خير حضر إلي معهم, وش الأمـر؟ قـال: هـؤلاء كفار, هـؤلاء رغبـوا عـن سـنة الرسـول صـلى اللـه عليـه وسلم وقد قال الرسول صلى اللـه عليـه وسـلم : **( من رغب عن سنتي فليس مني )** ونحن نبرأ منهم, كلام طويـل عجيـب, ومـا الخلاف ؟ الخلاف إحـدى الطـائفتين تقول : إذا قام يصلي فإنه يضع اليد اليمنى على اليسرى, والطائفـة الأخـرى تقـول : إذا قـام يصـلي يرسـل يـديه, المسألة ما هي خلاف فـي العقيـدة, المسـألة خلاف فـي سنة من سنن الصلاة هي محل اجتهـاد, كـل واحـد يقـول للآخر : إنه كافر لأنه رغب عن سنة النبي صلى الله عليـه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم : **( من رغب عن سنتي فليس مني )** شـوف البلاء, الآن الشـباب صـار اختلافهم في أمر آخر في الأشـخاص, يجعلـون الشـخص هـدفا, مـا تقـول فـي فلان ؟ إذا قـال: واللـه فلان طيـب حبيب ومن خير عباد الله, انشـرح صـدره وكأنمـا أعطـي الجنة, وإذا قيـل : واللـه هـذا الرجـل عنـده انحـراف فـي المسلك, إنسان فيه كذا وفيه كذا انقبـض وضـاق صـدره وترك صاحبه, هـذا غلـط يـا إخـوان, النـاس والرجـال إن

أخطئوا فسأل الله أن يعفوا عنهم خطئهم لأنهم مسلمون مهما كانوا لا يخرجون من الإسلام, وإن أصابوا فخذ بصوابهم واحمده, وخطئهم لا تأخذ به, أما أن تجعلهم محكا للولاء والبراء فهذا غلط عظيم, لذلك أنا أدعوا إخواننا من السعوديين وغيرهم إلى نبذ هذه الطريقة والبعد عنها, وأن نعتقد أننا إخوان, وأن كل واحد منا مجزي بعمله, وألا نجعل هذا سببا للتفرق لأن الله نهانا, ونحن نعلم علم اليقين أن الله لا ينهانا إلا عن شيء فيه ضررنا, فهنا يقول : **(( أن أقيموا الدين ))** يعني غير مغالين فيه ولا مقصرين **(( ولا تتفرقوا فيه ))** اجتمعوا عليه.

**(( كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ))** كبر: بمعنى عظم واشتد عليهم **(( على المشركين ))** يعني بالله **(( ما تدعوهم إليه ))** من التوحيد, لأن المشرك ما يكبر عليه هو التوحيد, أكبر شيء عنده هو التوحيد, يعني أكبر شيء يشق عليه هو التوحيد, ولهذا قالوا في الرسول صلى الله عليه وسلم : **(( أجعل الإلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ))** شف صبروا أنفسهم على الشرك والعياذ بالله, وقالوا في التوحيد : **(( إن هذا لشيء عجاب ))** أي عجيب جدا, فما هو الشيء العجاب حقيقة ؟ هو إشراكهم بالله عز وجل, الذي يقرون هم أنه خالقهم ولا خالق سواه, من هنا نأخذ أن المشركين يعظم عليهم التوحيد, وأقول لكم : إذا كان يعظم عليهم التوحيد فلا بد أن يفعلوا كل سبب يحول بين هذا التوحيد وقيامه وانتشاره,

أليس كذلك ؟ كل شيء عظيم عليك لابد أن تدافعه, فهم الآن حــرب علــى التوحيــد وأهلــه, ولهــذا تســمع الآن مخططات النصارى على ما في ديـانتهم الـتي هـم عليهـا مـن الضـلال والمخالفـة للمعقـول والمحسـوس تجـدهم يبثون الإذاعات القوية الـتي ليـس فيهـا تشـويش, والـتي تأتي في أوقات مناسبة للدعوة إلى الدين الذي هم عليه, ما أقول إلى دين المسيح, المسيح بريء منهم, لكن إلـى الدين الذي هم عليه, تجد بعـض أهـل البـدع يكـبر عليهـم جـدا مـن يـدعوا إلـى السـنة, ويحـاربون مـن يـدعوا إلـى السنة, ويشوهون السمعة, لأنه عظيم عليهم, فهنا يقـول : **(( كبر علـى المشـركين مـا تـدعوهم إليـه اللـه يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ))**.

يقـول : (( **اللـه يجتـبي إليـه** )) يجتـبي بمعنـى يختـار ويصطفي وقوله : **(( إليه ))** أعـاد الضـمير رحمـه اللـه إلى التوحيد, ولكن فيـه احتمـالا أقـوى ممـا قـال وهـو أن الضمير يعود إلى الله عز وجل, أي الله يجتبي إلى نفســه عز وجل من يشاء, ويهـدي إلـى نفسـه مـن ينيـب, وهـذا أحسن مما سلك المؤلـف, فـالله تعـالى يختـار إليـه مـن يشاء, نسـأل اللـه أن يجعلنـا وإيـاكم ممـا اختـارهم إليـه, ويكــره آخريــن, فــالأولون يهــديهم صــراطه المســتقين, والآخرون يضلهم, لأنهم هم الذين فعلوا السبب, **(( الله يجتبي إليه من يشآء ))** ولكنه مر علينـا قريبـا جـدا أن كل شـيء علقـه اللـه بالمشـيئة فـإنه مقـرون بحكمـة, لا يشـــاء شـــيئا إيجـــادا أو إعـــداما أو تغييـــرا إلا لحكمـــة, **(( ويهدي إليه من ينيب ))** أي من يقبل على طـاعته, يقول الشارح: **" يقبل إلى طـاعته "** فهـو يهـديه اللـه

إليه, وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن ربه أن الله تعالى يقول: **( ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه )** يعني الفرائض أحب إلى الله من النوافل: **( ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه, فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها )**, وكذلك قال تبارك وتعالى في الحديث القدسي: **( من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة )** فمن أناب إلى الله فإن الله يهديه إليه ويعينه ويسدده, واضح طيب .

من فوائد هذه الآية الكريمة : أن شرع الدين عند الله عز وجل وحده, ولهذا أنكر الله تعالى على الذين يشرعون لأقوامهم دينا لم يأذن به الله فقالوا : **(( شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ))** .

ومن فوائدها : أن الأصل في العبادات المنع إلا بدليل, ولهذا إذا رأيت شخصا يعمل عملا يتقرب به إلى الله فأنكر عليه إلا إذا أقام دليلا, بخلاف غير العبادات فالأصل فيها الحل, ولهذا إذا رأيت شخصا يفعل شيئا ليس عبادة فأنكرت عليه فعليك الدليل .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن أديان الأنبياء واحدة من نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم لقوله: **(( ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ))** فما هذا التوحيد في الأديان؟ التوحيد في الأديان هو ما أفاده قوله تعالى: **(( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله**

**واجتنبوا الطاغوت ))** فهذه هـي القاعـدة العامـة فـي جميــع الرســالات, **(( أن اعبــدوا اللــه واجتنبــوا الطاغوت ))** أما الشرائع والمنهج فكل أمـة مـا يناسـبها لقوله تعالى : **(( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ))** ولهذا نجد أن بني إسرائيل يشدد اللـه علـى أقـوام منهـم في الشريعة ويخفف في الشريعة الأخـرى, قـال عيسـى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : **(( ولأحل لكـم بعـض الذي حرم عليكم ))** إذا الأصـل هـو توحيـد الرسـالات, وهذا الأصل هو المشار إليـه: **(( ولقد بعثنـا فـي كـل أمة رسولا أن اعبدوا اللـه واجتنبـوا الطـاغوت ))** أما الشرائع والمنهاج فهذا يشرع الله عز وجـل لكـل أمـة ما يناسبها, حتى الأمة الواحدة يشرع لها مـا يناسـبها فـي أول أمرها وفي آخر أمرها كالمنسوخ فـي هـذه الشـريعة الإسلامية .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبـات نبـوة نـوح وإبراهيـم وموسى وعيسى لقـوله : **(( ما وصـى بـه نوحـا ومـا وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ))** .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : عناية اللـه تبـارك وتعـالى بالشـرائع حيـث جعـل ذلـك وصـية, والوصـية هـي العهـد بالشيء المهتم به .

ومن فوائد الآية الكريمـة: أن هـذا القـرآن الكريـم وحـي أوحاه الله تعـالى إلـى الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم لقوله : **(( والذي أوحينا إليك ))** .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن القـرآن شـامل لجميـع الشريعة لقوله: **(( والذي أوحينـا إليـك ))** فـإن قـال قائـل: فـي الشـريعة مـا لا يوجـد فـي القـرآن تفصـيلا ؟

فالجواب: تكفي الإشارة إليه, يعني لو أننا بحثنا هل في القرآن ما يدل على عدد الصلوات وعلى عدد ركعاتها وعلى كيفياتها ؟ لكان الجواب: لا, ما هو موجود, لكن كون الله عز وجل يأمرنا أن نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تبعه يكفي, لأن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بها وبكل ما تتضمنه, وعلى هذا تكون الشريعة كلها موجودة في القرآن إما بالإشارة والإيماء وإما بالتصريح.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : (( **والذي أوحينا إليك** )) .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الأمم جميعهم مأمورون بإقامة الدين وعدم التفرق فيه لقوله : (( **أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** )) .

ومن فوائدها: أن التفرق في دين الله مناف للذي أوحى الله إلى رسوله الله صلى الله عليه وسلم ووصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن ما يدعوا إليه النبي صلى الله عليه وسلم من توحيد كان عظيما وشاقا على المشركين لقوله: (( **كبر على المشركين ما تدعوهم إليه** )) ويتفرع على هذه الفائدة أنه متى كان التوحيد كبيرا على المشركين فلابد أن يسعوا بكل جهودهم على إحباط هذا التوحيد, لأن كل إنسان بمقتضى فطرته لابد أن يسعى في إزالة ما يكون شاقا عليه, ويتفرع على ذلك فائدة: وهو الحذر من كيد المشركين . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعوا المسلمين وغير

المسلمين لدين الله لقوله: **(( كبر علـى المشـركين ما تدعوهم إليه ))** وهذا قد وقع تطـبيقه وشـاهده فـي حال النبي صلى الله عليـه وسـلم, كـان يخـرج إلـى البلاد الأخرى ليدعوا الناس إلى التوحيد كما خرج إلى الطـائف, وكان في موسم الحج يعـرض نفسـه علـى القبائـل عليـه الصلاة والسلام يأتي لكل قبيلـة ويـدعوهم ويقـول : **( ألا أحد يؤويني ـ أو كلمة نحوها ـ حـتى أبلـغ رسـالة ربـي فـإن قريشـا منعـوني أن أبلـغ رسـالة كلام ربي ).**

ومن فوائد هذه الآية الكريمة أن الله قد يمن على بعـض العباد بالاجتباء والهداية لقوله : **(( الله يجتبي إليه من يشاء ))** .

ومن فوائد الآيـة الكريمـة: إثبـات مشـيئة اللـه عـز وجـل لفعل العبد لقوله: **(( يجتبي إليه من يشاء ))** فيكـون فيهـا رد علـى مـن ؟ علـى القدريـة الـذين يقولـون : إن الإنسان مستقل بعمله ولا مشيئة لله تعالى في فعله .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبـات الهدايـة لكـل منيـب وهذه الهداية غير الإنابة، الإنابة هداية سابقة, لكن كل مـا أناب الإنسان إلى ربه ازداد هداية .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: عصمة الله تبـارك وتعـالى من ينيب من البدع والمخالفات لقوله: **(( يهدي إليه ))** وهذا بلا شك ضد البدع, لأن البدع ليـس فيهـا هدايـة إلـى الله بل هي ضلالة .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الحث على الإنابة إلى اللـه عز وجل لأنه سبب للهداية .

ومن فوائدها: الرد على الجبرية لقوله: **(( من ينيب ))** فأضاف الفعل إلى العبد, والجبرية لا يضيفون الأفعال إلى العبد يقولون : إن العبد يفعل بغير إرادة ولا اختيار, ففي الآية إذا رد على القدرية ورد على الجبرية, وهما طائفتان مبتدعتان متطرفتان, فما هو المذهب الوسط ؟ المذهب الوسط هو الذي يقول : إن الإنسان لا يجبر على عمله وأنه يفعل الفعل باختياره, ولا يشعر أن أحدا أجبره, لكننا نعلم أن هذا الفعل الذي وقع منه واقع بمشيئة الله وإرادة الله, ولا يمكن أن يستقل الإنسان بشيء في الكون من دون الله عز وجل, نعم .

السائل: شيخ بارك الله فيكم, إذا مر الإنسان بآية فيها ذكر الأنبياء سواء في الصلاة أم خارج الصلاة هل يشرع له أن يصلي عليهم ؟.

الشيخ: لا, إلا الرسول صلى الله عليه وسلم.

السائل: ولو خارج الصلاة ؟

الشيخ: ولو خارج الصلاة, لأنه ما نعلم أن الرسول إذا مر بالرسل سلم عليهم,

السائل: أنا أقصد نبينا صلى الله عليه وسلم إذا مر علينا في قراءة في الصلاة ؟

الشيخ: إذا مر عليك فصلي عليه في أي حال أنت, إلا إذا كنت على الخلاء فلا .

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **(( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ))** سبق لنا أن هؤلاء الرسل الكرام لهم لقب خاص هو ؟

الطالب: أولوا العزم من الرسل

الشيخ: هم أولوا العزم من الرسل ذكروا في القرآن فـي أكثر من موضع, في كم موضع؟ الطالب: موضعين.
الشـيخ: فـي موضـعين, الأول ؟ فـي سـورة الأحـزاب: **(( وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ))**. والموضع الثاني ؟
الشيخ: قول الله تبارك وتعـالى : **(( أن أقيموا الـدين ))** معناهـا ؟ تفسـيرية, لكـن مـا معنـى **(( أن أقيمـوا الدين ))** ؟ افعلـوه مسـتقيما لا عـوج فيـه, العـوج فـي الدين يكون بأمرين متطرفين ؟
الطالب: أولا الابتداع والبدع.
الشيخ: لا, نعم ؟
الطالب: الغلو في الدين, والثاني التقصير فيه والنقص.
الشيخ: الغلو والتقصير أيهما أخطر على الإنسان ؟
الطالب: الغلو.
الشيخ: الغلو, لماذا ؟
الطالب: لأن الغلو زيادة.
الشيخ: هذا أيضا يعتبر نقصا في الدين.
الطالب: أنه يعتقد ويؤمن بما هو عليه.
الشيخ: يعتقد أنه على حـق, وأن هـذا هـو الـدين فلا يكـاد يتركه, أما المقصر فيعرف أنه مقصر ويحاول أن يصلح ما قصر فيه .طيب,
القارئ: ثم قال اللـه تعـالى : **(( وَمَا تَفَرَّقُـوا إِلَّا مِـنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِـنْ رَبِّـكَ إِلَـى أَجَـلٍ مُسَـمًّى لَقُضِـيَ بَيْنَهُـمْ وَإِنَّ**

**الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِـنْ بَعْـدِهِمْ لَفِـي شَـكٍّ مِنْـهُ مُرِيبٍ ))** [الشورى:14].

الشيخ : " **(( وما تفرقوا )) أي أهل الأديـان فـي الدين بأن وحد بعضهم وكفر بعض (( إلا من بعـد مـا جـاءهم العلـم )) بالتوحيـد (( بغيـا )) مـن الكافرين (( بينهم )) "**

**(( وما تفرقوا ))** يقول المؤلف : " **أي أهل الأديـان** " وهذا تفسير جيد, وقد ذكر الله تبارك وتعالى في سورة البينة قوله : **(( وما تفـرق الـذين أوتـوا الكتـاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ))** فهل نقول : إن هذه الآية العامة (( وما تفرقوا )) تخصص بآية البينة ويكون المـراد وما تفرق الذين أوتوا الكتاب أو نقول : هي عامـة (( ومـا تفرقوا الذين أوتوا الكتاب )) بعض مـن الأفـراد وإذا ذكـر بعض الأفراد بحكم يطابق حكم العام فإنه لا يعد مخصصـا ؟.

الجواب الثاني : وهذه قاعدة أصـولية: أنـه إذا ذكـر بعـض أفراد العام بحكم يطابق العام هذا ليس بتخصيص, مثـاله قلت: أكرم الطلبة ثم قلت : أكرم محمدا وهو منهم, هـل هذا يقتضي ألا تكرم سـواه ؟ لا, إذن ذكـره بحكـم يوافـق حكم العام لا يقتضي تخصيصه به, أما لو كان يخالف فهذا تخصـيص إذا قلـت : أكـرم الطلبـة ثـم قلـت : لا تكـرم محمدا, فحينئذ يخرج حكمه عن حكم العام.

**(( وما تفرقوا إلا من بعد مـا جـاءهم العلـم بغيـا بينهم ))** وقول المؤلف : " **بأن وحد بعضـهم وكفـر بعض** " هذا مناسب لقوله : **(( كبر على المشـركين ما تدعوهم إليه ))** وإلا فالاختلاف أوسـع مـن أن يكـون

اختلاف في التوحيد والكفر؛ **(( إلا من بعد مـا جـاءهم العلم بغيا بينهم ))** فيكون تفرقهم عن علم, قد قامت عليهم الحجة وقوله : **(( بغيا بينهم ))** مفعول لأجله أي أن تفرقهم للبغي والعدوان.

**" (( ولولا كلمة سبقت من ربك )) بتأخير الجـزاء (( إلى أجل مسمى لقضي بينهم )) "** إلى آخره **(( إلا من بعد ما جـاءهم العلـم بغيـا بينهـم * ولـولا كلمة سبقت من ربك ))** والكلمة التي سبقت من الله هو تأخير الجزاء حتى يوافوا الله عز وجل **" (( إلى أجل مسـمى )) "** أي معيـن **" وهـو يـوم القيامـة (( لقضي بينهم )) بتعذيب الكافرين في الدنيا " (( لقضـي بينهـم ))** أي فصـل وحكـم بينهـم, وأهلـك الكفار وأبقي الموحدون. يقول الشـارح: " (( وإن الـذين أورثوا الكتاب من بعدهم )) وهم اليهود والنصارى (( لفي شك منه )) من محمد صلى الله عليه وسلم (( مريـب )) موقـع فـي الريبـة " قـوله عـز وجـل : **(( ولـولا كلمـة سبقت من ربك ))** الكلمـة هـي أنـه قضـى عـز وجـل بتأخير العذاب عنهم فتنة واختبارا, وقد أشـار اللـه تعـالى إلى هذه الفتنة والاختبار بقوله تعالى : **(( ولو شاء الله لانتصر منهـم ولكـن ليبلـوا بعضـكم ببعـض ))** لـو انتصر الله منهم وأهلكهم ما بقي للجهـاد محـل, ولا بقـي للمؤمنين محنة واختبـار, ولهـذا قـال: **(( ولكـن ليبلـوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل اللـه فلـن يضل أعمالهم ))**.

وقوله : **(( إلى أجل مسمى ))** أي معين محـدد وذلـك يوم القيام, يوم القيام محـدد فـي علـم اللـه لا يتقـدم ولا

يتأخر, كما أن موت الإنسان محدد من قبل اللـه لا يتقـدم ولا يتأخر.

**(( وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شـك منه مريـب ))** وإن الـذين أورثـوا الكتـاب أي: أعطـوه, مجانا أو بعوض ؟ مجانا, يعني بدون تعب, كما أن الـوارث يرث مال مورثه بدون تعـب مجانـا, **(( أورثـوا الكتـاب من بعدهم ))** هل المراد بالكتاب هنـا التـوراة والإنجيـل أو المراد بالكتاب القرآن ويكون المعنـى **(( وإن الـذين أورثوا الكتاب ))** وهو القـرآن **(( مـن بعـدهم ))** أي من بعد الذين تفرقوا مـن أهـل الكتـاب وغيرهـم (( لفـي شك منه )) أي من هذا الكتـاب (( مريـب )) ؟ هـذا الـذي أقوله أحسن مما ذهب إليـه المؤلـف رحمـه اللـه تعـالى, المؤلف يفيد قوله : أن المراد بالكتـاب التـوراة والإنجيـل لأنـه قـال: **" هـم اليهـود والنصـارى "** فـاليهود لهـم التوراة والنصارى لهم الإنجيل, ولكـن الظـاهر أن المـراد بالكتاب هو هذا القرآن **(( لفي شك منه ))** أي من هذا الكتاب **(( مريب ))** موقع في الريبة, والريبـة أشـد مـن الشك لأنها ارتياب وقلق, الشاك قـد يكـون بـارد الضـمير ليس عنده قلق, لكن المرتاب أشد, والغالب أن الارتياب يكون مع تعارض الأدلـة الـتي كـل واحـد منهـا يقتضـي أن يكون مصيره إليه فيرتاب الإنسـان ويـتردد ويقلـق, لكـن الشك المجرد هو شك لا شك في هـذا لكـن لا يـؤدي إلـى الريبة إلا إذا عظم وقـوي وتعارضـت الأدلـة, حينئـذ يبقـى الإنسان في ارتياب شديد.

من فوائد الآيـة الكريمـة : أن تفـرق هـؤلاء كـان بعـد أن قامت عليهم الحجة لقوله : **(( إلا من بعد مـا جـاءهم العلم )).**
ومن فوائدها : أن من خالف الدين بعد مجيء العلم فـإنه باغ معتد لقوله : **(( بغيا بينهم )) .**
ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات كلام الله عز وجل لقوله : **(( ولولا كلمة سبقت من ربك ))** ولا شـك أن اللـه تعالى موصوف بالكلام لأنه كمال, وضـد الكلام الخـرس, والخـرس نقـص, فلـو نفينـا الكلام لـزم مـن ذلـك ثبـوت الخرس وهذا نقص ينزه الله عنه.
فإن قال قائـل : مـا هـو كلام اللـه ؟ قلنـا : كلام اللـه هـو المسـموع بـالآذان, يسـمعه جبريـل ويسـمعه غيـره ممـا يكلمه اللـه, هـذا هـو الحـق, وقـد وافقنـا عليـه الجهميـة فقالوا : إن كلام الله هو المسموع بالآذان, لكننـا اختلفنـا عنهم بأنهم يقولون : هم مخلوق ونحن نقول : إنـه ليـس بمخلوق؛ الأشعرية والكلابية وأمثالهم قالوا : كلام الله هو المعنى القائم بنفسه وليس المسموع, فالمسموع عبارة أو حكاية عن كلام الله, وكلام الله هو ما قام فـي نفسـه, ولذلك يرون أن كلام الله لا يتعلق بمشـيئته فلا يقولـون : أن الله يتكلم متى شاء لأنـه معنـى قـائم بـالنفس كقيـام السمع والبصر ولا شك أن هذا قول باطل وأنـه أبعـد مـن الصواب من قول الجهميـة, لأن الجهميـة يصـرحون بـأن كلام الله هـو المسـموع وليـس المعنـى القـائم بـالنفس لكنهم يقولون : إنه مخلوق؛ هؤلاء إذا قالوا : أن كلام الله هو المعنى القـائم بنفسـه وخلـق أصـواتا تعـبر عمـا فـي نفسه, هل خالفوا الجهمية ؟ ما خالفوهم, اتفقوا على أن

هذا المصحف الذي بين أيدينا مخلوق, لكن الجهمية صاروا أشجع من الأشعرية؛ الجهمية قالوا : هذا كلام الله وأولئك قالوا: هو عبارة عن كلام الله؛ على كل حال نحن نقول : إن الله إذا أضاف الكلام إلى نفسه وقال : **(( وكلم الله موسى تكليما ))** وأكد ذلك بقوله : **(( تكليما ))** أثبتت الأدلة أنه يكلم من شاء من خلقه, فما الذي يجعلنا نحرف ؟ وأيهما أحق بالكمال إله يتكلم متى شاء بما شاء وإله لا يتكلم ؟ الأول, بل الثاني لا يستحق أن يكون إلها, ولهذا قال إبراهيم : **(( يا أبت لما تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ))** طيب إذن من قوله : **(( ولولا كلمة سبقت ))** نستفيد إثبات الكلام لله عز وجل .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : حكمة الله عز وجل في تأخير العقوبة عن العصاة, ومن الحكم في هذا أن الله عز وجل يمهلهم لعلهم يستعتبون ولذلك قال : **(( ولو يؤاخذ الله بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى )) .**

ومن فوائد الآية الكريمة : أن الدنيا لها حد, لقوله: **(( مسمى ))** أي معين محدود كما قال الله عز وجل : **(( وما نؤخره ))** أي العذاب **(( إلا لأجل معدود )) .**

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم في شك منه مريب, يعني اليهود الذين أدركوا هذا القرآن وورثوه من بعد اليهود السابقين وكذلك النصارى في شك منه مريب, ويتفرع على هذه الفائدة أن مثل هؤلاء لا تنفع فيهم المواعظ ولا الآيات ويدل لهذا قول الله تعالى : **(( وما تغني الآيات والنذر عن**

**قوم لا يؤمنون ))** نعم.
الطالب: بعض الأحيان قد يسأل الإنسان من بعض العوام أو المستقيمين الذين ليس عندهم علم: ما رأيك في فلان ؟ فما موقف طالب العلم من ذلك ؟
الشيخ : ... نحن نعرف الآن أن هناك رؤوسا هي الناقوس للناس, هذه إذا سألني أقول: مالك ولفلان, دعه, إن كان ميتا فقد واجه ربه, وإن كان حيا فنسأل الله له الاستقامة فقط, أما إذا حدد قال : ما تقول في رأي فلان ؟ هنا يجب أن أتكلم أقول : هذا صواب أو خطأ حسب ما يكون عندي .
الطالب : ... الاختلاف بيننا وبين الشيعة ؟
الشيخ : لا, الشيعة خلافهم متباين مع أهل السنة والجماعة, ليس خلاف الشيعة مع أهل السنة كخلاف الشافعية مع المالكية مثلا,لا, بل اختلاف عظيم, اختلاف في أصل العقيدة, فمثلا من أصول عقيدة الشيعة أن عندهم رؤوسا يسمونهم الأئمة يدّعون أن من هؤلاء الأئمة من يعلم الغيب ويدبر الكون, وأن من أئمتهم من يبلغ منزلة لا يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل, يعني معناه منزلة الربوبية, هذا لا يمكن أن نتفق معهم بأي حال من الأحوال, ومنهم من يسب الصحابة عموما إلا نفرا قليلا, ومنهم من يلعن أبا بكر وعمر ويقول : إنهما ماتا على النفاق؛ والعجيب أني رأيت في كتاب ابن حزم رحمه الله " **الملل والنحل** " رأيت شيعة تكفر علي وتكفر أبا بكر كلا الاثنين, أما أبو بكر فتقول : لأنه ظلم بأخذ الخلافة, وأما علي فإنه تراخى عن الواجب عليه, ليش ما منع أبا بكر ؟ فذاك معتدي وهذا مفرط, وكلاهما

كافر, من بقي ؟ ما بقـي إلا أن يقولـون: الرسـول صـلى الله عليه وسلم ليش ما عينـه مـن الأول وقطـع النـزاع ؟ شـيء عجيـب؛ لكـن الخلاف بيـن المالكيـة والشـافعية والحنابلة والأحناف وما أشبههم هؤلاء هـذا مـا هـو خلاف, الواقع أنه ليـس بخلاف, إلا إنسـان متعصـبا نقـول : هـذا الحق ويقول: لا؛ ... أقول: هؤلاء ما يمكن الاتفاق معهـم, لكن الاتفاق مع المالكية والشافعية والحنابلة هذا ممكن.

ثم قال الله تعالى **:**

القارئ**: (( فَلِذَلِكَ فَـادْعُ وَاسْـتَقِمْ كَمَـا أُمِـرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَـابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَـا أَعْمَالُنَـا وَلَكُمْ أَعْمَـالُكُمْ لا حُجَّـةَ بَيْنَنَـا وَبَيْنَكُـمُ اللَّـهُ يَجْمَـعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ))[الشورى:15]** .

الشيخ: **(( فلذلك فادع ))** فلذلك: المشـار إليـه إقامـة الـدين وعـدم التفـرق فيـه, وقـوله : **(( فادع ))** الفـاء زائدة لتحسين اللفظ, والأصل: فلذلك ادع, ولهذا نقول : إن هذه الجملة فيها حصر, تقديم ما حقه التأخير, مـا هـو المقدم ؟ الجار والمجرور, ولذلك قلت لكم: إن الفاء في قوله: **(( فادع ))** زائدة لتحسين اللفظ, ولـولا أنهـا مـن كلام الله لقلنا فلذلك ادع, وهذا هو السر في أن قلنا : إن هذه الجملة تفيد الحصر.

**(( فلـذلك فـادع ))** قـال المؤلـف رحمـه اللـه : **" (( فلذلك )) التوحيـد "** ولـو قـال: **(( فلـذلك ))** أي لإقامة الدين وعدم التفـرق فيـه لكـان أجـود **(( فلذلك فادع ))** والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولهـذا قال المؤلف: **" يا محمد الناس "** الناس أشار بـه إلـى

أن مفعول ادع محذوف, والتقدير الناس.
" **(( واستقم )) عليه (( كما أمرت ولا تتبع أهوائهم )) في تركه "** (( استقم كما أمرت )) هذا ليس خاصا بالرسول عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى في سورة هود : **(( فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ))** وقوله : **(( استقم كما أمرت ))** أي على الوجه الذي أمرت من غير زيادة ولا نقص, **(( ولا تتبع أهوائهم ))** ما أهواؤهم التي نهي عن إتباعها ؟ ما يخالف ما أمر به, ولهذا قال المؤلف الشارح: **" في تركه ".**
**(( وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ))** قل معلنا لهم ولغيرهم: **(( آمنت بما أنزل الله من كتاب ))** آمنت بمعنى: أقررت, والإيمان: هو الإقرار المستلزم للقبول والإذعان, وليس مجرد الإقرار, ولهذا نقول : إن أبا طالب ليس بمؤمن, مع أنه مقر برسالة النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان يقول في لاميته المشهورة :
**لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل**
ويقول:
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لرأيتني سمحا بذاك مبينا
ولكنه والعياذ بالله قد سبقت له من الله الشقاوة, فكان آخر ما قال أنه على ملة عبد المطلب, وصرح في تلك الحال أنه لولا أن قومه يلومونه ويقولون عندما أيس من الحياة آمن لآمنت, هكذا يقول والعياذ بالله وهو في سياق الموت فقوله : **(( آمنت بما أنزل الله من**

**كتاب ))** نقول : الإيمان هـو الإقـرار المسـتلزم للقبـول والإذعان, أبو طالب مقر لكنه لم يقبل ولم يـذعن فصـار كافر.

**(( آمنت بما أنزل الله من كتاب ))** أي بالـذي أنـزل الله من الكتـب كلهـا, وهكـذا يجـب علينـا نحـن أيضـا أن نؤمن بما أنزل الله من كتاب, ولكن هـل يجـب عليهـا أن نتبع ما أنزل الله من كتاب ؟ الجواب: لا, نتبع ما جاء فـي شريعتنا وإن خالف ما فـي الشـرائع الأولـى, لكـن نـؤمن بأن الكتب النازلة علـى موسـى وعيسـى وداود وغيرهـم من الأنبياء نؤمن بأنها حق, أما الإتباع فهو لشريعة محمـد صلى الله عليه وسلم.

**(( وأمرت لأعدل بينكم ))** ... أفادنـا المؤلـف رحمـه اللـه أن اللام فـي قـوله: (( لأعـدل )) بمعنـى البـاء أي أمـرت: **" بـأن أعـدل (( بينكـم )) "** هـذا مـا قـدره المؤلف رحمه الله تعالى, ولا شك أن هـذا تقـدير سـهل, سهل أن يقول: اللام بمعنى البـاء, ويمشـي, لكـن إتيـان اللام بمعنى الباء قد لا يكون سائغا في اللغة العربية, وأن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليـه وسـلم بـأمر فـوق ذلك, أي: **(( وأمرت ))** بالشـرع أو بالعـدل **(( لأعـدل بينكم ))** فيكون المأمور به محذوفا, ويكون الموجود هو العلة, أمرت بكذا لأعدل بينكم, وهذا أبلغ مـن أن نقـول: اللام بمعنى الباء, ويكون أمرت بالعدل بينكم, لا, نقـول: أمرت بالشرع والإيمان بكل كتاب **(( لأعـدل بينكـم ))** في الحكم.

**(( الله ربنا وربكم ))** هذه الجملـة حـق لا شـك فيهـا, ولكن قد يقول قائل : ما الفائدة منها ؟ أليس هـذا كقـول

القائل: السماء فوقنا والأرض تحتنـا ؟ لأن هـؤلاء يقـرون بأن الله ربهم, فما الفائدة ؟ الفائدة من ذلك هو إلزامهـم أن يكونوا مثل ما كنـا عليـه مـن الـدين, لأن الـرب واحـد **(( اللـه ربنـا وربكـم ))** بـإقراركم, فـإذا كـان كـذلك فالواجب عليكم أن تخضعوا لأوامر ربكم عز وجل.

**(( لنا أعمالنا ولكم أعمـالكم ))** يعنـي أنـه لا يضـرنا عملكم ولا يضـركم عملنـا, فـإذا لا تتعقلـوا بنـا ولا نتعلـق بكم, كل له عمله, فكل يجازى بعمله؛ **(( لا حجـة بيننـا وبينكم ))** كيف لا حجة بيننا وبينكم ولدينا الحجة عليهـم ؟ المقصود: لا حجة قال الشارح: **" خصومة بأن أعدل (( بيننا وبينكم )) "** إلى آخره, والصواب عدم تقـدير: بأن أعدل, لأنه لا داعي له, بل المعنى لا حجة قائمة على وجه الخصومة بيننا وبينكم لأننا قد أيسنا منكم, ولن تنفـع فيكم المحاجـة؛ **(( الله يجمـع بيننـا ))** قـال : **" هـذا قبل أن يؤمر بالجهـاد "** طيـب وبعـد أن أمـر الجهـاد صار لهم أعمالنـا ولنـا أعمـالهم, هـل حيـن شـرع الجهـاد تبطـل المحاجـة ؟ لا, ولهـذا نقـول للمؤلـف رحمـه اللـه تعالى: عفا الله عنك, أولا : أثبـت لنـا أن هـذه الآيـة قبـل الأمر بالجهاد, فإذا قال: هذه الآية مكية والجهاد إنما أمـر به في المدينة, نقول: أثبت لنا أنه لما أمر بالجهاد بطلـت هـذه الـبراءة, لا يسـتطيع أن يثبـت ذلـك, واللـه سـبحانه وتعالى إنما يتحدث في هذا عن حـال المشـركين والنـبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم في مكة, وهذا أصلا لا جهاد فيه حتى نقول: إن هذا من باب النسخ.

**" (( الله يجمع بيننا )) في المعاد لفصل القضاء (( وإليه المصير )) المرجع "** والجملـة إليـه المصـير

فيها حصر, طريقه ؟ تقديم ما حقه التأخير, والله أعلم .
السائل: هل النسخ شامل للأمم السابقة أو خاص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟
الشيخ : لا, لنا ولغيرنا, اسمع قول الله تعالى : **(( فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ))[النساء:160]** هذا نسخ, كانت هذه الطيبات حلالا ثم نسخت وحرمت, والشريعة واحدة, أما الشريعتان فقال عيسى لبني إسرائيل : **(( ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ))** نعم.
السائل: قول المؤلف: **" هذا قبل الجهاد ",** لعله يقصد الخصومة بين المسلمين والكفار؟
الشيخ : لا, كثير من العلماء ومنهم المؤلف إذا أتوا إلى مثل هذه الآيات قالوا : هذا قبل الأمر بالجهاد, ويعني ذلك أنها مخصوصة كقوله : **(( لكم دينكم ولي دين ))** قال: هذا قبل الأمر بالجهاد؛ لا حاجة البراءة موجودة حتى بعد الأمر بالجهاد نعم .
الطالب : شرع من قبلنا ... ؟
الشيخ : هذا فيه خلاف بعض العلماء يقول : شرع من قبلنا شرع لنا وبعضهم يقول : لا, شرع من قبلنا لهم ولنا شرع لقوله : **(( لك جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ))** والمسألة لها ذيول طويلة وبحوث عميقة في أصول الفقه, والظاهر لي أن شرع من قبلنا الذي أوحاه الله إلينا شرع لنا, لأن الله لم يوحي إلينا عبثا بل لنعتبر, ثم إن نسخ في شريعتنا نسخ, ولذلك تجد العلماء يستنبطون أحكاما كثيرة من قصص الأنبياء, لشيخنا رحمه الله فوائد مستنبطة من قصة يوسف, رسالة .

الطالب: هل من فائدة وحكمة من تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي, وباقي الأنبياء بالوصية ؟
الشيخ : نعم, الحكمة هو إثبات أن هذا القرآن موحى به .
الطالب : في بعض الإذاعات قراءة من التوراة, فعل يجوز للعوام ولطلبة العلم الاستماع لها ؟
الشيخ : أثبت لي هذا بارك الله فيك, أنا أطالبك بصحة النقل.
الطالب : أنا سمعة من الإذاعة بنفسي.
الشيخ : السعودية ؟
الطالب : لا, في لبنان يا شيخ ...
الشيخ : ومن يمنع الجو ؟ لا, ما يجوز أبدا, يروى أن عمر بن الخطاب أرى النبي صلى الله عليه وسلم صحيفة من التوراة فغضب وقال : **( أفي شك أنت يا ابن الخطاب لقد جئت بها بيضاء نقية ولو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي )** أبدا ولا يجوز, لكن المشكل من يمنع الجو ؟ إنما أنا متردد هل نحذر العوام من سماع هذه الإذاعات ؟ لأن مع الأسف الشديد أن هذه الإذاعة تأتي صوتها عاليا وواضحة كل الوضوح, هل نحذر الناس ؟ فيه إشكال, لأنك إذا حذرت الناس فتحت الباب لاستماعها يقولون : ما هي التي حذر منها ؟ وإن تركتهم فأكثر الناس لا يسمعونها والحمد لله.
قال الله تبارك وتعالى : **(( فلذلك فادع واستقم كما أمرت )) .**
من فوائد الآية الكريمة : وجوب الدعوة إلى توحيد الله عز وجل لقوله : **(( فلذلك فادع ))** وتقديم المعمول يدل على الاهتمام به .

ومـن فوائـد الآيـة الكريمـة : أنـه يجـب علـى المـرء أن يستقيم كما أمر فلا يحـدث فـي ديـن اللـه مـا ليـس منـه لقوله : **(( فاستقم كما أمرت )) .**

ومن فوائد الآية الكريمة : أنه يجوز توجيه الأمر لمن كـان متصـفا بـه مـن قبـل مـن أجـل الثبـات عليـه لقـوله : **(( واستقم كما أمرت ))** لأن النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم استقام كما أمر من حين ما أرسل, بل من حين ما بعث, لكن المراد بذلك الثبوت على هذا الشيء .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن النبي صلى الله عليه وسلم عبد مأمور يوجه إليه الأمر وليس له من الأمر شـيء كمـا قال الله تعالى : **(( ليس لك من الأمر شيء ))** وهنـا قال: **(( كما أمرت )) .**

ومن فوائد الآية الكريمة : الرد على أولئـك القـوم الـذين يدعون أن للنبي صلى لله عليه وسلم تصرفا فـي الكـون وتدبيرا له, ومن باب أولى أن يكون فيها رد على القائلين بأن من دون الرسول صلى الله عليـه وسـلم لـه تصـرف فـي الكـون, كقـول الرافضـة, وبعـض الصـوفية الـذين يدعون أن من أئمتهم مـن يتصـرف فـي الكـون, وأولئـك الصوفية يدعون أن من أقطابهم من يتصرف في الكـون, فهؤلاء لا شك أنهم ضالون مشركون بالله عز وجل .

ومن فوائد الآية الكريمة : النهي عن إتبـاع الهـوى لقـوله تعالى : **(( ولا تتبع أهواءهم ))** فإن قـال قائـل : هـل إتباع الهوى محمود أو مذموم ؟ قلنا : أما ما كـان موافقـا للشريعة فهو محمود, ولهـذا روي عـن النـبي صـلى اللـه عليه وسلم أنه قال : **( لا يؤمن أحـدكم حـتى يكـون هواه تبعا لما جئت به )** وأما ما خـالف الشـريعة فـإنه

مذموم .
ومن فوائد هـذه الآيـة : تثـبيت اللـه تبـارك وتعـالى لنـبيه صلى الله عليه وعلـى آلـه وسـلم لأن مثـل هـذه الأوامـر والنواهي تؤيده وتثبته وتقويه .
ومن فوائد الآية الكريمة : وجوب الإيمـان بكـل مـا أنـزل الله من كتاب لقوله : **(( وقل آمنت بمـا أنـزل اللـه من كتاب ))** ولكن كيف يكون الإيمان بـالكتب السـابقة ؟ الإيمان بالكتب السابقة يكون بالإيمان بأنهـا نازلـة مـن عند الله عز وجل حقـا. وأمـا إتباعهـا فـإنه منسـوخ بهـذه الشريعة التي جاء بها محمد صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وصحبه وسلم.
فـإن قـال قائـل : وهـل نـؤمن بـأن الكتـب الـتي بأيـدي النصارى واليهود الآن هي الكتب النازلـة علـى أنبيـائهم ؟ فالجواب: لا, لأن الله تعـالى ذكـر أنهـم حرفوهـا وأخفـوا كثيرا منها, فذلك لا ثقة لنا بمـا عنـدهم مـن الكتـب الـتي يزعمونها كتب الله .
ومـن فوائـد هـذه الآيـة الكريمـة وجـوب العـدل لقـوله : **(( وأمرت لأعدل بينكم ))** في كل معاملة, بـل حـتى في معاملة الله عز وجل فـإن الـواجب العـدل قـال اللـه تعالى : **(( إن الله يأمر بالعـدل والإحسـان وإيتـاء ذي القربى ))** ولما بعث النبي صلى اللـه عليـه وسـلم عبـد اللـه بـن رواحـة إلـى اليهـود فـي خيـبر مـن أجـل مقاسمتهم جمعهم وقال لهم : **" إني أتيت مـن أحـب الناس إلي وإنكـم لأبغـض إلـي مـن عـدتكم مـن القردة والخنازير وليس حبي إياه وبغضي إيـاكم بمانع من أن أقوم فيكم بالعـدل. فقـالوا : بهـذا**

**قامت السماوات والأرض "**.
وقد ذكر العلماء رحمهم الله : أنه لو اجتمع مسلم وكـافر في خصومة بين يدي القاضي فإن الواجب عليه أن يعدل بينهمـا فـي الجلـوس وفـي النظـر وفـي الكلام, يعنـي لا يتكلم للكافر بغلظة وينظر إليه شـذرا وإنمـا يعـامله كمـا يعامل المسـلم, لأن العـدل واجـب, ولا يجـوز فـي مقـام الحكم أن نفرق بين فلان وفلان ولهذا قال : **(( وأمــرت لأعدل بينكم )).**
ومن فوائد الآية الكريمـة : إعلان مـا بـه الإلـزام للخصـم لقـوله : **(( اللـه ربنـا وربكـم ))** يعنـي وإذا كـان ربنـا وربكم فالواجب أن ننقاد جميعا لأوامره, فإن قال قائـل : وهل الله تعالى رب للكافرين ؟ فـالجواب: نعـم رب كـل شيء, لكن لا يضاف إليه فيقال : رب الكافرين كذا اللهم إلا في مقام الاحتجاج, لأنه وإن كان الله تعالى خالق كـل شيء ورب كـل شـيء لكـن لا ينبغـي أن تضـاف ربـوبيته وخلقه إلى أقبح خلقه. كما أننا نعلم أنـه سـبحانه وتعـالى رب الكلاب ورب الخنـازير ورب القـردة ومـا أشـبه ذلـك لكن لا نقول : رب القـردة ورب الكلاب ومـا أشـبه ذلـك, وهذه نقطة قد لا يتفطن لها بعض الناس وهـو الأدب فـي التعبير.
ويذكر أن أحد الملوك رأى في المنام أن أسنانه سـاقطة فدعا معبرا يعبر الرؤيـا فعبرهـا هـذا العـابر بـأن حاشـيته تموت وأهله, لأن الإنسان بأسنانه يتغذى ويحفـظ حيـاته, فأمر بسجنه, ثم إنه دعـا عـابرا آخـر فقـال لـه: أطـولهم عمرا, فأكرمه وارتاح لقوله, والمعنى واحد, لأنه إذا مات أهله قبله صار أطـولهم عمـرا لكـن التعـبير يختلـف, هنـا

(( اللـه ربنـا وربكـم )) أضـاف ربـوبيته عـز وجـل إلـى الكافرين لكن في مقام الاحتجاج, ثم إنه يسهل الأمر أنـه قال : **(( ربنا وربكم ))** لإفادة العموم .
ومن فوائد هذه الآية الكريمـة : أن اللـه سـبحانه وتعـالى سوف يجمع بين الناس يـوم القيامـة ويحكـم بينهـم فيمـا كانوا فيه يختلفون لقوله : **(( الله يجمع بيننا )) .**
ومـن فوائـدها : أن المرجـع إلـى اللـه خاصـة لقـوله : **(( إليه المصير ))** لكن في شيء ؟ هل معنـى: (( إليـه المصير )) يوم الحساب أو: (( إليـه المصـير )) فـي كـل شيء ؟ الجواب: الثاني (( إليه المصير )) في كل شـيء, إن أردنـا الحكـم الشـرعي فالمصـير إلـى اللـه, الحكـم القدري المصير إلى الله, الحكم في الـدنيا المصـير إلـى الله, الحكم في الآخرة المصير إلى الله, فكل شيء فإن مصيره إلى الله عز وجل, يتفـرع علـى هـذه القاعـدة أن الإنسـان لا يرجـو ولا يخـاف ولا يـدعوا إلا اللـه وحـده لا شريك له, ولا يستغيث إلا بالله, ولا يستعين إلا به
ثم قال الله تعالى .
القارئ: **(( وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِـي اللَّـهِ مِـنْ بَعْـدِ مَـا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَـةٌ عِنْـدَ رَبِّهِـمْ وَعَلَيْهِـمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ))[الشورى:16]**.
الشيخ : قال الله تعالى : **(( وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْـدَ رَبِّهِـمْ ))**,
الإعـراب: الـذين يحـاجون: مبتـدأ, وحجـة: مبتـدأ ثـاني, وداحضة: خبر المبتدأ الثاني, والمبتدأ الثـاني وخـبره فـي محل رفع خبر مبتدأ الأول.

**(( الذين يحاجون في الله ))** أي يجـادلون فيـه قـال المؤلف : " **في دين الله** " يعني يحاجون في دين الله, والصواب العموم, المحاجة في الله تشمل المحاجة فـي دينه, والمحاجة في أسمائه وصفاته, والمحاجة في ذاتـه, لأن الآية عامة في الله, والمحاجة أيضا في قدره, فكوننا نخصها في دين اللـه فيـه نظـر, حـتى لـو قـدر أن الـذين يحاجون إنمـا يحاجوننـا فـي الـدين ويقولـون : أنـه ليـس بصحيح فأخذها بالعموم أولى, لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال المؤلف : " **نبيه** " مفعول يحاجون يعني كأنه قال : من يحاجون ؟ فيقـال : نـبيه, وهـذا أيضـا فيـه نظـر, لأن تقييد المحاجة في الله عز وجل مع النبي صلى الله عليـه وسلم غير صحيح, لأنهم يحاجون نبي الله ويحاجون غيره أيضا, فإطلاق الآية أولى, ويقولون : أن حـذف المفعـول يفيد العموم, فإبقاء الآية على مـا هـي عليـه هـو الأولـى, إذا: **(( الذين يحاجون فـي اللـه ))** أي يحـاجون كـل من يجادلهم في الله عز وجل, وأيضا ليس في ديـن اللـه فقط, بل في دين الله وذات الله وكل ما يتعلق بالله عـز وجل؛ وقوله : **(( من بعد ما استجيب له ))** يعني مـن بعد ما استجاب له من منّ الله عليهم بالاسـتجابة, وهـذه الجملة كإقامة البرهان على هؤلاء.

" **(( من بعد ما استجيب لـه )) بالإيمـان لظهـور معجزاته وهم اليهود** " هذا قوله **:** " **(( من بعد مـا استجيب له)) بالإيمان** " صـحيح وقـوله : " **لظهور معجزته** " بناء على أنهم يحاجون النبي صلى اللـه عليـه وسلم وإذا قلنا : بالعموم فلا حاجة لهذا القيـد وقـوله : "

**وهم اليهود "** أيضا فيه نظر بل, نقول : كل مـن يحـاج في الله حتى المشركون من قريش وغيرهم حاجوا النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم, أليسـوا يخاصـمونه دائمـا ويستهزئون به ويسخرون منه ؟ فتقييد هذا أيضـا بـاليهود فيه نظـر, فصـار عنـدنا الآن ثلاثـة أشـياء فـي هـذه الآيـة خصصها المؤلف بشيء :

الأول : قوله : **(( في دين الله ))** وهي أعم .

والثاني : نبيه وهي كذلك أعم.

**(( حجتهـم داحضـة عنـد ربهـم ))** يقـول : **" (( داحضة )) باطلـة "** لكـن الـدحوض أشـد البطلان, يعني باطلـة بطلانـا لا فـوقه **(( داحضة عنـد ربهـم ))** فهل تنفعهم ؟ لا, وسيأتي إن شاء الله بيان فائدة قـوله : **(( عند ربهم )).**

**(( وعليهـم غضـب ولهـم عـذاب شـديد ))** عليهـم غضب ممن ؟ من الله ومـن أوليـاء اللـه, ولهـذا لـم يقيـد الغضـب بكـونه مـن اللـه لإفـادة العمـوم, وتأمـل سـورة الفاتحة حيـث قـال اللـه عـز وجـل : **(( صراط الـذين أنعمت عليهم ))** لأن النعمـة مـن اللـه وإضـافتها إلـى الـرب عـز وجـل ثنـاء ومـدح للـه **(( غيـر المغضـوب عليهم ))** ولم يقل : غير الذين غضبت عليهـم بـل قـال: (( المغضوب عليهم )) يشمل غضب الله وغضب أوليـائه من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين, ولئلا يسـند الغضـب إلـى اللـه عـز وجـل فـي هـذا المقـام, وإلا فـإن الغضب قد أسند إلى الله تعالى في قوله : **(( من لعنـه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنـازير وعبد الطاغوت )).**

**(( وعليهم غضب ولهم عـذاب شـديد ))** أي قـوي, متى ؟ قد يكون فـي الـدنيا وقـد يكـون فـي الآخـرة وقـد يكون فيهما .

من فوائد هذه الآيات الكريمـة بيـان بطلان جميـع الحجـج المخالفة لدين الله لقـوله : **(( والذين يحـاجون فـي الله حجتهم داحضة عند ربهم )) .**

ومن فوائد هذه الآيات الكريمـة : أن أولئـك المحـاجين لا وجه لمحاجتهم لأن الحق قـد بـان وقبلـه النـاس لقـوله : **(( من بعد ما استجيب له )) .**

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : بطلان حجج أهـل الباطـل بقوله : **(( حجتهم داحضة عند ربهم )) .**

ومن فوائدها : أن هؤلاء المبطلين وإن غلبـوا أهـل الحـق في الظاهر فإن حجتهم عند الله لا تنفعهم بل هي باطلة, وهذا من فوائد قوله: **(( عند ربهم ))** لأن حجـة الكـافر والمبطل قد لا تندحض أمام الناس, قد يكون الذي حـاجه ضعيفا في علمه أو فهمه أو في خصومته لكن مهمـا كـان فهي عند الله باطلة بل داحضة .

ومن فوائد هذه الآيـة الكريمـة : إثبـات الغضـب للـه عـز وجل لقوله: **(( عليهم غضب ))** فإن قال قائـل: كيـف تثبت الغضب لله عز وجل وهو لم يضـف إلـى اللـه هنـا ؟ بل قال : **(( وعليهم غضب ))** وهو نكـرة فكيـف تثبتـه لله ؟

فـالجواب: أن السـياق يعيـن هـذا لقـوله : **(( حجتهـم داحضـة عنـد ربهـم ))** وإذا دحضـت عنـد ربهـم فهـل يرضى الله عنهم أو يغضب ؟ يغضب, هذا وجه .

الوجه الثاني : أن الله تعالى قد أثبت لنفسه الغضب فـي

آيـات أخـرى, إذا يصـح أن نثبـت غضـب اللـه أو أن نثبـت الغضب لله بهذه الآية الكريمة, وإنمـا أوردت هـذا الإيـراد لأنه لا يجوز لنا أن نثبت لله إلا ما أضافه لنفسه.
وانظر إلى قول الله تعالى : **(( يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ))** هل يمكن أن نثبت لله الساق في هـذه الآيـة ؟ لا, لا يجـوز لأن اللـه تعالى لم يضفه إلـى نفسـه بـل قـال : **(( يوم يكشـف عن ساق ))** ولهذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسرها بقوله : **" عن شدة "** ولكننا نقول: هذه الآية لا نسـتطيع أن نثبـت منهـا السـاق لربنـا عـز وجـل لأن ظاهرها خلاف ذلـك, لكـن سـياقها يوافـق حـديث إثبـات الساق لله عز وجل حيث جاء مصـرحا بـه أن اللـه تعـالى يكشـف عـن سـاقه وحينئـذ نقـول: مـا دام سـياق الآيـة مطابقا لسياق الحديث فإن النبي صلى الله عليـه وسـلم أعلم الناس بتفسير كتاب الله, وإلا فلا يجوز أن نثبت للـه عز وجل ما لم يضفه إلى نفسه.
الخلاصة أنه يستفاد من هذه الآية إثبات الغضـب للـه, مـا وجهه ؟ السياق يدل عليه, وهـو ليـس ممتنعـا علـى اللـه بدليل ثبوته صريحا في آيات أخرى, فإن قال قائل: بمـاذا تفسرون الغضب ؟ قلنا : نفسر الغضب بأنه صفة لله عز وجل لائقة به, وليس كغضب المخلوقين, فإن قال قائل : ما قولكم فيمـن يفسـر غضـب اللـه بانتقـامه ؟ فيقـول : غضب بمعنى انتقم أو بمعنى أراد الانتقام ؟ فـالجواب أن نقول : هذا غلط خطأ؛ يبطله أدلة :
أولا : أن الله تعـالى قـال : **(( فلما آسـفونا انتقمنـا منهم ))** ومعنى آسفونا أغضبونا, انتقمنـا منهـم, فجعـل

الانتقام مرتبا على الغضب فهما متباينان .
ثانيا : أن نقول : أن الغضب الذي نثبته لله ليس كغضب المخلوق إذا غضب أساء التصرف ولم يتصرف تصرف الحكيم, لأن الإنسان إذا غضب تكلم بكلام يندم عليه, وفعل أفعالا يندم عليها, ربما يطلق زوجاته, ربما يوقف أملاكه, ربما يحرر عبيده من شدة الغضب, لكن غضب الله عز وجل ينتفي عنه ذلك غاية الانتفاء, فهو حكيم وإن غضب عز وجل.
فإن قال قائل : هل الغضب صفة مدح أو صفة عيب ؟
فالجواب: الغضب صفة مدح في محله, لأنه يدل على قوة الغاضب وقدرته على الانتقام بخلاف الحزن, ولهذا لا يوصف الله بالحزن لأنه صفة ذم, وإنما يوصف بالغضب لأنه يدل على قدرته على الانتقام, انظر مثلا إلى رجل أساء إليه ابنه هل يحزن أو يغضب ؟ يغضب ويؤدبه, وانظر إلى شخص ضعيف أساء إليه رجل قوي, هل يغضب أو يحزن ؟ يحزن, ولا يستطيع أن يغضب, ماذا يفعل إذا غضب, رجل كبر الجمل بقوة الفيل يضرب شخصا يكون قدر فخذه وضعيف, هذا يغضب ماذا يفعل إذا غضب ؟ يقفز عليه ؟ ما ينفع, إذا الغضب لا يكون إلا من قادر على الانتقام, ولهذا نقول : إن الغضب في محله صفة مدح.
من فوائد الآية الكريمة : أن هؤلاء والعياذ بالله مع الغضب لهم عذاب شديد, فيجمعون بين غضب الله عليهم وبين عذابه شديد, نسأل الله تعالى أن يشملنا وإياكم برحمته, وأن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى.

القارئ : **(( اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ))**[الشورى:17].
الشيخ : قال الله تعالى : **(( اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ))**
قال : **" (( الكتاب )) القرآن (( بالحق )) متعلق بأنزل "** أولا قول المؤلف : الكتاب أي القرآن فيه نظر وهو أن الكتاب أعم من القرآن بدليل قوله تعالى : **(( لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ بالحق والميزان ))**[الحديد:25] فأنت ترى الآية التي سقناها تطابق هذه الآية التي معنا, والمؤلف خص الكتاب بالقرآن وفيه نظر, بل الصواب أن المراد بالكتاب كل كتاب أنزله الله, فأل هنا للجنس وقوله : **(( بالحق ))** يقول المؤلف : **" متعلق بأنزل "** وعلى هذا يكون المعنى أن نزول هذه الكتب من عند الله حق ولكنا نقول : الآية أعم مما قال المؤلف فهي نازلة بالحق يعني أنها نزلت حقا من عند الله وهي أيضا متصفة بالحق بمعنى أنها جاءت بالحق, والفرق بين المعنيين ظاهر, لأنها على ما فسرنا تتضمن أن هذه الكتب حق من عند الله وأن ما جاءت به هذه الكتب فهو حق, فتكون الباء هنا على كلام المؤلف تكون للتعدية, وعلى ما قلنا تكون للتعدية والمصاحبة أو الملابسة.
**(( بالحق والميزان ))** قال المؤلف: **" العدل "** وعبر عن العدل بالميزان لأنه يعرف به العدل **(( وما يدريك ))** أي ما يعلمك أيها المخاطب **(( لعل الساعة قريب ))** أي إتيانها قريب, وعبر المؤلف: **" أي إتيانها "** ليطابق قوله : **(( قريب ))** لأن قريب مذكر يا إخواني

والساعة مؤنث وكان مقتضى ذلك أن يقول : وما يـدريك لعل الساعة قريبة, لكنه قال: قريب, احتـاج المؤلـف أن يؤول هذا إلى قـوله : إتيانهـا حـتى يكـون مـذكرا ويكـون قريب مطابق له, إذا فالآيـة علـى تقـدير المضـاف, ألجـأ إلى تقديره أن الخبر مذكر والسـاعة مـؤنث وقـال بعـض العلماء : إن قريب صفة يسـتوي فيهـا المـذكر والمـؤنث كقتيل وجريح وقال : إن هذا له نظـائر فـي القـرآن منهـا قـوله تعـالى : **(( ومـا يـدريك لعـل السـاعة تكـون قريب ))** وقـوله تعـالى : **(( إن رحمت اللـه قريـب مـن المحسـنين ))** قـال : فلمـا اطـرد تـذكيرها فـي مواضع عدة وجب أن يقال : أن قريب يعنـي هـذا اللفـظ يستوي فيه المذكر والمؤنث, وبناء على هذا لا نحتاج إلى تقدير, لأن الأصل في الكلام عدم التقدير. **(( قريـب ))** وصدق الله عـز وجـل السـاعة مهمـا طـال الزمـن فهـي قريبة, لا من حيث الساعة العمومية ولا من حيث الساعة الخصوصـية, السـاعة الخصوصـية سـاعة كـل إنسـان بحسبه, ساعة كل واحد منا قريبـة أو بعيـدة ؟ قريبـة, لـو نبلغ آلاف السنين, لأن ما مضى من سـنيك كـأن لا شـيء الآن مضى أمس القريب كأنه لم يكن, ويوم ولادتك كـأنه أمـس, إذا السـاعة قريـب باعتبـار كـل إنسـان بنفسـه, وكذلك الساعة الكبرى هي قريبة أيضا كما قـال اللـه عـز وجل : **(( كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشـية أو ضحاها ))** **(( ومـا يـدريك لعـل السـاعة قريـب ))** ولـذلك مـن عبـارات النـاس: **" كـل آت قريـب وكـل ماض بعيد "** قـال المؤلـف : **" ولعل معلـق للفعـل**

**عن العمل ومـا بعـده سـد مسـد مفعـولين "** كلام أعجمي أو عربي هذا ؟
**(( وما يدريك ))** تنصب ثلاثة مفاعيل :
المفعول الأول موجود وهو قوله : **(( وما يدريك )) .**
المفعول الثـاني والثـالث تنصـبه لكنـه علـق عـن العمـل بالإتيان بلعل, لأن لعل موجبة لتعليق أفعال القلـوب عـن العمل, فتسد مسد المفعـولين, الآن فهمـت لعـل معلـق للفعل عن العمل, أين لعل ؟ **(( لعـل السـاعة قريـب ))** أين الفعل المعلق ؟ يدريك, وما بعده أي ما بعـد لعـل سد مسد المفعولين, أين الـذي بعـد لعـل ؟ **(( الساعة قريب ))** فيكون هنا لعل علقتها عن العمل, أي أبطلـت عملها لفظا دون المحـل, والمعلقـات كـثيرة ذكرهـا ابـن مالك رحمه الله في الألفية فليرجع إليها .
السائل: من رجع إلى كتب في تفسير وتعبير الرؤيا الـتي رآها هل يعد معبرا لها من هذا الباب ؟
الشيخ : هل يعد عابرا ؟ لا هذا من الغلط العظيم الرجوع إلـى الكتـب الـتي تعـبر الرؤيـا غلـط, لأن الرؤيـا تختلـف باختلاف الرائي واختلاف المرئي الذي رئيت فيه إلخ, من الناس مثلا من يرى أنه يؤذن فنفسر له الأذان بأنه سيحج لقوله : **(( وأذن في الناس بالحج ))** ومن الناس من يرى هـذه الرؤيـا ونقـول إنـه سـارق : **(( فأذن مـؤذن بينكم إنكم لسـارقون ))** علـى حسـب الحـال, إذا لا يجوز أن نرجع إلى كتب التعبير حتى ننظر في كـل قضـية بعينها, ثم إن عبر الرؤيا في الواقع ليس سببه العلم, قـد يكون إنسان من أعلم الناس ولا يعرف يعـبر الرؤيـا وقـد يكون من عوام الناس ويعبرها وتقع كما عبر, إذا لا نعتمد

على هذه الكتب لكن إن كـان فيهـا قواعـد عامـة أنـا لـم أراجعها من قبل, إن كان فيها قواعـد عامـة يسـتعين بهـا الإنسان فهذا يمكن أن يرجع إليه .
السائل: شيخ هل إذا رجع إلى كتاب كأنه رجع إلى معـبر, يعني يقع المعبر ؟
الشيخ : لا, ما يصح.
السائل: ...
الشيخ : لا, حتى قريش يقـول لهـم الرسـول هـذا, يعنـي معناه أنه يقول لقريش هذا الكلام: أني لسـت ببـدع مـن الرسل ولا قائم على الرسل ولا ثائر عليهم .
السائل : لماذا نقول عابر ولا نقول معبر ؟
الشيخ : (( إن كنتم للرؤيا تَعْبرون )) أو تُعَّبرون ؟.
السائل : داحضة ؟
الشيخ : يعني باطلة أشد البطلان, والله أعلم .
الشيخ : أعوذ بـالله مـن الشـيطان الرجيـم سـبق لنـا أن الذين يحاجون في الله يشمل أكـثر ممـا ذكـره المؤلـف، المؤلف يقول : **" في دين الله "** وذكرنا أنه أشمل مما قال, في ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ودينه, يعنـي أنه أعلم مما قال المؤلف ليس بالدين فقط طيب. قـوله : **(( حجتهم داحضة ))** إعرابها ؟ حجـة مبتـدأ, داحضـة خبر, والجملة ؟
الطالب: خبر.
الشيخ: للمبتدأ الأول, بارك الله فيك.
الشيخ: قوله : **(( عند ربهم ))** ما فائدة هذا القيـد ؟ ... يعني أنها عند الله داحضة على كل حال أما في الدنيا فقد

يكون المحاج من أهل الدين يكون ضعيفا فـي الحجـة فلا يدحض حجة هذا المبطل.

الشيخ: قـوله : **(( وعليهم غضـب ))** ممـن ؟ ... مـن الله ومن أوليائه.

الشيخ: لماذا قال الله عز وجل في الفاتحة : **(( صـراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ))** ولـم يقل : غير الـذين غضـبت عليهـم ؟ ... والنعمـة مـن اللـه خاصة لم يقل : صراط المنعم عليهم غير المغضوب ولـم يقل : الذين أنعمت عليهم غير الذين غضبت, لأن النعمـة ممن ؟ من الله وحده كما قال عـز وجـل : **(( وما بكـم من نعمة فمن الله ))** الغضـب يكـون مـن اللـه ومـن عباده وأوليائه.

الشيخ: في الآية الكريمة إثبات الغضب لله عز وجل ؟ ... يعني لو قال قائل: عليهم غضب ولم يقل من الله فكيـف يصح أن تقول : إن هـذا دليـل علـى أن اللـه يغضـب ؟ ... وثانيا: دلت آيات أخرى على غضب الله على هؤلاء.

الشيخ: قـوله: **(( أنزل الكتـاب بـالحق ))** مـا المـراد بالكتاب كتاب واحد ؟

الطالب: القرآن والكتب الماضية.

الشيخ: يعني إذا المراد بالكتاب الواحد أو الجنس ؟

الطالب: الجنس.

الشيخ: الجنس, طيب ما هو دليلك على هذا ؟

الطالب: قـوله سـبحانه وتعـالى: **(( الله الـذي أنـزل الكتاب بالحق ))** لم يقل أنزل كتابا.

الشيخ: فهمنا أن ال هذه للجنس, لكن ما هو الدليل على هذا ؟ نعم يدل لذلك قوله تعالى : **(( لقد أنزلنا رسلنا بالبيات وأنزلنا معهم الكتاب بالحق والميزان ))**.
هذه قاعـدة مفيـدة جـدا إذا احتمـل النـص معنييـن علـى السواء ولا منافاة بينهمـا وجـب أن يحمـل عليهمـا جميعـا لأن الله عز وجل يعلم ماذا يحتمله كلامه وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم, وهذه قاعدة نافعة لطـالب العلـم, أما إذا تنافيا فيطلب المرجح من دليل آخر, وأمـا إذا كـان أحدهما أرجح أخذ به وتـرك الآخـر, فهنـا ثلاثـة أقسـام أن يكون أحدهما أرجـح فيؤخـذ بـه ويـترك الآخـر, ألا مرجـح واللفظ لا يتحمـل إلا أحـدهما يطلـب الترجيـح مـن دليـل آخر, أن يكون اللفظ يحتملهما جميعا فيحمل عليهمـا لأن ذلك أوسع وأشمل.
في هذه الآية فوائد قال الله تعالى : **(( الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ))**
من فوائد الآية الكريمة: علو الله عز وجل لقوله تعـالى : **(( الله الذي أنزل الكتاب )).**
ومن فوائد هذه الآية : أن القـرآن كلام اللـه, لأن القـرآن كلام وإذا أضيف إنزاله إلى أحد صار كلاما لـه وصـفة مـن صفاته .
ومن فوائـد الآيـة الكريمـة : أن الكتـب الـتي أنزلهـا اللـه نازلة بحـق فليـس فيهـا باطـل, الباطـل فـي الأخبـار هـو الكذب, والباطل في الأحكام هو الظلم والجور والفساد, فكلام الله عز وجل ليس فيه كـذب وليـس فيـه ظلـم ولا جور ولا فساد .

ومن فوائدها أيضا : أنها نازلة من عند الله حقا لقوله : **(( بالحق ))** وأظنكم تذكرون أنا ذكرنا في معناها وجهين .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات القياس لقوله : **(( والميزان ))** لأن الميزان ما توزن به الأشياء ويقارن بينها, ففيه إثبات القياس في الشرائع السماوية, وهذه المسألة أعني مسألة القياس أنكرها بعض العلماء ولاسيما الظاهرية عفا الله عنا وعنهم, وإنكارهم هو المنكر, لأن القياس جاء في الكتاب والسنة, فهنا ذكر الميزان والميزان ما توزن به الأشياء, وهذا لا يكون إلا بالقياس, واعلم أن كل مثل ضربه الله في القرآن فإنه مثبت للقياس, لأن المقصود به قياس هذه الحال على هذه الحال: **(( إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ))** إلى آخره, عندنا هنا مشبه ومشبه به, والتشبيه يقتضي المماثلة, وإلحاق المشبه بالمشبه به وهذا تماما هو القياس, وهذه خذها قاعدة كل مثل في القرآن فإنه يتضمن إثبات القياس, طيب وقال الله تعالى: **(( أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ))** هذا فيه قياس أولوية أو مماثلة ؟ أولوية, ورسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر القياس في عدة أحاديث منها أنه شبه قضاء الحج عن الميت بقضاء الدين, ومنها أن رجلا جاء إليه وقال يا رسول الله : إن امرأتي ولدت غلاما أسود ـ وهو والمرأة أبيضان ـ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : **( هل لك من إبل قال: نعم قال: ألوانها قال: حمر قال: هل فيها من أورق قال: نعم قال: أنى لها ذلك قال: يا رسول الله لعله**

**نزعه عرق قال: فولدك هذا ـ أو قال: فابنك هذا ـ لعله نزعه عرق )** فإثبات القياس لابد منه, ولا يمكن أن تتوسع الشريعة إلا بالقياس, لأن أكثر الحوادث لم يوجد بعينه في النصوص, لكن وجدت قواعد وأصول ترجع إليه هذه الحوادث في حكمها .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : الإشارة إلى قرب الساعة لقوله : **(( وما يدريك لعل الساعة قريب ))** وسبق في التفسير هل المراد بالساعة الساعة العظمى الكبرى أو الساعة الصغرى وهي موت كل إنسان ؟ وقلنا : إن المراد المعنيان كليهما, طيب .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم متى تقوم الساعة لقوله : **(( وما يدريك ))** أي ما يعلمك, وهذا حق ثابت فإن جبريل عليه السلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال : **( أخبرني عن الساعة فقال : ما المسئول عنها بأعلم من الطالب )** يعني كما أنك أنت تجهلها فأنا أجهلها, ولهذا من ادعى علم الساعة فإنه كافر مكذب لقول الله تعالى : **(( لا يجليها لوقتها إلا هو ))** .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : إثبات علو الله عز وجل لقوله : **(( أنزل الكتاب ))** والمراد بالكتاب هنا كلامه عز وجل الذي أوحاه إلى رسله, ما وجه الدلالة من الآية ؟ وجه الدالة أن النزول يكون من الأعلى إلى الأسفل.

وعلو الله سبحانه وتعالى ثابت بالقرآن والسنة والإجماع والعقل والفطرة, كل الأدلة الممكنة حاصلة لإثبات علو الله عز وجل, وهل العلو علو ذاتي أو علو وصفي ؟ بمعنى أن علوه علو صفة أو علو ذات وصفة ؟ الثاني

ذات وصفة لقوله تعالى : **(( سبح اسم ربـك الأعلـى ))** وقـوله تعـالى : **(( ولله المثـل ))** يعنـي الوصـف **(( الأعلى ))** إذا فعلـو اللـه عـز وجـل علـو ذات وعلـو صفة.

علو الصفة لا أعلم أحدا ينتسب إلـى الإسـلام أنكـره كـل المنتسبين إلى الإسلام من مبتدعة وسنية كلهـم يؤمنـون بعلو الله تعالى علو صفة, لكن ما هـو علـو الصـفة ؟ هنـا تختلف الأفهـام بعضـهم يقـول : مـن علـو صـفته تعطيـل صفاته, هذه بحث آخر.

علو الذات هذا محل المعـترك بيـن السـنيين والبـدعيين, انقسم الناس فيه إلى ثلاثـة أقسـام: ولا بـأس أن نبسـط لأن هذه عقيدة, قسم أثبتـوه, وقسـم نفـوه وقـالوا : إن الله تعالى لا يقال إنه فوق ولا تحت, وقسم نفوه وقالوا : إنه سبحانه وتعالى في كل مكان في السماء وفي الأرض في الأسواق في المساجد في المراحيض ـ وأعوذ بالله ـ في كل شيء, إذا الأقوال ثلاثة :

القول الأول : علو الله تعـالى بـذاته أنـه بـذاته فـوق كـل شيء, انتبه يـا أخـي, قلـت لكـم: هـذا دل عليـه الكتـاب والسنة والإجماع والعقـل والفطـرة, نأخـذ مـن كـل نـوع بدليل, القرآن: ما أكثر ما يقول الله فـي كتـابه **(( وهـو العلي ))** والعلـي هنـا صـفة مشـبهة والصـفة المشـبهة صـفة ثبوتيـة لا تفـارق موصـوفها, ويقـول عـز وجـل : **(( سبح اسم ربـك الأعلـى ))** الأعلـى اسـم تفضـيل حذف المفضل عليـه ليـدل علـى العمـوم, يعنـي الأعلـى على كل شيء, نكتفـي بهـذا وفـي القـرآن مـا لا يحصـى على وجوه متنوعة.

في السنة كـان النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم إذا سـجد يقـول : **( سبحان ربـي الأعلـى )** وقـد دلـت السـنة القولية والفعلية والإقرارية على علو الله عز وجل, فقول الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام: **( سـبح اسـم ربـك الأعلى )** هذا سنة قولية, وقوله صلى الله عليـه وسـلم للجارية : **( أين الله ) قالت : في السماء قال : ( أعتقها فإنها مؤمنة )** هذه إقراريـة؛ ورفـع يـديه إلـى السماء عند الدعاء وهو يدعوا الله: يا رب, سنة فعلية.

وقد جرت السنة الفعلية فـي أكـبر اجتمـاع حصـل للنـبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه وذلـك فـي يـوم عرفـة حيـن قـال : **( ألا هـل بلغـت ) قـالوا: نعـم قـال: ( اللهم اشهد )** اللهم إشارة إلى علو الله, اشـهد هـذا سفل للخلق, قالها ثلاث مرات, يشهد الله عز وجل على إقرار أمته أنه بلغ, وهل تشهدون أنتم ؟ نعـم وللـه نشـهد أنه بلغ البلاغ المبين, وأنه عانى من أجل ذلـك أكـبر عنـاء صلوات الله وسـلامه عليـه هـذه سـنة فعليـة. إذا السـنة بجميع أنواعها كلها دلت على علو الله.

الإجماع: إجمـاع الصـحابة وأئمـة المسـلمين مـن بعـدهم على علو الله فإن قال قائل : أثبت لي قولا واحد عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي علـى أنهـم قـالوا إن اللـه عـال بـذاته, أقـول: إن هـؤلاء يقـرؤون القـرآن ويعرفـون مـن السنة ما عرفوا ولـم يـرد عنهـم حـرف واحـد يـدل علـى نقيض مـا جـاء فـي القـرآن, وكفـى بـذلك دليلا, لـو كـان عندهم معارضة لـورد عنهـم خلاف مـا فـي القـرآن وهـم يقـرؤون القـرآ, وهـم عـرب يعرفـون المعنـى ويعرفـون المراد, ألا توافقوني على هذا ؟ وهذا من أحسن ما يكون

في تقرير إجماع الصحابة, يعني إذا أتاك إنسان وقال لك : طيب يا أخي أثبت لـي قـولا واحـدا عـن الصـحابة أنهـم آمنوا بعلو الله بذاته أقـول: مـا يحتـاج أثبـت لـك, قـرؤوا القرآن وعلموا من السنة ما علموا ولم يرد عنهـم حـرف واحد يقولون فيه : إن ا لله ليس في السماء أبدا, ولا إنـه بذاته في كل مكان, وهـذا إجمـاع, وهكـذا يـا إخـوان كـل الصفات التي لم يرد عن الصحابة ما يناقضـها فهـو دليـل على إجماعهم.

طيب العقل: العقل هل يدل علـى علـو اللـه ؟ نعـم يـدل على علو الله, لأنك لو سألت أي إنسان هل العلـو أكمـل أو السفول لقال لك : العلو أكمل لا شك حـتى فـي أمـور الدنيا يقـول : هـذا اللبـاس أعلـى مـن هـذا اللبـاس, كـل يعرف أن العلو صفة كمال, وإذا كـان كـذلك فهـل الـرب موصــوف بالكمــال عقلا أو لا ؟ موصــوف بالكمــال عقلا ولهذا قال إبراهيم لأبيه محتجا عليه بدليل عقلـي : **(( يـا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنـي عنـك شيئا ))** هذا م ا يعبـد, هـذا اسـتدلال عقلـي, أيضـا نحـن نقول العلو باتفاق العقلاء صفة كمـال, والسـفول باتفـاق العقلاء صفة نقص, فحينئذ ثبت لله العلو الذاتي عقلا.

بقينـا بـالفطرة, الفطـرة لا تسـأل ؟ اسـأل عجـوزا تـدور بـالرحى تطحـن الطحيـن اسـألها ويـن اللـه ؟ وهـي مـا درســت لا العقيــدة الواســطية ولا الطحاويــة ولا غيــره, اسألها وين ربك ؟ وش تقول ؟ على كل حال تقـول: فـي السـماء ولا تتوقـف لحظـة, لأن هـذا أمـر مفطـور عليـه الخلق, ويقال إن أبا المعالي الجويني عفا الله عنا وعنه ـ وهو إمام الحرمين ـ كان يتكلم عن الاستواء ومعروف أن

الأشاعرة وهم من أئمة الأشاعرة ـ عفا الله عنـا وعنـه ـ معلوم أنهم ينكرون استواء اللـه علـى العـرش يقولـون : استوى علـى العـرش يعنـي اسـتولى عليـه مـا فيـه علـو استولى عليه, وأحدثهم أنـا عـن مجلـس جمعنـي بعـوام, مجلس عادي قهوة, تكلم أحد الطلبة في نفس المجلـس قـال : إن أهـل التأويـل يعنـي أهـل التحريـف يقولـون : (( **إن ربكم اللـه الـذي خلـق السـماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش** )) يقولـون : ثم استوى على العرش ثم استولى عليه فقال العـامي ـ عامي عامي جمال يحمل علـى الجمـال يسـافر مـن بلـد إلى آخر ـ دعـا عليـه بـدعوة معروفـة عنـدنا فـي العاميـة يقولون : غربله الله ـ يعني عاقبه ـ العرش لمن قبل هـذا ؟ شف سبحان الله فطرة, لأنه خلق ثم استوى, خلق ثـم استولى وقبل لمن هو له ؟ عامي؛ إذا الفطرة تدل عليـه, المهـم يقولـون : إن أبـا المعـالي الجـويني تكلـم عـن الاسـتواء وقـال: " **إن اللـه تعـالى كـان ولـم يكـن عرش ولا مخلوق وهو الآن على مـا كـان عليـه** " إذا صار كان ولا عرش فهو الآن على ما كان عليـه, يعنـي ليس على العرش, فقال له أبو العلاء الهمداني : يا شـيخ دعنا من ذكر العرش ـ يعني نبحث بحثا آخر ـ أخبرنـا عـن هذه الفطرة ما قال عارف قط : يا الله إلا وجد من قلبـه ضرورة بطلب العلـو. صـح, كـل إنسـان يقـول: يـا اللـه, اسأله: أين يروح قلبه يمين أو يسار أو فوق ؟ يروح قلبـه فوق, فجعل يلطم على رأسه: حيرني الهمـداني حيرنـي الهمداني, عجز أن يجيب. لأن هذه مسألة فطريـة, كـل

إنسان مفطور لولا أن الشياطين اجتالته على علو الله تعالى بذاته فوق كل شيء.
فإذا علو الله سبحانه وتعالى دل عليه الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة.
الطائفة الثانية أو القول الثاني في هذه المسألة : أن الله تعالى لا يوصف بالعلو إطلاقا, بماذا يوصف ؟ قال: في كل مكان, ثم شبهوا بقوله تعالى : **(( وهو معكم أينما كنتم ))** أينما هذه ظرف مكان, أي: في أي مكان كنتم فالله معكم, قالوا : الله معك في كل مكان, طيب إذا كنت في المسجد فأين يكون الله ؟ في المسجد, واحد غيري في المرحاض أين يكون الله ؟ على زعمه هذا ـ يلزمه أن يقول هذا وإلا فليرجع ـ أن يكون في المرحاض, كم من إله الآن ؟ اثنين, وواحد في السوق ؟ الله في السوق, صاروا كم ؟ ثلاثة, وواحد في الطيارة ؟ الله في الطيارة, هل هذا يقوله عاقل ؟
يلزم من هذا القول: أولا : وصف الله بما لا يليق أن يكون الله في المراحيض والحمامات والأماكن القذرة والعالية والسافلة.
ثانيا: يلزم أحد أمرين: إما تجزئ الله وإما تعدد الله, إن قالوا: بالتعدد صحنا بهم صيحة تتقطع منها قلوبهم, ماذا نقول لهم ؟ كفرتم وصرتم أعظم من النصارى الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة, وأنتم تقولون : ملايين الملايين؛ وإن قالوا : يتجزأ, قلنا الآن أبطلتم قولكم, إذا كان يتجزأ وكان جزء منه مع فلان وجزء مع فلان ما صار مع فلان وهو يقول : **(( وهو معكم ))** ولم يقل : جزء منه معكم, فأنتم الآن خذلتم والحمد لله. وهذا والله لا

أظن قدم مؤمن بالله تثبت عليه, لا أظن إنسانا يؤمن بالله حقا تثبت قدمه على القول : بأن الله بذاته في كل مكان أبدا.

أما ما لبسوا به وشبهوا به من قوله : **(( وهو معكم ))** فإننا نقول : لا يلزم من المعية أن يكون في نفس المكان, ولهذا العرب تقول في لغتها: **" القمر معنا ومكانه في السماء "** وهم يقولون : معنا, العرب تقول : المرأة مع زوجها يعني في عصمته ولو كان هو في أقصى المشرق وهي في أقصى المغرب, القائد يوجه جنده إلى معركة في الميدان ويقول : اذهبوا واغزوا باسم الله وأنا معكم وهو في مكانه, فالمعية مدلولها واسع لا تستلزم الاختلاط لا في المكان ولا في الذات, إذا الحمد لله هذا القول بطل, القول بأنه بذاته في كل مكان هذا باطل.

بقينا القول الثالث ما هو ؟ يقول : لا تصف الله أنه معك ولا أنه فوق ولا تحت ولا متصل ولا منفصل ولا مباين ولا محايد, لا تصف الله بعلو ولا نزول ولا يمين ولا يسار ولا متصل بالخلق ولا مباين, أين يكون ؟ عدم, ولهذا قال بعض أهل العلم : لو قيل لنا صفوا العدم ما وجدنا أدق من هذا الوصف؛ ولما جيء بابن فورة إلى الأمير محمد بن سبكتكين رحمه الله وهو من الأبطال جيء إليه وقال له : صف لنا ربك قال : الرب عز وجل ليس بداخل العالم ولا خارج العالم ولا يمين ولا يسار ولا متصل ولا منفصل قال له : وصفت ربك بالعدم؛ ولو أردت أن تصف العدم ما وجدت أحسن من هذا الوصف. وصدق رحمه الله, أين الله على هذا الزعم ؟ غير موجود معدوم.

فالحمد لله نسأل الله أن يميتنا وإياكم على ملـة الإسـلام وطريق الذين أنعـم اللـه عليهـم, القـول الـذي لا يرتـاب عاقل في صحته ولا يمكن أن يؤمن إنسان بسواه إلا مـن اجتالته الشياطين هو أن الله سبحانه وتعـالى عـال بـذاته عال بصفاته ولا يمكن أن تستقر قدم مؤمن بالله واليـوم الآخر إلا على هذا القول .

الطالب: الرجل هذا يؤول الصفات فهل ترى أن ... ؟

الشيخ: لا هذا غلط عظيم, أنا رأيـت بعـض النـاس الـذين تنقصهم الدراية ـ ليس العلم ـ إذا رأى إنسـان يظنـه مـن منكـري العلـو أول مـا يسـلم: السـلام عليكـم, كيـف أصبحت, أين الله ؟ كيف, هل الرسـول صـلى اللـه عليـه وسلم يبدأ الناس بقوله : أين الله, هـذا مـن الغلـط أبـدا, ابسط له القول, ولا تناقشه أيضـا إلا إذا فتـح البـاب, هـو مسلم والأصل في الإسلام السلامة, لا تناقشه إلا إذا فتح الباب أو إذا رأيت في المسألة صدره متسعا وهـو نفسـه يستطعم منك, فحينئذ ابدأه, فإحسـان الـدعوة والحكمـة في الدعوة أمر مهم, فالرسول عليه الصلاة والسـلام مـا قال لهذه الجاريـة : **( أيـن اللـه ؟ )** إلا لسـبب يقتضـيه بالنسـبة لهـذه المـرأة, والأعرابـي الـذي شـهد أنـه رأى الهلال ماذا قال لـه ؟ قـال لـه : **( أتشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمد رسول الله )** ما قال له : أيـن اللـه ؟ ورسول الله صلى الله عليه وسـلم أعطـاه اللـه الحكمـة يخطاب كل إنسان بما تقتضه حاله .

الطالب : بالنسبة إلى الأشاعرة هل هم م ن أهـل السـنة والجماعة أو لهم تقسيمين ؟

الشيخ : بارك الله فيك أولا من هم أهل السنة والجماعة ؟ أهل السنة والجماعة الذين اجتمعوا على السنة وأخذوا بها, والإنسان قد يكون من أهل السنة والجماعة في شيء دون آخر, كما أن الإنسان يكون فيه خصال كفر وخصال إيمان, كذلك يكون فيه سنة وبدعة, فالأشعرية وأعنى بذلك المذهب ليس على مذهب أهل السنة والجماعة, لمخالفتهم إياهم في كثير من الأشياء الأصولية المهمة كمسألة الصفات ومسألة الإيمان باليوم الآخر فيه مخالفات كثيرة, ومسألة الإيمان وأعمال العبد وغير ذلك, لكن رجلا من الناس نعرف صدقه وإخلاصه في دين الله ومدافعته عنه, ذهب إلى قول من أقوال الأشعرية لا نقول إنه أشعري, بل نقول هو من أهل السنة والجماعة, لكن نقول قال في مقالة الأشعرية في كذا وكذا, أيضا نقول المسلمون الآن انقسموا إلى سنة وشيعة فباعتبار هذا التقسيم كل من عدا الرافضة فهو سني بهذا التقسيم, فالمسألة لها اعتبارات .

الطالب: يسألوننا يقولون ائتني بدليل أن الصحابة أثبتوا علو الله بذاته, ألا نسألهم بهذا السؤال نقول لهم: أيضا أنتم ائتونا بدليل يثبت أن الصحابة أمكروا هذا ؟.

الشيخ : بلى, هذا هو الأصل, لكن نحن نريد دليل ثبوتي, أما الدليل السلبي فهذا لا يحتاج, نقول هات دليل على أنهم حرفوها إلى ما قلت, وقد أشرنا إليه قبل قليل قلنا: إنه لم يرد عنهم حرف واحد أنهم قالوا: إن الله ليس بالسماء أو لا داخل العالم ولا خارجه, نعم .

الطالب : ... بحد ؟

الشيخ : كلمة حد وكلمة جسم وما أشبه ذلك من العبارات المبتدعة التي يريد بها أهل التعطيل إلزام أهل السنة والجماعة بما لا يليق بالله, فالحد نسأل ؟ أولا كلمة حد لم ترد في الكتاب والسنة لا إثباتا ولا نفيا فلتكن جانبا, ثانيا: من حيث المعنى إن أردت أن الله محدود بمعنى أنه منحاز عن الخلائق هو وحده شيء والمخلوقات شيء آخر فهذا صحيح, إن أردت أنه محدود يعني أن شيئا من المخلوقات أحاط به فهذا باطل, ولا يحتاج نقول بحد ولا بغير حد, حتى أن بعض العلماء أنكر أن يقول القائل : استوى على العرش بذاته, قال: لا تقول بذاته, لا نحتاج نقول : بذاته, إذا قال : استوى على العرش يعني هو نفسه ما حاجة نقول بذاته, لكن بعض السلف اضطر إلى كلمة بذاته دفعا للبدعة يقول : ينزل إلى السماء الدنيا بذاته, نحتاج بذاته ؟ ... لأن الله أضاف الفعل لنفسه **( ينزل إلى السماء الدنيا )** ما نحتاج نقول: بذاته, معروف من كلمة ينزل أن هو الذي ينزل, لكن احتاجوا أن يقولوا: بذاته, ردا على المبتدعة الذين قالوا : ينزل الله أي أمره, فقابلوا أمره بذاته, وكلمة بذاته صحيحة, والتعبير دل عليها, وكلمة أمره باطلة, انتبهوا أن السلف رحمهم الله أحيانا يعبرون بأشياء يضطرون إلى التعبير بها لكنها لا تخالف الحق, وإن كان الأولى تركها لأن الصحابة تركوها, لكن الصحابة هل ظهرت عندهم هذه البدع ؟ ما ظهرت, ولهذا يقول : **(( استوى على العرش )) ( ينزل إلى السماء ) ( يأت للفصل بين العباد )** ولا يقولون : بذاته, لأنه لم

يكن عندهم من يقول: إنه يأتي أمره أو ينزل أمـره أو مـا أشبه ذلك.

الشيخ: ولا يقولون بذاته لأنه لم يكن عندهم من يقول : إنه يأتي أمره أو ينزل أمره أو ما أشبه ذلك, فكلمة بذاته تحقيق للمعنى ويضطر الإنسان إليها دفعا لقول أهل البدع, ما هو لأن المعنى لا يتم إلا بها, المعنى يتم بدونها, كل فعل أضافه الله لنفسه فالمراد نفسه ؟ خلق السماوات تقول : بذاته ؟ لا, خلق السماوات هو نفسه, ينزل إلى السماء لا يحتاج يقول : بذاته, ما دام ينزل أي هو أي نفس الله, يأتي للقضاء أي هو وهلم جرا, لكن السلف رحمهم الله مضطرون إلى قول لا يخالف المراد دفعا لباطل ابتدعه أهل البدع, مثلا قال الله تعالى : (( **وهو معكم أينما كنتم** )) ألا تعلمون أنه لم يشتهر عن السلف إلا قولهم : هو معهم بعلمه قالوا : هذا كما قال عبد الله بن المبارك : نقول هو معهم بعلمه ولا نقول : كما يقول هؤلاء هو في الأرض؛ فقصدهم معهم بعمله يعني ردا لمن قالوا : إنه معهم بذاته, يعني في المكان الذي هم فيه, لكن لو رجعنا إلى مدلول الآية بقطع النظر عن الرد عن أهل البدع قلنا : (( **وهو معهم** )) كما أضاف الله خلق إلى نفسه فهو معهم أي نفسه, لكن هل يلزم من المعية أن يكون في الأرض ؟ لا, لا يلزم, بل هو بالنسبة لله تعالى ممتنع غاية الامتناع, انتبهوا لهذا, مع أنه معنا بعلمه وسمعه وبصره وسلطانه وتدبيره وكل ما تقتضيه معاني الربوبية, لكن هناك ظروف تلجأ الإنسان إلى قول, إلى شيء زائد عن النص لتوضيح النص والرد على من حرفه.

أرأيتم الآن ـ ولو طولنا عليكم ـ أرأيتم التسلسل مثلا, أصول الخلاف فيه ثلاثة المنع في المستقبل والماضي, الجواز في المستقبل والماضي, الجواز في المستقبل والمنع في الماضي, تعرفون التسلسل ؟ هو الصحيح لا تعرفونه, لأن الواقع أنه محدث أيضا, هذا من المحدثات, هل الله عز وجل لم يزل ولا يزال فعالا ؟ أو كان في الأول معطلا عن الفعل ثم فعل ؟ هذه واحدة؛ وهل لا يزال فعالا أو سيأتي اليوم الذي تنتهي فيه الخلائق ويفنى كل شيء ؟ هذه اثنين؛ أو أن الله تعالى لم يزل في الماضي ولا يزال في المستقبل فعالا ؟ الثالث هو الحق الذي لا شك فيه, أنه لم يزل ولا يزال فعالا لكن فعله تابع لمشيئته إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل, هذا القول: وهو جواز التسلسل في الماضي والمستقبل هو المتعين؛ الجنة باقية أبدا أو لا ؟ باقية أبدا, وما يحدث فيها من النعيم متسلسل إلى ما لا نهاية له, وكذلك النار, في الماضي لم يخبرنا الله عز وجل إلا عن خلق السماوات والأرض والعرش وما أشبه ذلك, لكن

نعلم أن الله عز وجل له أن يفعل ما شاء قبل هذه المخلوقات لأنه قادر, والقادر على الشيء يجوز أن يفعل, وقوله عز وجل : (( **إن ربك فعال لما يريد ))** يشمل الماضي والمستقبل, وهذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة والعقل, وإن كان بعض الناس أنكر على شيخ الإسلام رحمه الله حين صرح بجواز التسلسل في الماضي وقالوا : هذا لا يمكن, إذا قلت بالتسلسل في الماضي لزم أن يكون الخلق مع الخالق, وهذا باطل إلى أبعد الحدود, هل يلزم أن يكون الفعل مع الفاعل ؟ إذا قلت : إن الله فعال لا يلزم, بل من الضروري أن المفعول قد سبقه فعل وأن الفعل قد سبقه فاعل مريد, هذا شيء عقلي, فأنا أقول لكم: البحث في التسلسل وإتعاب النفوس فيه وإتعاب الأفكار وملئ الأسفار منه كل هذا إنما حدث حينما قال به أهل البدع ودخل على الأمة الإسلامية حينما عربت الكتب الرومانية واليونانية, وإلا فالناس في غفلة عن هذا على فطرهم, أن ربنا عز وجل لم يزل ولا يزال فعالا وأن ذلك لا يستلزم قدم الحوادث, فالمفعولات شيء والفاعل شيء آخر, انتبهوا لهذه المسائل لو فكرتم لوجدتم الطريق الأسلم والأعلم والأحكم طريق من ؟ طريق السلف, واستمع إلى القولة المشهورة الباطلة التي تجدونها في كتب من عرفوا بالصلاح والإصلاح, يقولون: طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم, سبحان الله كيف تكون أعلم وأحكم وليست بأسلم, لأننا نعلم أن الأعلم والأحكم يجب أن يكون الأسلم, ونعلم أيضا أنكم إذا أقررتم أن طريقة السلف أسلم فهي الأعلم والأحكم, لكن هؤلاء أتوا حيث لم يفهموا طريقة السلف, ظنوا أن طريقة السلف التفويض, وأن نكون أمام آيات الصفات وأحاديثها كالأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني, يظنون أن السلفي إذا قلت له : (( **وجاء ربك والملك صفا صفا ))** ما معنى وجاء ؟ الله أعلم فكني من شرك ما أدري؛ **(( استوى على العرش ))** ما معناه ؟ قال : ما أدري؛ (( ويبقى وجه ربك )) ما معناه ؟ قال : ما أدري؛ هذا رأيهم في مذهب السلف, وهل هذا حقيقة مذهب السلف ؟ أبدا, السلف يقول : نعرف المعنى نعرف وجاء ربك أنه أتى عز وجل على وجه يليق بجلاله, أن له وجها يليق بجلاله, أن له استواء يليق بجلاله, نعلم هذا ونعرف المعنى, لكن تسألني عن الكيفية لا, لا أستطيع أن أتكلم لأنه ليس لي علم بهذا, هم لما ظنوا أن مذهب السلف هو التفويض, يعني تفويض المعنى والكيفية, قالوا : طريقة الخلف أعلم وأحكم, ونحن

معهم إذا كان مـذهب السـلف أنهـم لا يفهمـون المعنـى فالـذي لا يفهـم المعنى أحسن من الذي يفهم, لا شك في هـذا, وإن كـان فهمـه خاطئـة لكن طريقتهم سليمة, إلا أننا نقول لهم: طريقة السلف إثبات المعـاني, وهذا مشهور متـواتر عنهـم, يقولـون فـي آيـات الصـفات وأحاديثهـا : " **أمروها كما جاءت بلا كيف** " هذه الجملة التي اتفـق عليهـا السـلف تدل على أنهم يثبتون المعنى من وجهين :

أولا : أنهم قالوا : أمروها كما جاءت, ونحن نعلم أن الله تعـالى أتـى بهـا ورسوله أتى بها لإثبات معاني, ما هي لتقرأ ألفاظا جوفاء .

ثانيا : قولهم : بلا كيف يدل على ثبـوت أصـل المعنـى, لأن نفـي الكيـف عما ليس بموجود لغو من القـول, فـإذا أصـل المعنـى موجـود والكيفيـة مجهولة, والإمام مالك رحمه الله قال حينما سئل عن الاسـتواء قـال : " **الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجـب والسؤال عنه بدعة** " هم لما ظنوا أن السلف لا يثبتون المعاني قالوا : إنها أسلم؛ ونحن نقول لهـم : إمـا أن تكونـوا كـاذبين علـى السـلف أو جاهلين بحقيقة مذهبهم, لا تخرجون عن هذا؛ فكلامهم هذا عـن السـلف لا يخلوا من ظلم وهو إما القول بلا علم أو الكذب على السلف, وكلاهما ظلم, فهم ظـالمون للسـلف فـي هـذا الكلام الـذي قـالوا : إنـه مـذهب السلف.

السائل: ...

الشيخ: إذا قلنا : بمعنى العلم فسرناها بلازمها وقصرنا في معناها, لأنــه معهم بعلمه وسمعه وبصره وسلطانه وغير ذلك كما ذكر ذلك ابـن كـثير في تفسيره رحمه الله, و قـد ذكـر ابـن رجـب أيضـا فـي جـامع العلـوم والحكم, يعني ليس معهم بالعلم فقط بل بكل ما تقتضـيه الربوبيـة مـن علم وسمع وبصر وقدرة وسلطان وغير ذلك .

ثانيا : المعية شيء, والعلم من لازمها ومقتضياتها, فهـي أشـمل إحاطـة ومعنى, لكنهم يفسرونها بالعلم ردا لقول أولئك القـوم الـذين يقولـون : معنا في نفس المكـان, والعـامي عنـدما تقـول لـه : المعيـة لهـا معنـى والعلم مقتضاها ولازمها لا يفهم, والحملة الشديدة في ذلك الـوقت فـي زمن الأئمة بالنسبة لتحريف المعيـة, فلـذلك أتـوا بهـذا المعنـى السـهل الذي يتصوره الإنسان عن قرب.

الطالب : متى يكون التأويل كفرا ؟

الشيخ : إذا لبست ثوبك فقلت : أكلت خبرة تعنـي لبـث ثـوب, هـل لـه

وجه ؟ إذا كان التأويل ليس له وجه لا لغة ولا شرعا فهو كفر لأنه تكذيب, ولهذا نقول : جحد الصفات نوعان:
إما تأويلا وإما تكذيبا, إن كان تكذيبا فلا شك أنه كفر لو قال قائل : **(( الرحمن على العرش استوى ))** إنه لم يستوي على العرش كذب, ماذا نقول ؟ نقول : كفر لأنه مكذب, لو قال : نعم استوى على العرش لكن معنى استولى, قلنا : هذا تأويل, ثم ينظر إن كان للتأويل مساغ إن دل عليه دليل أخذنا به, وإن لم يدل عليه رددناه, لكن إن كان له مساغ لم يكفر وإن لم يكن له مساغ فإنه يكفر.
ثم قال الله عز وجل .
القارئ : **(( يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ))**[الشورى:18] .
الشيخ : **" (( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها )) يقولون : متى تأتي ؟ ظنا منهم بأنها غير آتية ))** " يستعجل بها: يعني يستعجلونها يقولون: أين هي ؟ متى تكون ؟ ليس ذلك حرصا عليها ولا رغبة فيما يكون فيها من الخير, ولكنه استبطاء لها وإنكار لها, يقولون : وين الساعة التي تقولون ؟ كما قال الله عز وجل : **(( وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ))**[الجاثية:25] وهم بهذا ملبسون مشبهون لأنه لم يقل لهم : إنهم يأتون في الدنيا, يأتون يوم القيامة, فالرسل لم تقل : إن آبائكم سيأتون وأنتم أحياء, لأنه من مات لا يبعث إلا يوم القيامة: **(( ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ))** اللهم إلا أن تكون آية من آيات الرسل كما جاء لعيسى.
**(( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ))** أما الذين آمنوا فاسمع ماذا يقول الله عنهم ؟ **" (( والذين آمنوا مشفقون ))** خائفون **(( منها ويعلمون أنها الحق ))** " الذين آمنوا مشفقون والإشفاق: أشد الخوف, وتفسير المؤلف له بالخوف تقريبي وليس على وجه التحديد, لأن الإشفاق خوف وزيادة, مشفقون منها خائفون منها, لأنهم يعلمون أنها الحق وأنها ستقوم, وستكون الأهوال العظام, ستكون الجبال كالعهن المنفوش, وستدك الأرض, وكل ما ذكر في الكتاب والسنة مما يكون في الآخرة فإن الذين آمنوا مؤمنون به مشفقون منه.

قال الله تعالى : " **(( ألا إن الذين يمارون )) يجادلون (( في الساعة لفي ضلال بعيد ))** " ألا: أداة استفتاح, الفائدة منها التنبيه والتحقيق والعناية, ولهذا تأتي بعدها غالبا إن, وإن للتوكيد مثل قوله تعالى : **(( إلا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ))** **(( ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ))** فإذا ألا أداة استفتاح تفيد التوكيد والتنبيه والتحقيق, نعم والعناية.

**(( ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد ))** إن للتوكيد واللام في قوله : **(( لفي ضلال بعيد ))** لام التوكيد داخلة على الخبر **(( لفي ضلال بعيد ))** أي لفي ضلال بعيد عن الهدى لأن الضلال قد يكون قريبا ويهتدي الإنسان عن قرب, وقد يكون بعيدا فلا يهتدي والعياذ بالله إلا بعد الَّتِي والَّتَي.

من فوائد هذه الآية الكريمة : أن منكري الساعة يستعجلونها يقولون : متى ؟ والمراد بقولهم : متى ؟ الإنكار كما قال عز وجل : **(( وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ))**[الجاثية:25] .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن المؤمن بالساعة خائف منها لقوله : **(( والذين آمنوا مشفقون منها ))** ولكنهم مشفقون منها يعني خائفين خوفا يحملهم على العمل لها, لا خوف ذعر فقط, بل خوف يحملهم على العمل لها, وهذا هو الخوف النافع, وأما مجرد الذعر فلا يكفي .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : الإشارة إلى ترجيح جانب الخوف لأن الله تعالى امتدح الذين يخافون من الساعة, وهذه المسألة اختلف فيها أرباب السلوك والمعارف: أيما أفضل أن يغلب الإنسان جانب الخوف أو جانب الرجاء ؟ فقال الإمام أحمد رحمه الله : " **ينبغي أن يكون خوفه ورجائه واحدا فأيهما غلب هلك صاحبه** ", لأنه إن غلب جانب الخوف وقع الإنسان في القنوط من رحمه الله, وإن غلب جانب الرجاء وقع في الأمن من مكر الله, وكلاهما خطر على الإنسان, وقال بعض العلماء : ينبغي عند إرادة العمل السيئ يعني عند إرادة المعصية أن يغلب جانب الخوف لئلا يقع فيها, وعند فعل الطاعة أن يغلب جانب الرجاء؛ وهذا جيد جدا, لأنه عند الهم بالمعصية إذا لم يغلب جانب الخوف وقع فيها, وعند فعل الطاعة إذا لم يغلب جانب الرجاء لم ينشط على الطاعة, فعليه نقول : إن تغليب أحد الجانبين الخوف

والرجاء يرجع إلى حال الشخص, في حال الهم بالمعصية يغلب جانب الخوف, وفي حال فعل الطاعة يغلب جانب الرجاء, لئلا يقنط من رحمة الله وييأس من روح الله, فيغلب جانب الرجاء, ويكون رجائه هذا مبنيا على أنه لما يسر الله له فعل الطاعة فإن رجاءه بالله يكون أعظم وأمكن, فيكون الله تعالى عند حسن ظنه به؛ هذان قولان .

القول الثالث : في حال المرض ودنو الأجل يغلب جانب الرجاء حتى يموت وهو محسن ظنه بالله عز وجل, وفي حال الصحة يغلب جانب الخوف, لأن الإنسان إذا كان صحيحا فإنه يكون عنده شيء من البطر والأشر وربما يقدم على المعاصي والتهاون بالواجبات, فيغلب هنا جانب الخوف, ولهذا جاء في الحديث: **( نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ )** وعند العوام يقولون : نعمتان مجحودتان الصحة في الأبدان والأمن في الأوطان؛ هذا ما هو صحيح, الصحيح: **( نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ )** ولم يكن فارغا إلا لأنه غني, لأن الفقير لا يكون فارغا يعمل ويكدح ويكتسب, فهاتان النعمتان كثير من الناس مغبون فيهما لأنه لا يربح فيهما, إذن هذا قول ثالث : هو في حال المرض يغلب جانب الرجاء, وفي حال الصحة يغلب جانب الخوف, ولكن القول الوسط وما أشرنا إليه هو القول الثاني : إذا هم بالمعصية فليغلب جانب الخوف, وإذا فعل الطاعة فليغلب جانب الرجاء, نعم .

الطالب: بالنسبة لما تحدثنا عن الساعة, فيه كتاب نازل في الأسواق يتحدث عن تاريخ نهاية مدة الإسلام, وهذا الكتاب يستند على أحاديث أقلها صححها الشيخ الألباني, ونزلت ثلاث كتب الآن: العلامات الصغرى يقول: كلها خرجت, والذي بقي منها هذه تسمى أحداث تقع بعد خروج بعض العلامات الكبرى, مثل كنز الفرات وتعود المروج الخضراء أي جزيرة العرب, ويذكر أيضا في الكتاب ـ طبعا الكتاب مزكى من بعض علماء الأزهر ـ والأحاديث التي فيها صحيحة ... أو حسنها الألباني, ويستدل بأحاديث فيه حصار العرق ورد في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم, ويستدل بحديث الأجراء, ويأتي بكلام لشيخ الإسلام ... وله كتاب ثالث رد على من رد عليه قال: أنا لست أول من سلك هذا المسلك ابن حجر وأيضا ابن رجب وابن عساكر, وكثير من أهل العلم, والسيوطي تكلموا في هذا الباب, فلماذا تنكرون علي ؟ هو يقول : باقي عليها سبعين سنة أو ثمان وستين سنة وتنتهي أمة الإسلام, وقد

تزيد قليلا أو تنقص قليلا, أما علم الساعة فعند الله سبحانه وتعالى, وهذا عمر أمة الإسلام. ؟
الشيخ : لا شك أن هذا كذب ودجل وإتباع للمتشابه, عندنا آية صريحة مثل الشمس: **(( قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ))** كرره, كيف يجيء واحد يقول : أنا أعلم؛ أما عمر الأمة الإسلامية بمعنى أن الإسلام يزول بعد هذه المدة فهذا قد يقول قائل : أنه ممكن وقد يقول إنه غير ممكن العلم به, لأن قيام الساعة يكون على شرار الخلق حتى لا يقال : الله الله, لكن هذا ما عندنا علم منه, فكل هذا باطل, وكل هذا يجب أن يكذب وينكر, وأما الأحاديث التي يستدل بها فينظر أولا في سندها وصحتها, وليس كل ما صححه فلان أو فلان يكون صحيحا, البخاري رحمه الله قد يذكر تعاليق هو يجزم بصحتها كما قالوا: إذا ذكر التعليق مجزوم به فهو صحيح عنده, ومع ذلك هي ضعيفة إمام المحدثين, وثانيا: إذا تم النظر في صحتها وصارت صحيحة ينظر في دلالتها, فلا يمكن أن تدل الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف ما جاء في القرآن وبخلاف ما هو صريح في السنة, وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: **( أتاكم يعلمكم دينكم )** يدل على أن من ديننا أن نؤمن بأنه لا علم لأحد بقيام الساعة.
ثم قال الله تعالى .
القارئ : **(( اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ العَزِيزُ ))**[الشورى:19].
الشيخ : **(( الله لطيف بعباده ))** الجملة استئنافية وهي أيضا مبتدأ آية, **(( الله لطيف بعباده ))** لا يخفى أنه مبتدأ وخبر, ومعنى اللطيف هو الذي يلطف بالعبد, فيقدر له من التيسير ما لا يخطر له على بال, قال ابن القيم رحمه الله في النونية: **" وهو اللطيف بعبده ولعبده "** لطيف به يرفق به ويبسر له الأمر, لطيف بعبده يقدر له من الأمور الخارجية ما يكون فيه اللطف, كما قال عز وجل : **(( إن ربي لطيف لما يشاء ))** إذا اللطافة تعتبر كناية عن تيسير الأمر وتسهيل الأمر لمن شاء من عباده.
لكن هنا يقول: **" (( بعباده )) برهم وفاجرهم "** حتى الفاجر الله لطيف به ؟ نعم لطيف به بالمعنى العام, ولهذا ينزل عليه المطر,

وينبت لهم النبات, ويدفع عنهم الشرور إلى آخره, فالله عز وجل لطيف بالعباد كلهم البر والفاجر, لكن لطفه بالبر لطف خاص مستمر في الدنيا وفي الآخرة, ولطفه بالفاجر لطف عام يكون ابتلاء وامتحان, وربما يزداد به الفاجر فجورا بما لطف الله به, كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : **( إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ).**

" **(( لطيف بعباده )) حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم "** وإنما فسرها بقوله : حيث لم يهلكهم جوعا توطئة لقوله تعالى : **(( يرزق من يشاء ))** يرزق أي يعطي, فالرزق بمعنى العطاء, ومنه قوله تعالى : **(( وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ ))** [النساء:8] أي: أعطوهم.

يقول : " **(( من يشاء )) من كل منهم ما يشاء "** من وما يشاء لأن المسألة فيها مرزوق وفيها رزق, المرزوق عبر عنه بقوله : **(( من يشاء ))** فأتى بمن التي للعقلاء, والمرزوق قدره الشارح بقوله : " **ما يشاء "** إذا لدينا رزق ومرزوق, المرزوق عبر عنه الله بقوله : **(( من يشاء )),** والرزق حذف للعلم به وقدره المفسر بقوله: ما يشاء؛ ونظير هذا قوله تعالى: **(( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ))** [الإسراء:18] طيب وقوله : ما يشاء؛ ترد كثيرا في القرآن أشياء معلقة بالمشيئة, وأنا أسألكم هل هذه الأشياء المعلقة بالمشيئة هي لمشيئة مجردة أم لمشيئة مقرونة بالحكمة ؟ الثاني, يتعين هذا, لأن الله سبحانه وتعالى في أفعاله لا يفعل إلا لحكمة, كل ما وجدت مضافا إلى الله معلقا بالمشيئة فاعلم أنه مقرون بالحكمة, دليل ذلك قوله تبارك وتعالى: **(( وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما ))** ففي هذا إشارة إلى أن مشيئة الله عز وجل صادرة عن علم وحكمة, فخذها بقلبك, كلما وجدت شيئا من أفعال الله أو أحكام الله الشرعية معلق بمشيئة فاعلم أنه مقرون بالحكمة, خلافا لمن قال من الجهمية وغيرهم: إن أفعال الله تعالى لمجرد المشيئة وليست مقرونة بالحكمة.

طيب: **(( وهو القوي العزيز ))** القوي ضد الضعيف, يعني ذي القوة الكاملة التي لا يلحقها ضعف, ولنسأل أنفسنا, هل لدينا قوة كاملة ؟ لا, ثم لا, ثم لا, وهل قوتنا الناقصة تستمر ؟ لا, وهل قوتنا الناقصة ثابتة لنا من حين ولدنا ؟ لا, واسمع إلى قول الله عز وجل: **((**

**الله الذي خلقكم من ضعف ))** هذا واحد **(( ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعف وشيبة ))** هكذا حال الإنسان ولا مفر منها, الرب عز وجل هو القوي ذو القوة التامة التي لم تزل ولا تزال, واستمع إلى عاد حين فخروا بقوتهم وقالوا : **(( من أشد منا قوة ))** فقال الله عز وجل : **(( أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ))** الله أكبر, لو قالت أمريكا الآن : **(( من أشد منا قوة ))** ماذا نقول ؟ الله الذي خلقكم, أنتم الآن مخلوقون ضعفاء, ولو شاء الله لسلبكم القوة والقدرة والعقول, لأن الله هو الذي خلقكم, هو أشد منكم قوة, وكذلك غيره من الدول الذين يعتزون بقوتهم المادية نقول : إن فوقكم رب العباد عز وجل الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا فهو أشد منكم قوة, وقد يكون تفتيت القوة من نفس القوة, أرأيتم الإتحاد السوفيتي أليس يهدد العالم من قبل ؟ أليس قد قال رئيسهم حين قال وزير الدفاع الأمريكي: إن لدينا صواريخ يمكن أن نضرب بها موسكو فقال له رئيسهم : ولكنها إذا رجعت لأمريكا لم تجد أمريكا, وين راحت ؟ دمرها الروس قبل أن تصل صواريخهم إلى الروس, تفاخر بالقوة, الآن الإتحاد السوفيتي فتته الله من داخل, والقادر على هذا قادر على أن يفتت أمريكا, نسأل الله أن يفتتها, قادر على هذا, فالمهم أن الله هو القوي الكامل القوة ولا يمكن أن يلحقها ضعف, طيب.

هنا فائدة: هناك قدرة وقوة, وهناك ضعف وعجز, ما الذي يقابل القوة ؟

الطالب: الضعف,

الشيخ: الدليل ؟ **(( ثم جعل بعد قوة ضعفا ))**, وما الذي يقابل القدرة ؟ العجز, الدليل: **(( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ))** [فاطر:44] ما قال : عليما قويا, قال: **(( عليما قديرا ))** أيهما أشد وأكمل ؟ نقول : كل شيء بحسبه؛ القدرة لا يوصف بها إلا ذوو الإرادة, فالجدار مثلا لا تقول : إنه قدير؛ والقوة يوصف بها ذوو الإرادة وغيرهم تقول : الجدار قوي, والحجارة قوية, لكن تقول : قديرة ؟ لا.

طيب, القوة أكمل من جهة أخرى لأنه ليس كل قادر قويا, فلو امتحنا واحدا منكم وقلنا احمل هذا الحجر, فأراد أن يحمله عجز عن أن يقله عن الأرض, هل نقول : هذا غير قوي ولا غير قادر ؟ لا, غير قادر, لأنه

عجز, لم يزحزحه, ولو قلنا لآخر احمل هذا الحجر فكشف عن ذراعيه ثم حمله لكن مع تعسر ... ماذا نقول : غير قوي أو غير قادر ؟ غير قوي, هو قادر الآن حمله لكنه غير قوي, فصارت القوة من هذه الناحية أكمل, لأنها هي القدرة على الشيء بلا ضعف.

هنا يقول الله عز وجل : **(( وهو القوي العزيز ))** العزيز: يعني الغالب على أمره, وقد قسم العلماء رحمهم الله عزة الله إلى ثلاثة أقسام : عزة القدر وعزة القهر وعزة الامتناع, ثلاثة, عزة القدر: يعني أن قدره عظيم لا نظير له, ومنه قول العرب : هذا عزيز, يعني نادر الوجود, هذا عزة القدر, عزة القهر: يعني الغلبة, وهذا أكثر ما ترد بهذا المعنى, فالعزيز بمعنى الغالب, ومنه قوله تعالى: **(( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ))** ردا على قول المنافقين: **(( لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل )) .**

الثالث: عزة الامتناع يعني أنه يمتنع عليه السوء عز وجل ويمتنع عليه النقص, يحاول المجرمون أن يصفونه بالنقص ولكنه يمتنع عليهم, ومنه قولهم : هذه أرض عزاز, يعني: شديدة صلبة التي لا تؤثر فيها المعاول يقولون: إنها عزاز, وفي لغتنا نحن العامة يقولون : عزا, فيحذفون الزاي الثانية: أرض عزا, يعني صلبة؛ طيب إذا العزيز من أسماء الله عز وجل له ثلاث معاني: الأول عزة القهر, وعزة القدر, وعزة الامتناع؛ كل هذه ثابتة لله عز وجل قال ابن القيم :

**" وهو العزيز فلن يرام جنابه  أنى يرام جناب ذي السلطان**

**وهو العزيز القاهر الغلاب لم  يغلبه شيء هذه صفتان**

**وهو العزيز بقوة هي وصفه  فالعز حينئذ ثلاث معان**

**وهي التي كملت له سبحانه  من كل وجه عادم النقصان**

الله عز وجل هو القوي وهو الغالب, وإذا جمع بين القوة والغلبة كمل السلطان, لأن من الناس من يكون قويا ولكن لا يغلب, أرأيتم لو كان هناك رجل قوي جدا قوة الحصا لكنه جبان, يَغلب أو يُغلب ؟ يُغلب, لأنه جبان, إذا اجتمعت القوة والعزة كمل السلطان, **(( وهو القوي العزيز ))** إلى آخره, إن شاء الله يأتي غدا

الشيخ: سبق لنا أن ألا أداة استفتاح وأنها تفيد ؟ ... التهديد !

الطالب: التنبيه,

الشيخ: وأنها تفيد التنبيه, مثاله ؟ مثال ألا الاستفتاحية التي تفيد التوكيد

والتنبيه ؟
الشيخ: **(( ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ))** وفي الآيات التي معنا: **(( ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد ))**
الشيخ: قال الله تبارك وتعالى : **(( الله يرزق من يشاء ))** ما معنى يرزق ؟
الطالب: يعطي.
الشيخ: يعطي, وقوله: **(( من يشاء ))** فيه إثبات المشيئة, ولكن هل مشيئة الله عز وجل مجرد مشيئة أو أنها مشيئة مقرونة بشيء آخر ؟ بالحكمة, نعم إذ لا يشاء شيئا إلا والحكمة تقتضيه إيجادا أو إعداما.
الشيخ: ما هو الدليل على أن مشيئة الله مقرونة بالحكمة ؟ ... قول الله تعالى : **(( وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما ))** يعني ؟ فلا يشاء إلا ما الحكمة تقتضيه إيجادا أو إعداما. والله الموفق, نسأل الله تعالى أن يشملنا وإياكم برحمته, وأن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى.

القارئ : **(( مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَـهُ فِـي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَـهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ))**[الشورى:20].

الشيخ : **(( من كان يريد حرث الآخرة نـزد لـه فـي حرثه ))** لا يخفى علينا جميعا من حيـث الإعـراب أن مـن هنا شـرطية والـدليل قـوله : **(( نزد لـه فـي حرثـه ))** حيث جاء الجـواب مجـذوما, وهـذا فيـه أن فعـل الشـرط يكـون ماضـيا والجـواب يكـون مضـارعا, ماضـيا لقـوله : **(( مـن كـان ))** الجـواب: **(( نـزد لـه فـي حرثـه ))** وكذلك بالعكس, قد يكون فعل الشرط مضارعا والجواب ماضيا, مثل: من يشكر الله زاده الله.

**" (( من كان يريد )) بعمله (( حرث الآخـرة )) أي كسـبها وهـو الثـواب (( نـزد لـه فـي حرثـه )) بالتضعيف فيـه الحسـنة إلـى العشـرة أو أكـثر "** حرث الآخرة: أصـل الحـرث مـا يحـرث للنمـاء والزيـادة, ومنه حـرث الفلاح الأرض مـن أجـل أن يزرعهـا فيكسـب ويـزداد مـاله وقـوله : (( حـرث الآخـرة )) يقـول : **" أي كسبها وهو الثواب (( نزد له في حرثـه )) "** فسـر المؤلف رحمه الله زيادة الحـرث بزيادة الثـواب الحسـنة بعشر أمثالها إلـى سـبعمائة ضـعف إلـى أضـعاف كـثيرة, ونزيد أمرا آخر أي نؤته من الدنيا والآخرة بدليل قوله : **(( ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ومـا لـه فـي الآخرة من نصيب ))** إذا نزد له في حرثه من وجهين :

الوجه الأول : أن الله تعالى يعطيه ثواب الدنيا والآخرة .

والثانية : أنه يضاعف الثواب الحسـنة بعشـر أمثالهـا إلـى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. قال : **(( ومن كـان**

**يريد حرث الدنيا ))** يعني كسبها والتنعم فيها, هـذا فـي الغالب يعـرض عـن الآخـرة لأنـه لا يريـد إلا الـدنيا, ولهـذا تجده مهتما بأمور الدنيا غايـة الاهتمـام حـتى السـيارة إذا أصـابتها بقعـة مـن الطيـن بالمشـي علـى الطيـن ذهـب ينظفها ويمسحها, لكـن قلبـه مملـوء مـن البلاء, ولكنـه لا يحرص على تنظيفه وتنقيته لأنـه لا يريـد إلا الـدنيا, تجـده مثلا في قصوره لا يهتم إلا بإصـلاح الجـدر وتنظفيهـا لكـن بنـاء الـدين لا يهتـم بـه, هـذا يقـول اللـه عـز وجـل فيـه : **(( ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ))** ولا نؤتيه كل ما أراد, نؤته منها, وكلمة نؤته منها هذه مطلقة لكنهـا مقيـدة بمـا فـي سـورة الإسـراء: **(( مـن كـان يريـد العاجلة عجلنا له فيها ما نشـاء ))** لا مـا يشـاءه هـو **(( لمن نريد ))** يعنـي حـتى أن اللـه عـز وجـل بيـن أن المعجل تابع لمشيئته وأن المعجل لـه وهـو الإنسـان تـابع لإرادته فقال : **(( عجلنا له فيها ما نشاء لمـن نريـد ))** انتبه, لا تظن أن الآية فيها تكـرار, لا, **(( ما نشـاء ))** هذا باعتبار المعجل **(( لمن نريد ))** باعتبار المعجل لـه, فلا كل أحد أراد يعجل له, ولا كل أحد أراد شيئا يحصل لـه ما أراد, لأن الأمر بيد اللـه سـبحانه وتعـالى, ولهـذا يقـول هنا: **(( نؤته منها ))** فـإذا قـال قائـل : كلمـة **(( نـؤته منها ))** جواب الشرط وهي تقتضي أن الله سيؤتيه منها نقول : هذا المطلـق إيـش ؟ مقيـد بآيـة سـورة الإسـراء: **(( من كان يريد العاجلة ))** وهي الدنيا **(( عجلنـا لـه فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصـلاها مذموما مدحورا )).**

**" (( نؤته منها )) بلا تضعيف لما قسم لـه (( ومـا له في الآخرة من نصيب )) "** نسأل الله العافية.

في هذه الآية: حث على أن يريد الإنسـان بعملـه الآخـرة, فإن قال قائل : كيف يريد الآخرة بعمل الـدنيا ؟ ولنفـرض الأكل والشرب, ذهب الإنسان إلى السوق ليشتري خـبرة وإداما, كيف يريد الآخـرة ؟ نقـول : كيـف يمكـن أن يريـد الآخرة بذلك, فيريد أولا : امتثال أمر الله لقوله تعالى: **(( كلوا واشربوا ))؛**

ويريد ثانيا: حفظ قوته وصحته وهذا أمر مطلوب لأن اللـه يقول : **(( لا تقتلوا أنفسكم ))** وأمرنـا أن نأكـل مـن الطيبات ونشكره, يريد بذلك التقوى على طاعة الله لأنـه كلما كان الجسم قويا كـانت العبـادة أكمـل, فيريـد بـأكله وشربه التقوي على طاعة الله؛

رابعـا : يريـد بـذلك التنعـم بكـرم اللـه, كيـف ذلـك ؟ لأن الكريم يحب أن يقبل كرمه, أليـس كـذلك ؟ يعنـي لـو أن رجلا جوادا كريما أهدى عليك هدية, فهل يفـرح إذا قبلتهـا ويغم إذا رددتها أو بالعكس ؟ الأول, يسر إذا قبلتهـا ويغـم إذا رددتها, إن ربنا عز وجل أكرم الأكرمين, فهو يحب من عبـاده أن يتبسـطوا بنعمـه ويتنعمـوا بهـا, إذن هـذا إرادة حـرث الآخـرة بعمـل الـدنيا, أمـا عمـل الآخـرة المحـض كالصلاة والصيام والحج وما أشبه ذلك فهذا أمره واضح؛

إذا السؤال الآن أعيـده مـرة أخـرى: كيـف يريـد الإنسـان حرث الآخرة بما هـو مـن أمـر الـدنيا ؟ الجـواب: أن ذلـك ممكن ونضرب مثلا لهذا بالأكل والشرب, ويتبين لنـا أربـع إرادات كلها يثاب عليها الإنسان, مع أنه لو تأمـل المتأمـل لوجد أكثر من هذا, طيب.

ومن فوائد الآية الكريمة : التحذير مـن إرادة الـدنيا فقـط لقوله : **(( ومن كان يريـد حـرث الـدنيا نـؤته منهـا وما له في الآخرة من نصيب ))** .
ومن الفوائد : أن من أراد حرث الدنيا فـإنه لا يعطـى كـل ما أراد لقوله : **(( نؤته منها ))** ومن أراد حـرث الآخـرة يعطى كل مراده وزيادة.
ومنها الإشارة إلى أن الأعمال بالنيات لقوله : **(( يريد ))** ففيـه إشـارة إلـى حسـن النيـة وأن الإنسـان ينبغـي لـه إحسان النية بل يجب عليه إحسانها.
ومنهـا الـرد علـى الجبريـة مـن قـوله : **(( يريـد ))** لأن الجبرية يقولون : إن الإنسان ما له إرادة؛ سبحان الله مـا له إرادة ؟ لا, ما له إرادة, طبخ الطعام ليـأكله قـال: هـذا بغيـر إرادة, حضـر أدوات المنـزل ليسـتعملها قـال : هـذا ليس بإرادته.
ماذا تقولون في هـذا الـرأي ؟ هـذا رأي مخـالف للفطـر, مخالف لأدنى فطرة حتى الصبي يعرف إذا أجبر وإذا فعل بالاختيار؛ قدم لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سارق فأمر بقطـع يـده؛ اقطعـوا يـده تمـت شـروط القطع, فقال : مهلا يا أمير المؤمنين والله ما سرقت هذا إلا بقدر الله, إيـش يريـد ؟ أن يرتفـع عنـه الحـد, إذا كـان بـإرادة اللـه يعنـي ليـس لـي فيـه اختيـار فقـال لـه أميـر المؤمنين : **( ونحن لا نقطع يـدك إلا بـإرادة اللـه )** فبهت, لأنه ما يستطيع أن يقول شيئا, مـع أن قطـع أميـر المـؤمنين يـده كـان بـإرادة اللـه الكونيـة والشـرعية, والسـارق بـإرادة اللـه الكونيـة فقـط لأنـه لـم يـؤذن لـه بالسرقة, إذن في الآية رد على الجبرية طيب.

وهل في الآية دليل للقدرية الذين ينكرون إرادة الله فيما فعل العبد ؟ الجواب: لا, ليس فيها رد لقولهم, لكن ليس فيها إثبات لقولهم, لأن إرادة الإنسان من صفاته أو من غير صفاته ؟ من صفاته, هو الذي يريد, العبد مخلوق أو غير مخلوق ؟ مخلوق, إذن إذا كان مخلوقا كانت صفاته أيضا مخلوقة ولابد, فإرادتك مخلوقة لله باعتبار أنك أنت مخلوق وصفة المخلوق مخلوقة.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة كمال سلطان الله عز وجل لقوله : **(( نؤته منها ))** **(( نزد له في حرثه )).**

ومن فوائدها : إثبات كرم الله وأنه عز وجل أكرم من عبده, يعمل العبد قليلا ويثاب كثيرا .

ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات الآخرة, وإثباتها ثابت بالقرآن والسنة وإجماع المسلمين والنظر الصحيح يعني العقل, أما الكتاب والسنة فمملوءان من إثبات اليوم الآخر, وأما الإجماع فهو ثابت لا أحد من المسلمين ينكر الآخرة ومن أنكرها كفر, وأما النظر الصحيح فلقوله تعالى : **(( إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ))** وقوله : **(( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ))** أرأيتم يا أيها الإخوة, أرأيتم لو أن الله عز وجل خلق هذه الخليقة وأرسل الرسل وأنزل الكتب وفرض الجهاد وكان هذا يقتل هذا على دين الله ويسبي ماله ويسبي نسائه ويأخذ ماله يغنم ماله ثم تكون المسألة عائدة إلى أن تكون رمما لا نبعث, ماذا يكون هذا العمل ؟ عبث ينزه الله عنه, ولولا إيماننا باليوم الآخر لكان القوي منا يأكل الضعيف لأنه لا يرجوا حسابا, ولكن العقل يقتضي ويوجب الإيمان باليوم الآخر .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن من أراد بعمله الدنيا فإنه لا نصيب له في الآخرة, ولكن هل نفي النصيب هنا نفي كامل أو ليس له نصيب في الآخرة بهذا العمل الذي أراد به الدنيا ؟ الثاني أو الأول ؟ الثاني لا شك, اللهم إلا أن يكون هذا العمل والإرادة مما يخرج عن الدين فإنه لا نصيب له مطلقا.

طيب هل مثلا لو أراد الإنسان بدراسته أن ينال الإجازة يعني الشهادة هل يكون ممن أراد حرث الدنيا أو الآخرة ؟ حسب ما في قلبه, إن كان أراد بالشهادة أن يرتقي إلى منصب دنيوي فقد أراد الدنيا, وإن أراد بذلك أن يرتقي إلى منصب يتمكن به من نفع المسلمين بالتدريس أو بالتدبير, فهذا أراد الآخرة لا شك, ولذلك ما بين الدنيا والآخرة في هذه المسألة إلا شعرة أو أقل, هل أنت تريد بالشهادة أن تقول: أنت في المرتبة الخامسة أو العاشرة أو المائة أو المائتين أو الألف أو الألفين أو تريد بذلك أن تتبوأ مكانا تنفع به الناس ؟ الأول خاسر, والثاني رابح, لأننا مع الأسف الآن أصبحنا لا يقدر الإنسان إلا بما معه من البطاقة, العلم هو ورقة تطلعها من مخبئتك, شهادة دكتوراه رقم ألف, إذا أعطيتها إياه قال: أين تريد أن نوظفك أي مكان تريد, لكن يجيء رجل في العلم مثل شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : وظفني في مدرسة ابتدائية يقول له: ما معك شهادة ما نوظفك, يا رجل وظفه جرب قال : ما فيه, فصار الآن ميزان علم الناس بهذه البطاقة, إذا كان الناس نزلوا إلى هذه المستوى أنا أجاريهم ونيتي عند الله معلومة, أنا قصدي أريد أن أتبوء

مكانا في الأمة أكون مدرسا قاضيا رئيسا لشيء أوجه الناس, والله الموفق.
ثم قال الله عز وجل .
القارئ : **(( أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ))**[الشورى: 21] .
الشيخ : أم لهم شركاء قال المفسر : " **(( أم )) بمعنى بل** " أشار بهذا إلى أن أم هنا منقطعة, وأم المنقطعة هي التي تأتي بمعنى بل وهمزة الاستفهام, أي: بل ألهم شركاء.
**(( أم لهم شركاء شرعوا لهم ))** قال المؤلف : " **(( لهم )) لكفار مكة** " والصواب أنها أعم من ذلك, يعني أن جميع المشركين لهم شركاء جعلوهم مع الله عز وجل يشرعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله، قال: " **هم شياطينهم (( شرعوا )) أي الشركاء (( لهم )) أي للكفار** " وهنا قال: للكفار وفيما سبق قال: كفار مكة, فتكون أل في كلامه للعهد الذكري. " **(( من الدين )) الفاسد ما لم يأذن به الله كالشرك وإنكار البعث** " وهذا الاستفهام هنا بمعنى الإنكار عليهم أن يتخذوا هؤلاء شركاء يشرعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقوله : **(( ما لم يأذن به ))** المراد بالإذن هنا الإذن الشرعي, لأن الإذن يكون قدريا ويكون شرعيا, فما يتعلق بالأمر والنهي شرعي, وما يتعلق بالخلق والتكوين قدري فقوله تعالى: **(( من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ))** يراد به الإذن الشرعي أو

القدري ؟ يحتمل هذا وهذا؛ **(( إلا بإذنه ))** أي بـأن يـأذن قدرا بأن يشفع أو يأذن شرعا؛ وقوله تعالى: **(( وما هـم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ))** الإذن القدري لأن الله تعالى لا يأذن شرعا بأن يضر السحرة أحدا, وهنـا: **(( شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ))** أي مـا لم يأذن به شرعا, أما قدرا فقـد أذن بـه لأنـه وقـع, وكـل شيء وقع فإنه مأذون فيه قدرا, لأنه لا يمكن أن يقـع فـي ملك الله عز وجل ما لم يأذن به قدرا, ومـن ذلـك أي مـن شرعهم ما لم يأذن به الله تحليل ما حـرم اللـه أو تحريـم ما أحل الله, ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى هؤلاء الـذين يحرمون ما أحل ويحلون ما حـرم جعلهـم أربابـا كمـا فـي قوله تعالى : **(( اتخذوا أحبـارهم ورهبـانهم أربابـا من دون الله ))** قال عدي بن حاتم للرسول صـلى اللـه عليه وسلم : إنا لسنا نعبدهم قال: **( أليسوا يحلون ما حـرم اللـه فتحلـونه ويحرمـون مـا أحـل اللـه فتحرمـونه ؟ ) قـال : بلـى ، قـال: ( فتلـك عبادتهم** ) يعني طاعتهم.

**" (( ولـولا كلمـة الفصـل )) أي القضـاء السـابق بأن الجزاء في يوم القيامـة (( لقضـي بينهـم )) وبين المؤمنين بالتعذيب لهم فـي الـدنيا (( وإن الظـالمين )) الكـافرين (( لهـم عـذاب أليـم )) مؤلم "؛ (( لولا كلمة الفصل لقضي بينهم ))** لولا هذه يقول النحويون: إنها حرف امتنـاع لوجـود, مـا الـذي امتنع في هذه الآيـة ؟ القضـاء بينهـم, والموجـود ؟ كلمـة الفصل, واعلم أن لولا: حرف امتناع لوجود, ولما: حـرف وجود لوجود, ولو: حرف امتناع لامتنـاع, فاقتسـمت هـذه

الأدوات الثلاث, اقتسمت المعاني الثلاثة: لو حرف امتناع لامتناع, تقـول : لـو زرتنـي لأكرمتـك, هنـا امتنـع الإكـرام لامتنـاع الزيـارة, وتقـول : لمـا رأيتـك أكرمتـك هنـا وجـد الإكرام لوجود الرؤية, وتقول: لولا زيد لفعلـت كـذا وكـذا هذا حرف امتناع لوجود؛ **(( لولا كلمة الفصل ))** وهـي كلمة الله عز وجل السابقة التي قضـى عـز وجـل بهـا أن لكل شيء أجلا مقدرا, هذه الكلمة الـتي جعلهـا اللـه عـز وجل لكل شيء أجلا مقدرا, لولا هـذه لقضـى اللـه بينهـم وبين المؤمنين بتعجيل العذاب لهم.

في هذه الآية فوائد منها: أن مـن أطـاع الزعمـاء والكبـار في تحريم شيء أحله الله أو تحليل شـيء حرمـه اللـه أو إيجاب شـيء لـم يـوجبه اللـه فـإنه قـد اتخـذهم شـركاء, ويـترتب علـى هـذه الفائـدة أن متبعـي دعـاة البـدع قـد اتخذوهم شركاء .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن الأمور المشروعة لابـد أن يكون فيها إذن مـن اللـه, يعنـي الـتي يفعلهـا الإنسـان تدينا لابد أن يكون فيها إذن مـن اللـه عـز وجـل, لأن اللـه تعالى أنكر على هؤلاء الذين اتخذوا شـركاء شـرعوا لهـم من الـدين مـا لـم يـأذن بـه اللـه, وهـذا بمعنـى قولنـا : **" الأصل فـي العبـادات الحضـر والمنـع إلا إذا قـام دليل على مشروعيته "** وعليه فلو رأينا شخصـا يتعبـد بعبادة لم نكن نعرفها فلنا أن ننكر عليه حتى يـأتي بـدليل لأن الدين متلقى من عند الله عز وجل .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن ما سوى الأمور الدينية فـإنه خاضع للأمور أو للأحوال العادية لقوله : **(( شرعوا لهم من الدين ))** وعلـى هـذا لـو شـرعوا قـوانين ونظمـا لا

علاقة لها في الدين فإن ذلك جـائز ولا تعـد موافقـة هـذه النظم شركا, فكيف إذا كانت هذه النظـم تؤيـد بالقواعـد العامة وهي جلب المصالح ودفع المفاسد ؟
ومن فوائد هـذه الآيـة : الـرد علـى أولئـك القـوم الجهلـة الذين ينكرون كل نظام تسنه الحكومات بقطع النظر عن كونه أمرا دينيا أو أمـرا دنيويـا, وبقطـع النظـر عـن كـونه موافقا للشرع أم غير موافقـا للشـرع, لأن بعـض النـاس مثلا يقول : أنا لا أتقيد بأنظمة المرور لأنـه مـا فيـه دليـل, وربما يقول هذه بدعة فيقال له :
أولا : الأمور الدنيوية الأصل فيها الحل, ولا يبدع مـن أتـى بها خارجا عن العادة لكن ينظر هل هي حلال أو حرام .
ثانيـا : أن النصـوص تـدل علـى وجـوب طاعـة ولاة الأمـر كقوله تعالى : **(( يا أيهـا الـذين آمنـوا أطيعـوا اللـه وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ))** وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الأمير : **( اسمع وأطـع ولـو أخذ مالك وضرب ظهرك )** .
ومـن فوائـد هـذه الآيـة الكريمـة: حكمـة اللـه عـز وجـل بتعجيل أو تأخير العذاب بقوله : **(( ولولا كلمة سبقت من ربك ))** .
ومن فوائدها : أن ما قضاه الله أزلا ـ يعني في الماضي ـ لا يتغير لقوله: **(( لولا كلمة الفصـل لقضـي بينهـم ))**.
فإن قال قائل مـا تقولـون فـي قـوله تعـالى : **(( يمحوا اللـه مـا يشـاء ويثبـت وعنـده أم الكتـاب ))** ؟ هـل يعارض ما قررناه من فوائد هـذه الآيـة ؟ فـالجواب: لا, لا يعارض, لأن الله قال: **(( يمحوا الله ما يشاء ويثبـت**

**))** ثم قال : **(( وعنده أم الكتاب ))** يعني أصله, فما في أم الكتاب لا يتغير, وما لم يكن كذلك فإنه يتغير, أليس الله تعالى يقول : **(( إن الحسنات يذهبن السيئات ))** فالسيئات بعد أن كتبت أتت الحسنات فمحتها, الإنسان يذنب فيكتب الذنب ثم يستغفر, نعم ؟ فيمحى الذنب, وأما ما في أصل الكتاب فإنه لا يتغير, وعلى هذا فلا يعارض هذه الآية وهي قوله : **(( ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم ))**.

فإن قال قائل : ما تقولون في الحديث الصحيح: **( من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه )** ؟ فإن هذا يدل على أن صلة الرحم سبب لكثرة الرزق وسبب لطول العمر, وأنتم تقولون : إن العمر مكتوب والرزق مكتوب, فالجواب: الرزق مكتوب على هذا السبب, والأجل مكتوب على هذا السبب, فيكون الله تعالى قد كتب أجل هذا مؤخرا لصلة الرحم, ووسع في رزق هذا لصلة الرحم, ويكون هذا معلوما عند الله, لكن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذا ترغيبا في صلة الرحم لأن الإنسان لا يعلم ما كتب له في المستقبل, وحينئذ لا منافاة.

وأما من قال من العلماء : أن المراد في قوله **( ينسأ له في أثره )** أن الله يبارك له في العمر فهذا غير صحيح لأنه خلاف ظاهر الحديث, فظاهر الحديث أنه يؤخر لكن يكون مكتوبا عند الله أنه واصل وأن عمره إلى كذا, لكن هل الإنسان يعلم بأنه مكتوب عند الله هكذا ؟ لا يعلم, فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يحث الإنسان على صلة الرحم بمثل هذا الوعد .

ومن فوائد هذه الآيـة الكريمـة : إثبـات الأسـباب لقـوله : **(( ولولا كلمة سبقت مـن ربـك لقضـي بينهـم ))** فالكلمة سـبب لتـأخير العـذاب, وإثبـات الأسـباب أمـر لا ينكره إلا الجاحد.

واعلم أن الناس انقسموا في الأسباب إلى ثلاثة أقسـام : قسم أنكروا الأسباب نهائيا وقـالوا : لا تـأثير للسـبب فـي المسبب، وقسم : أثبتوا الأسباب على وجه الغلو وزعمـوا أنها ـ أي الأسباب ـ موجبة ولابد, والقسـم الثـالث : أثبتـوا الأسباب ولكنهم جعلوا ذلك تابعا لمشيئة الله عز وجل.

فالأقسام ثلاثة: قوم أنكروا تأثير الأسباب, وقـوم غلا فـي إثباتها وجعلها موجبة لذاتها ولابد, والثالث: قوم توسـطوا قالوا: لكنها تحت مشيئة الله, هذا القول هو المتعيـن أننـا لا ننكر الأسباب وكيف ننكرها ونحـن نشـاهد هـذا بأعيننـا, هم يقولون : إن ما يحصل بالسبب ليس حاصـلا بـه لكنـه حاصـل عنـده, فمثلا إذا رميـت بحجـر علـى زجاجـة ثـم انكسرت يقولـون : إن الـذي كسـرها ليـس الحجـر لكـن كسرتها إرادة الله عند ملامسة الحجـر. إذن حصـلت عنـد السبب لا بالسبب, عندما تـدخل ورقـة فـي النـار تحـترق يقولون: النار ما أحرقتها، أحقتها إرادة الله عنـد ملامسـة النار, هـذا كلام غيـر معقـول يضـحك منـه السـفهاء قبـل الحلماء, كيف نقـول ونحـن نشـاهد أن الحجـر يقـع علـى الزجاجة يكسرها, كيف نقول لـم يكسـرها ؟ الإنسـان لـو اتكأ على الزجاجة لقال له من عنده: لا تتكئ فتنكسر.

وأما القـول الثـاني: الغـالي فـي إثبـات الأسـباب والـذين يقولون : إن الأسباب فاعلة ولا بد أو موجبة ولا بد, هـؤلاء أيضا ضالون, فها هي النار العظيمـة كـانت علـى إبراهيـم

بردا وسلاما, ولو كان السبب موجب بذاته ولابد لأحرقت إبراهيم على كل حال, لكن الله قال: **(( كوني بردا وسلاما على إبراهيم ))** فكانت بردا وكانت سلاما, قال العلماء: **" لو قال الله تعالى كوني بردا ولم يقل وسلاما لأهلكت إبراهيم من البرد "** لكن الله قرن البرد بالسلام, طيب إذا الآية التي معنا فيها إثبات الأسباب لقوله : **(( ولولا كلمة سبقت لقضي )) .**

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : الوعيد الشديد للظالمين لقوله : **(( لهم عذاب أليم )).**

ومن فوائدها اللغوية: أن أليم تأتي بمعنى مؤلم, يعني فعيل بمعنى مفعل, وهذا قليل في اللغة العربية, أكثر ما يأتي أليم في اللغة العربية بمعنى آلم, أي بمعنى فاعل هذا هو الأكثر, لكن قد يأتي فعيل بمعنى مفعل كما في هذه الآية, وكما في قول الشاعر :

**" أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع "**

أمن ريحانة الداعي السميع، السميع: بمعنى المسمع, يقولها في معشوقته, الداعي المسمع يؤرقني وأصحابي هجوع.

ثم قال الله عز وجل .

القارئ : **(( أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ))** [الشورى:24]

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **(( أم يقولون افترى على الله كذبا ))** أم

هنـا قـال المفسـر : " **بـل** " يعنـي أن أم بمعنـى بـل, ويسمونها منقطعة, لأن أم تكون متصلة وتكـون منقطعـة إذا صارت بمعنى بل فهي منقطعـة لأنهـا تشـبه الإضـراب عمـا سـبق, وإذا كـانت بمعنـى أو فهـي متصـلة, مثـل أن أقول: أتريد كتابا أم ساعة, هـذه متصـلة لأنهـا بمعنـى أو, ولا يسـتغني أحـد الطرفـي فيهـا عـن الآخـر, وإذا قلـت: **(( أم يقولـون افـتراه ))** لا تجـد فيـه مقابـل, فهـي منقطعـة بمعنـى بـل؛ **(( يقولـون ))** أي الكفـار مـن مشركي قريش وغيرهم **: (( افترى على الله كذبا ))** أي اختلف على الله كـذبا وذلـك بقـوله : إن القـرآن كلام الله فقالوا : إن القرآن ليس كلام الله وإن محمدا كـاذب, ولكنه ساحر كاهن مجنون ومـا أشـبه ذلـك مـن الكلمـات التي يرمون بها رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم؛ قـال اللـه تعـالى : **(( فـإن يشـأ اللـه يختـم علـى قلبـك ويمحوا الله الباطل ويحق الحـق ))** **(( فـإن يشـأ الله يختم على قلبك ))** مفعول يشأ محـذوف, ويقـدر بما يدل عليه السياق, أي: فإن يشأ اللـه أن تفـتري عليـه كذبا, وهذا شيء محال.

**(( يختم على قلبك )) قـال المؤلـف: " يربـط "** والصواب أن الختم هنا بمعنى الطبـع, يعنـي: إن افـتريت على الله كذبا طبـع اللـه علـى قلبـك؛ **(( ويمحوا اللـه الباطل ))** الذي افتريته لو قدر أنـك افـتريته **(( ويحـق الحق بكلماته ))** يحقه: أي يثبته بكلمـاته المنزلـة علـى نبيه صـلى اللـه وعلـى آلـه وسـلم **(( إنه عليـم بـذات الصدور ))** معنى الآية إجمـالا أنـه لـو قـدر أنـك افـتريت على الله كذبا فلن يتركك الله, لابد أن يبين الحق, فيختـم

على قلبك يطبع عليه, ثم يمحوا الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور.

ويشبه هذا قول الله تعالى : **(( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ))** يعني إذا قرأ ألقى الشيطان في قراءته: **(( فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ))**. [الحج:52]

وقوله : **(( فإن يشأ ))** هل يلزم من هذا الشرط الوقوع ؟ لا, يأتي الشرط أحيانا في أعظم المستحيلات أرأيت قول الله تعالى: **(( قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ))**, وهل يمكن أن يكون لله ولد ؟ لا يمكن, ومع هذا جاءت الشرطية, وقال الله تعالى: **(( وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ))** [الزمر:65] وهل هذا يستلزم جواز إشراك النبي صلى الله عليه وسلم ؟ لا يستلزم, وقال الله تعالى : **(( فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ))** [يونس:94] هل يمكن أن يكون في شك ؟ لا, إذن: **(( فإن يشأ الله ))** يعني: إن يشأ الله أن تفتري عليه كذبا لا يلزم من هذا الشرط جواز افتراء النبي صلى الله عليه وسلم على الله كذبا, ومن المعلوم أن الله قد شهد لنبيه صلى الله وسلم بالرسالة فقال: **(( لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ))**؛ قال: **(( ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور ))** أي: بصاحبة

الصدور, وما هي صاحبة الصدور ؟ هي القلوب, كما قال الله تعالى: **(( فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ))**.

في هذه الآية الكريمة فوائد منها : محاولة المشركين أن يلبسوا على الخلق حتى ينكروا رسالة النبي صلى الله عليه وسلم, نعم: **(( أم يقولون افترى على الله كذبا ))** حتى يظن العوام أنه مفتر على الله كذبا فيعرضوا عما جاء به .

ومن فوائد الآية الكريمة : بيان شدة منابذة الكفار لما جاء به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقولهم : **(( افترى على الله كذبا )) .**

ومن فوائدها : أن مثل هذا الكلام قدح في الله عز وجل قدح في القرآن قدح في النبي صلى الله عليه وسلم, أما كونه قدحا في الله فلأنه ليس من الحكمة أن يؤيد الله تعالى هذا الذي افترى عليه كذبا, بل الحكمة أن يؤاخذه ويعاقبه ولا يؤيده, والله سبحانه وتعالى قد أيد نبيه صلى الله عليه وسلم بالآيات الدالة على صدقه, هو قدح في القرآن لأنه على زعمهم كلام مفترى من عند الرسول صلى الله عليه وسلم.

هو قدح في القرآن لأنه علـى زعمهـم كلام مفـترى مـن عند الرسول صلى الله عليه وسلم ولقد قالوا : **(( إنمـا يعلمـه بشـر ))** فقـال اللـه تعـالى: (( **لسـان الـذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مـبين ))؛** قدح في الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل أصـدق الخلق في مقام المفتري على من ؟ على الله, والافتراء على الله أشد من الافتراء على غيره ولهذا قال عز وجل : (( **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ))** .

ومن فوائد الآية : إثبات المشيئة لله عز وجـل تؤخـذ مـن قوله : (( **فإن يشأ اللـه يختـم ))**. وهـل مشـيئة اللـه مجردة عن الحكمة أو لا يشاء شيئا إلا لحكمـة ؟ الثـاني : لقول الله تعالى: (( **وما تشـاءون إلا أن يشـاء اللـه إن الله كان عليما حكيما ))** فـبين أنـه عـز وجـل لـه المشـيئة التامـة وأردف ذلـك بقـوله : (( **إن الله كـان عليما حكيما ))** ليتبين أن مشيئة اللـه سـبحانه وتعـالى ليست مجرد مشيئة عبثا ولكن لحكمة .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن النبي صلى اللـه عليـه وسلم مربوب لله يفعل به ما شاء, تؤخـذ مـن**: (( فإن يشأ الله يختم على قلبك ))** نعم .

من فوائد هـذه الآيـة الكريمـة : أن القلـب محـل الإدراك والعقل والتصرف لقوله : **(( يختم على قلبك ))** فدل هذا على أن مدار التصرف كله على القلب .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن الطبع علـى القلـب عقوبـة سواء كان طبعا على العلم أو طبعا على القصد والإرادة, فإنه عقوبة بلا شك, ولهذا كان من دعاء النبي صلى اللـه

عليه وسـلم: ( **اللهم مقلـب القلـوب ثبـت قلوبنـا على طاعتك, اللهـم يـا مصـرف القلـوب صـرف قلوبنا إلى طاعتك )** فالإنسان يجب ألا يعتمد على مـا في قلبه من اليقيـن فـإن هـذا ربمـا يـزول, بـل عليـه أن يسأل الله دائما التثبيت, يؤخذ من قــوله : (( **فإن يشـأ الله يختم على قلبك ))** .

من فوائد الآية الكريمة: حسن أدلة القرآن الكريم حيــث استدل بأمر واضح على ما زعمه هؤلاء, وهو أنه لـو شـاء الله أن يفتري الرسول صلى الله عليه وسـلم علـى اللـه كذبا لختم على قلبه وأنساه ما عنده, ثم محا الله الباطل الذي افتراه ثم أحق الحق بكلماته .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن الله تعالى لا يقر علـى باطل, يمحوا الله الباطـل فلا يمكـن أن يقـر اللـه تعـالى علـى باطـل؛ ويتفـرع علـى هـذه الفائـدة فائـدة عظيمـة وهي:

ما فعل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم نعلم أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم اطلـع عليـه فهـل نحكـم بجوازه لأن الله اطلع عليه وسـكت عنـه, أو لا نحكـم بـه حتى نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم علمــه ؟ الأول, لأن الله لا يقر على باطل, والوحي مـا زال ينـزل, ولهـذا يخطئ بعض العلماء رحمهم الله إذا استدل بما وقـع فـي عهد النبي صلى الله عليه وسلم يقولون : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم فنقول : هب أنـه لـم يعلـم فـإن الله قد علم, مثال ذلك قال بعض أهل العلم : إنه لا يصح أن يكون الإمام متنفلا والمأموم منفردا, يعني لا يصـح أن

يصلي الفجر خلف من يصلي النافلة, هذا هو المذهب عندنا قيل لهم : هذا قول مردود لأن معاذ بن جبل كان يصلي صلاة العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يذهب إلى قومه فيصلي به تلك الصلاة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ قالوا : لا حجة في هذا لأننا لم نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم اطلع عليه, فالجواب: إذا لم يطلع عليه اطلع الله عليه, ولو كان باطلا عند الله لبينه, كما بين حال الذين يبيتون ما لا يرضى من القول ويكتمونه عن الناس فقال : (( **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول ))**.

إذا دفعنا شبهة هؤلاء الذين قالوا : لعل النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم بأن الله علمه ولو كان باطلا لم يقره, على أننا نقول : يبعد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم به ومعاذ قد شكي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يطيل في الصلاة, لكن نريد أن نتنزل مع الخصم ونقول: هب أن النبي لم يعلم به فإن الله قد علم به .

ومن فوائد الآية الكريمة : أنه لا يمكن أن يمكن الله تعالى لأحد كافر تمكينا مطلقا, من أين نأخذها , من يعرف ؟

الطالب: (( **فإن يشأ الله يختم على قلبك ))**.

الشيخ: أي نعم, نأخذها من: (( **فإن يشأ الله يختم على قلبك ))** فلا يمكنك من الباطل, وقولنا : التمكين المطلق خرج به ما لو مكن الله تعالى للكافر على وجه

لا يستقر, كما حصل في غزوة أحد فإن المشركين هزموا المسلمين, لكنه ليس هزما مستقرا, بل هو من حكمة الله عز وجل أن يمكن للكفار حتى يتشجعوا على حرب المسلمين ثم يقضي المسلمون عليهم .

من فوائد هذه الآية الكريمة : أن الله سبحانه وتعالى إذا محا الباطل جعل مكانه الحق لقوله : (( **ويمحوا الله الباطل ويحق الحق ))** .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الكلمات لله لقوله: **(( بكلماته ))** والله سبحانه وتعالى متكلم بكلام حقيقي بحروف وأصوات مسموعة ومحاورة بينه وبين من شاء من خلقه, وهذا مذهب السلف الصالح, وعليه جرت المحنة العظيمة على أئمة المسلمين من أمراء الجور والظلم وعلماء السوء, حيث ابتدعت الجهمية والمعتزلة القول بأن الله لا يتكلم وإنما يخلق كلاما, فقالوا: إن الله عز وجل لا يتكلم لكن يخلق كلاما, وكلامه مخلوق, فيقال لو قلنا : بأن كلام الله مخلوق لبطلت الشريعة لأنه يستوي الأمر والنهي والخبر والاستخبار والقصص, تستوي لأنها مخلوقة لا يمتاز بعضها عن بعض, فهي باعتبار الصوت كزمجرة الرعد, وباعتبار الكتابة كنقوش الجدار, لأنها مخلوقة, وحينئذ لا أمر ولا نهي ولا خبر ولا استخبار ولا شيء, وتلطفت طائفة فلم توفق وقالوا: إن كلام الله غير مخلوق لكن كلامه هو المعنى القائم بنفسه وما سمع منه فهو عبارة عن كلام الله وهو مخلوق, فانظر كيف ضلت هذه الطائفة حتى صارت أشد ضلالا من الذين قالوا: إن الكلام مخلوق, ما معنى كلامهم ؟ يقولون: كلام الله هو المعنى القائم بنفسه كما لو أنك

في نفسك قدرت أن تتكلم بقول ثم قلت, هـم يقولـون : إن الله تعالى أضـمر الكلام فـي نفسـه ثـم خلـق أصـواتا تدل عليه, فيكون هذا الذي في المصحف ليس كلام اللـه لكنـه مخلـوق خلقـه اللـه ليعـبر عمـا فـي نفـس اللـه, المعتزلة يقولون الذي في المصـاحف كلام اللـه مخلـوق والأشاعرة يقولون : ليس كلام الله وهو مخلـوق, فأيهمـا أقرب إلى الصواب ؟ المعتزلـة أقـرب, وهـؤلاء يزعمـون أنهم العقلاء أعنـي الأشـاعرة وأنهـم حـاولوا الجمـع بيـن المعقول والمنقول ولكنهم أفسدوا المنقـول والمعقـول, فنحـن نقـول: إن اللـه يتكلـم بكلام مسـموع وبحـروف متتالية, واللـه يفعـل مـا يشـاء: (( **إنما أمـره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ))** .

ومن فوائدها : عموم علـم اللـه عـز وجـل وبطـون علـم الله, أنه علم عميق يصل إلـى أخفـى شـيء, مـن أيـن ؟ (( **إنه عليم بذات الصدر ))** .

ومـن فوائـدها : الفائـدة المسـلكية المهمـة وهـي أن الإنسان إذا علم بأن الله تعالى عليم بمـا فـي قلبـه فـإنه سوف يمسك عن كل إرادة سيئة ويقدم علـى كـل إرادة حسنة.

ومنها أنه يجـب علـى العبـد أن يصـحح مـا فـي قلبـه لأن المدار عليه, قال الله تبارك وتعـالى : (( **أفلا يعلـم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور )).**

واعلم يا أخي أن الحكم في الدنيا علـى الظـاهر والحكـم في الآخرة علـى البـاطن, فهـل تحسـن ظـاهرك ليحكـم عليك في الدنيا بما يقتضيه هذا الظاهر أو تحسن باطنـك

ليحكم لك يوم القيامة بما يقتضيه هذا الباطن, أيهما ؟ الثاني, ولهذا لا تغتر بكثرة الركوع والسجود وبكاء العين وما أشبه ذلك بل انظر إلى ما في القلب, وإن كانت هذه الأعمال التي ذكرتها علامة على صلاح القلب لكن ثبت الإيمان في القلب, عليك بإصلاح القلب قبل كل شيء, اغرس في قلبك محبة الله ورسوله, اغرس في قلبك محبة الشريعة وإن ثقلت عليك كما قال تعالى : (( **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ))** [البقرة:216] اغرس في قلبك محبة المؤمنين, لا تكره أي مؤمن وإن أساء إليه, إن أساء إليك المؤمن فاكره إساءته أما هو شخصيا فلا تكرهه, اغرس في قلبك الولاية لكل مسلم والعداوة لكل كافر, وهلم جرا, المهم أن تعتني بصلاح قلبك لأنه هو الذي عليه مدار الحساب يوم القيامة, قال الله تعالى : (( **إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر ))** أي: تختبر السرائر, اللهم أصلح ظواهرنا وبواطننا يا رب العالمين .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن المدار على القلوب وأنها في الصدور, القلوب في الصدور وبها العقل, قال الله تعالى: (( **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها )) (( فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ))** وعلى هذا فيجب علينا أن نؤمن بأن العقل في القلب لأن الآية في هذا صريحة أو ظاهرة, وأما قول بعضهم: إن العقل في الدماغ فضعيف مقابل بقول العالم الخالق عز وجل,

ولكن الدماغ لا شك أنه إذا اختل اختل تصـرف الإنسـان, وأصل العقل في القلب بلا شك قال الإمام أحمـد رحمـه الله: **" العقل في القلـب ولـه اتصـال بالـدماغ "**؛ ونـروي عـن شـيخنا عبـد الرحمـن رحمـه اللـه أن أحـد المعتزلة حكم عليه بالقتل على حين اختلاف بيـن النـاس في العقل أهو في الدماغ أم في القلـب فقـال لهـم : إذا قتلتمـوني فـأبينوا رأسـي ثـم إن كـان العقـل فـي قلـبي حركت يدي أو قال : أصـبعي, وإن كـان فـي الـدماغ راح مع الدماغ, ففعلوا فلما قتلوه حرك العضو الذي قال لهم على الوجه الذي قـال لهـم, وهـذا دليـل حسـي إن ثبتـت القصة دليل حسي على أن العقل في القلب, لأنـه حـرك عضوه إما أصبع أو يده على الوجه الذي ذكر لهـم, وهـذا يـدل علـى أنـه استحضـر فـي قلبـه بعـد أن بـان رأسـه, استحضر في قلبه ما وعدهم به وأداه كمـا وعـدهم, فـإن ثبتت هذه القصة فهي دليل حسـي وإن لـم تثبـت فعنـدنا دليل سمعي, ما هو الدليل السمعي يـا جماعـة ؟ الـدليل السمعي عند العلماء هو الذي ثبت في الكتاب والسنة.

ثم قال الله تبارك وتعالى.

القـارئ : **(( وَهُوَ الَّـذِي يَقْبَـلُ التَّوْبَـةَ عَـنْ عِبَـادِهِ وَيَعْفُــوا عَــنِ السَّــيِّئَاتِ وَيَعْلَــمُ مَــا تَفْعَلُــونَ * وَيَسْــتَجِيبُ الَّــذِينَ آمَنُــوا وَعَمِلُــوا الصَّــالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ))**[الشورى:25-26].

الشـيخ :**(( وهـو الـذي يقبـل التوبـة عـن عبـاده ويعفوا عن السيئات ويعلم مـا تفعلـون ))** قـال:

**(( وهو الذي يقبل التوبة ))** الله عز وجل يقبل توبة التائبين, بل ويحب توبة التائبين كما قال الله عز وجل : **(( إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ))** فما هي التوبة ؟ التوبة هي الرجوع من معصية الله إلى طاعة الله, وتقع كلية وجزئية, كلية بأن يتوب الإنسان من كل ذنب ومنها توبة الكافر فإنها كلية يمحوا الله تعالى بها كل ما سلف من ذنبه كما قال جل وعلا : **(( قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ))** ويقول المسلم: اللهم إني أستغفرك من جميع الذنوب وأتوب إليك, هذه كلية. التوبة الخاصة: أن يتوب من ذنب معين كإنسان تاب من أكل الربا لكنه مصر على شرب الخمر والعياذ بالله, فهذه توبة خاصة جزئية, ما هي شاملة, وسيأتي إن شاء الله الكلام عليها قريبا؛ للتوبة شروط خمسة:

الأول : الإخلاص لله .

والثاني : الندم على ما فعل .

والثالث : الإقلاع عنه .

والرابع : العزم على ألا يعود .

والخامس: أن تكون التوبة قبل غلق الأبواب, وأن تكون التوبة في زمن الإمكان.

طيب, الإخلاص بأن يكون الحامل على التوبة خوف الله عز وجل ورجاء التقرب إليه, بألا يقصد بذلك دنيا ولا جاه ولا شيئا من مخلوقات الله عز وجل, لا يريد إلا الوصول إلى رضا الله عز وجل ودار كرامته, والإخلاص كما

تعلمون بارك الله فيكم شرط في كل عمل.

الثاني: الندم على ما مضى من الذنب بحيث يشعر الإنسان بالحزن والتأسف كيف وقع منه هذا الذنب, والندم هو انفعال في النفس يحصل بفعل الإنسان وبغير فعله, لكن كلامنا في الندم في التوبة الذي يكون بفعله بمعنى أن يتحسر ويتأسف أن وقع منه الذنب ولا يكون حاله كحال من لم يذنب.

الثالث: الإقلاع عن الذنب فإن كان معصية بمحرم فليجتبه, وإن كان إفراطا في واجب فليفعله, وعلى هذا فمن زعم أنه تائب من الغيبة ولكنه لا يدع فرصة تحصل فيها الغيبة إلا اغتاب فهل نقول إنه تائب ؟ ... لأنه لم يقلع, كذلك من جحد مال شخص وأنكره وقال إنه تائب فلابد أن يرد المال إلى صاحبه وإلا فلا تقبل توبته, ومن اغتاب شخصا أي ذكره بما يكره في غيبته فلابد أن يقلع عن ذلك ويتحلل صاحب الغيبة, يذهب إليه ويقول: سامحني حللني فقد قلت فيك قولا قد تبت منه, لابد من هذا, فإن قال: إن ذهبت إليه أستحله أخشى أن يظن الأمر أكبر مما قلت فتقع العداوة, فالجواب وإن كان كذلك: أنت أبرئ ذمتك وكونه يترتب على ذلك عداوة أو ما أشبه ذلك ليس إليك, نعم لو فرض أن صحابك لم يعلم بغيبتك إياه فهنا يكفي أن تندم, وتقلع عن غيبته في المستقبل, وتذكره في المجلس الذي اغتبته فيه بما له من صفات حميدة.

الرابع: العزم على ألا يعود, بأن يقع في قلبه أنه لن يعود لهذه المعصية, فإن كان تاب لكنه متردد فيما لو

تيسرت لـه هـذه المعصـية أيفعلهـا أم لا ؟ فالتوبـة غيـر صحيحة, لابد أن يعزم علـى ألا يعـود, فـإن عـاد ؟ يعنـي عـزم ألا يعـود ثـم عـاد بعـد ذلـك هـل تبطـل التوبـة ؟ الجواب: لا تبطل, التوبة الأولـى صـحيحة لكـن عليـه أن يجدد التوبة للذنب الثـاني, ولهـذا كـانت العبـارة: العـزم على ألا يعود, وليست العبـارة بشـرط ألا يعـود, وبينهمـا فرق ؟ ... إذا قلنا: العزم على ألا يعود وعزم ألا يعود ثم عاد فالتوبة الأولى صحيحة, لكـن عليـه أن يجـدد التوبـة للذنب الثاني, أما إذا قلنا: بشرط ألا يعود فهـذا يقتضـي أنه لو عاد لبطلت التوبة وليس كذلك.

الشرط الخامس: ومع أعظمه أن تكون التوبة في زمـن الإمكان, فإن فـات الأوان لـم تنفـع وفـوات الأوان عـام وخـاص, العـام طلـوع الشـمس مـن مغربهـا, والخـاص حضور الموت, أما الأول فدليله قول الله تبـارك وتعـالى : **(( يَوْمَ يَـأْتِي بَعْـضُ آيَـاتِ رَبِّـكَ لا يَنفَـعُ نَفْسًـا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَـتْ مِـنْ قَبْـلُ أَوْ كَسَـبَتْ فِـي إِيمَانِهَا خَيْرًا ))** [الأنعام:158] فسر النـبي صـلى اللـه عليه وسلم بعض الآيات بأنها الشمس تطلع من مغربها, وقـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : **( لا تنقطـع الهجرة حتى تنقطع التوبـة, ولا تنقطـع التوبـة حتى تخرج الشمس من مغربها )** أما الخـاص فهـو حضور الأجل, فإنه إذا حضر الموت لم تقبل التوبة لقول اللـه تعـالى : **(( وَلَيْسَـتِ التَّوْبَـةُ لِلَّـذِينَ يَعْمَلُـونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّـي تُبْـتُ الآنَ وَلا الَّـذِينَ يَمُوتُـونَ وَهُـمْ كُفَّـارٌ ))** [النساء:18] الشاهد قوله : **(( حتى إذا حضر أحدهم**

**الموت قال إني تبت الآن ))** وهذا الشـرط يسـتلزم أن تكون التوبة على الفور بدون تأخير, وجه ذلـك أنـه لا يعلم متى يأتيه الموت, فقد يموت بغتة علـى فراشـه أو علـى كرسـيه أو وهـو سـاجد أو راكـع, وحينئـذ يتـبين أن التوبة واجبة على الفور, فاستدرك أيهـا العبـد, اسـتدرك نفسك إن كان فـي أمـر بينـك وبيـن اللـه أو بينـك وبيـن الخلق لأنك لا تدري متى يأتي الموت.

الخلاصة شروط قبول التوبة خمسة نعدها :

أولا : الإخلاص لله عز وجل .

ثانيا : الندم على الذنب .

ثالثا : الإقلاع في الحال .

رابعا : العزم على ألا يعود .

خامسا : أن تكون التوبة في زمن الإمكـان, نسـأل اللـه لنا ولكم التوبة.

قال الله تبارك وتعالى: **(( وهو الـذي يقبـل التوبـة عن عباده ))** قال المؤلف: **" منهم "** فصـرف معنـى عن إلى معنى من, وهـذا مبنـي علـى مـا سـبق مـن أن حروف المعاني تتناوب أي ينوب بعضها عن بعض, ولكن إبقاء اللفظ على ظاهره أولى, ويكون يقبـل التوبـة عـن عباده مضمنا معنى: يعفوا عنهم, فيقبل التوبة عن عباده أي يقبلها ويعفو عنهـم, ونجعـل عـن علـى بابهـا ويكـون قـوله : **(( ويعفـوا عـن السـيئات ))** كالتوكيـد لمـا سبق.

" **(( يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات )) المتاب عنها** " والعفو مأخوذ من قولهم : عفا الأثر إذا أخفته الرياح, وهو التجاوز عن العقوبة بالذنوب, والسيئات: جمع سيئة وهي كل ما يسوء الإنسان فعله أو وقوعه, والمراد بالسيئات هنا ـ تفسيري لها على حسب اللفظ ـ والمراد بها هنا مخالفة الشرع, فكل ما خالف الشرع فهو سيئة سواء كان بترك واجب أو فعل محرم.

**(( ويعلم ما تفعلون )) يقول: " بالياء والتاء "** ما تفعلون وما يفعلون, أما على قراءة ما يفعلون فهي مطابقة للضمائر السابقة **(( ويعلم ما يفعلون ))** أي ما يفعله العباد, وأما على قراءة التاء فهي من باب الالتفات عن الغيبة إلى الخطاب, وأسلوب الالتفات أسلوب بلاغي ويقصد به تنبيه المخاطب على ما سيلقى إليه, وذلك لأن الكلام إذا كان على وتيرة واحده فإن الإنسان ينسجم معه وربما يغفل عنه, وإذا اختلف وقف الإنسان, لماذا صار الأمر كذلك ؟ انتبه صار الالتفات على قراءة: **(( ويعلم ما تفعلون ))** التفات من الغيبة إلى الخطاب, الالتفات فن معروف في البلاغة, من فوائده تنبيه المخاطب, انظر إلى قول الله تعالى : **(( وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نقيبا ))** [المائدة:12] مقتضى السياق أن يقول : وبعث منهم, لكن قال : **(( وبعثنا منهم ))** فانتقل من الغيبة إلى التكلم لأجل تنبيه المخاطب قال : **(( ويعلم ما تفعلون ))** علمه بما نعمل يشمل العلم بالأشياء الظاهرة والأشياء الباطنة,

قد يذنب الإنسان ذنبا ظاهرا يعلمه الناس ويعلمه عز وجل, يعلمه رب الناس, وقد يكون خفيا لا يعلمه الناس ولكن يعلمه الله تبارك وتعالى, نعم .

السائل : إذا ورد في تفسير التوبة كذا عن بعض الصحابة والتابعين هل هو من باب ذكر أهم الشروط أو هو بذكر أعظمها ؟

الشيخ : هو إما أنه من باب الاقتصار على بعض الشروط أو أنهم يخاطبون أحدا يعرفون أن الرجل لم يندم قد أتى بوجه واسع غير مهتم ولا مكترث فركزوا على هذا الشرط دون غيره.

السائل : ...

الشيخ : خطأ, لأنه زعم أنه يختم يعني: يربط على قلبك, والربط ثناء لا يتناسب مع السياق, ولم تأتي يختم بمعنى يربط, بل تأتي يختم بمعنى يطبع كما قال الله تعالى : **(( ختم الله على قلوبهم ))** وقال : **(( بل طبع على قلوبهم ))** نعم ... أي نعم يجوز, لأن التعبير بمعنى الكلام, ووصف الأفعال واسع, بالنسبة لأفعال الله عز وجل واسع ما هو من جنس الأسماء, كل ما يصح أن ينسب لله فهو يتعبد به, نعم.

السائل : ما الفرق بين عبارة عن كلام الله وبين حكاية عن كلام الله ؟

الشيخ : ليس هناك فرق بين, لكن الأشاعرة يقولون : عبارة والكلابية يقولون : إنه حكاية, فالعبارة معناه أن الله خلق هذا الصوت ليعبر عما في نفسه, والحكاية

تشبه الصدى, إذا كان الإنسان بين جبال وتكلم تجد كل الجبال لها صوت, تحكي صوت الله, وعلى كل حال العبارات الباطلة كلها سيئة. والله أعلم.

الشيخ: طيب في أم هنا متصلة أو منقطعة ؟ ... ما هو الفرق بين المتصلة والمنقطعة ؟ ... يعني بمعنى أو, ولابد شيء آخر أنه لابد فيها من ذكر شيئين متقابلين, أما المنقطعة فهي التي بمعنى بل ولا تقتضي إبطالا, يعني لا تقتضي الجمع بين شيئين متماثلين, طيب.

الشيخ: قوله تعالى : **(( وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ))** نسأل عن شروط التوبة إجمالا ؟ خمسة : الإخلاص لله تعالى, والثاني الندم ...

الشيخ: ما تقول في توبة رجل سرق من شخص مالا ثم غاب المسروق منه ولم يعلم به وأيس من رجوعه ؟ هو ندم وتاب لله وخاف من عقاب الله ... الآن لا يعلم عنه اختل شرط بغير اختياره ... يعني معناه لا تتم توبته إلا إذا أخرج هذا المسروق عن ملكه فتصدق به, تمام طيب.

الشيخ: إذا كان المسروق منه كافر كيف يتصدق به عنه وهو لا تنفعه الصدقة ؟

الطالب: نية التصدق لا تكون للكافر ولكن نيته التبرأ من هذا المال.

الشيخ: ما يخالف ما الذي يتبع هذا ؟

الشيخ: معلوم هذا شرط سواء مسلم أو كافر, لكن هذا لم أذكره لكم, هذا يجعل في بيت المال, لأن بيت المال

بيت لكل مال مجهول صاحبه, طيب.

ثم قال الله عز وجل : **(( وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ))** .

من فوائد هذه الآية الكريمة: رحمة الله تعالى بعباده حيث حثهم على التوبة وجهه في قوله تعالى: **(( وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ))** فإن هذا ليس مجرد خبر أن الله يقبل بل هو حث من الله وجل أن نتوب إلى الله, اللهم وفقنا للتوبة يا رب العالمين, نظير ذلك أن أقول: من زارني أعطيته مائة درهم, معنى هذا حث الناس على الزيارة, كل إنسان سوف يقبل على الزيارة: **(( وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ))** حث للناس بلا شك على التوبة إلى الله عز وجل .

ومن فوائد الآية الكريمة: بيان كرم الرب عز وجل حيث يقبل التوبة عن عباده مهما كان الذنب, واقرأ قول الله تبارك وتعالى: **(( قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ))** [الزمر: 53] التوبة من الكفر مقبولة أو غير مقبولة ؟ مقبولة, والإسلام يهدم ما قبله مهما عظم حتى من سب الله أو رسوله ثم أسلم تقبل توبته لعموم الأدلة, وقد قال الله تعالى : **(( قل للذين كفروا إن ينتهوا ))** يعني عن كفرهم **(( يغفر لهم ما قد سلف ))** ... وإن عظمت لقوله : **(( ما قد سلف ))** وما اسم موصول يفيد العموم, حتى لو قتل هذا الرجل الكافر ألف رجل مؤمن ثم أسلم تاب الله عليه, ولذلك إذا أسلم الكفار وقد

أتلفوا أموال المسلمين في الحرب هل يضـمنون أمـوال المسلمين ؟ لا يضمنون أموال المسـلمين, لأن الإسـلام يهدم ما قبله .

ومن فوائد الآية الكريمة : الإشارة إلى لطف الله تبـارك وتعالى حيث قال : **(( عن عباده ))** كـأنه واللـه أعلـم لما كانوا عبيدا له عاملهم بالرفق والعفو والتوبة .

ومن فوائد الآية الكريمة أن الله إذا تاب على العبد عفـا عـن سـيئاته مهمـا عظمـت لقـوله: **(( ويعفـوا عـن السيئات ))**.

ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات عموم علم الله سبحانه وتعـالى لكـل مـا نفعـل لقـوله تعـالى: **(( ويعلـم مـا تفعلون ))**.

يتفرع على هذه الفائدة التحذير من المخالفة وجه ذلك: **(( ويعلم مـا تفعلـون ))** يعنـي: فاحـذروا أن تفعلـوا شيئا يغضبه فإنه عالم بكم.

القــارئ : (( **وَيَسْــتَجِيبُ الَّــذِينَ آمَنُــوا وَعَمِلُــوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْـلِهِ وَالْكَـافِرُونَ لَهُـمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ** )) [الشورى:26].

الشــيخ : (( **ويســتجيب الــذين آمنــوا وعملــوا الصالحات** )) قـال : " **يجيبهم إلـى مـا يسـألون** " يستجيب بمعنى يجيب مع أنه قد يتبادر إلى ذهن الإنسـان أن معنى يستجيب أي يطيع كمـا إذا قلـت : دعـوت فلانـا فاسـتجاب لـي أي أطـاعني, لكـن هنـا يسـتجيب بمعنـى يجيـب, ودليـل هـذا التفسـير قـول اللـه تبـارك وتعـالى : (( **فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمـل عامـل منكم مـن ذكـر أو أنـثى بعضـكم مـن بعـض** )) إذا استجاب بمعنى أجاب, ويسـتجيب بمعنـى يجيـب, فمـاذا يكون إعراب الـذين ؟ الـذين مفعـول بـه وليسـت فـاعلا, الفاعل ضمير مستتر يعود على الله.

(( **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** )) آمنـوا بقلـوبهم وعملوا الصالحات بجـوارحهم والإيمـان والعمـل الصـالح يقرنان دائما لأن أحدهما ملازم للآخر, فكل من آمن حقـا فسيعمل الصالحات قطعا, دليل هذه القاعدة قول النـبي صلى الله عليه وسلم : ( **ألا وإن في الجسـد مضـغة إذا صلحت صـلح الجسـد كلـه وإذا فسـدت فسـد الجسد كله** ).

إذا آمنوا بإيش ؟ بكل مـا يجـب الإيمـان بـه, وعرفتـم أن أركان الإيمان قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم : إنها ( **الإيمان بالله وملائكتـه وكتبـه ورسـله والقـدر خيره وشره** ) عملوا الصالحات: الصالحات هـذه صـفة لموصـوف محـذوف والتقـدير الأعمـال الصـالحات, فمـا

ضابط العمل الصالح ؟ ضابط العمل الصالح أن يكون خالصا لله موفقا لشريعة الله, هذا يقع في أمة محمد عليه الصلاة والسلام لكن هل يقع في الأمم السابقة ؟ الجواب: نعم, حين كانت شرائعهم قائمة يقع منهم الإيمان والعمل الصالح طيب. إذن العمل الصالح ضابطه أن يكون خالصا لله موافقا لشريعة الله.

فقولنا أن يكون خالصا لله احترازا من العمل الذي يقع فيه الشرك فليس بصالح وإن قل الشرك لقوله تعالى في الحديث القدسي : **( أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه )** وعلى وفق الشريعة أن يكون خاليا من البدعة, فإن كان فيه بدعة لم يكن صالحا حتى لو كانت أجزاء هذه البدعة عملا صالحا, فإنها إذا كانت بدعة لا تكون عملا صالحا, يعني لو أن أحدا أحدث أذكارا من القرآن أو من السنة لكن على صفة لم تأتي بها الشريعة فإنها ليست عملا صالحا, ولا يكون العمل صالحا إلا إذا وافق الشريعة في أمور ستة: السبب والقدر والكيفية والنوع والزمان والمكان.

السبب: بأن يكون هذا العمل مشروعا لسبب معين فلو أن إنسانا أحدثه لسبب آخر لم يقبل منه ولم يكون صالحا, مثال ذلك: نرى بعض الناس إذا قدم له الطيب يقول: اللهم صلي على محمد, هذا ليس عملا صالحا, إذا قال قائل : كيف تقول ليس عملا صالحا وهو صلاة على الرسول ؟ قلنا : لأنه ليس من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كلما تطيب صلى على النبي ولا أمر أمته بذلك, إذن فأنت الآن أثبت سببا غير شرعي, ومن ذلك

أن بعض الناس إذا تجشأ قال : الحمد لله, التجشؤ خروج الريح من فوق, بعض الناس يقول : الحمد لله, نقول من قال : لك أنه يشرع عند التجشؤ أن تحمد الله؟ إذا عملك غير صالح لأنه غير مطابق للشريعة, ونقول : يلـزم علـى قولك : أنك إذا فسوت تحمد الله ولا دليل على هذا.

**(( ويســتجيب الــذين آمنــوا وعملــوا الصــالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شــديد ))** يستجيب بمعنى يجيب. ما هو الشاهد لكون يســتجيب بمعنى يجيب ؟ قوله تعالى : **(( فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُــمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُـمْ مِـنْ ذَكَـرٍ أَوْ أُنْثَـى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ))** [آل عمران:195].

علـى هـذا المعنـى مـاذا يكـون إعـراب: **(( الذين ))** ؟ مفعول به مبني على الياء في محل نصب.

قال الله تبارك وتعـالى : **(( والكـافرون لهـم عـذاب شديد ))** هذه جملة مستأنفة لما ذكـر مـا يحصـل للـذين آمنـوا وعملـوا الصـالحات ذكـر مـا يحصـل لضـدهم لأن القرآن الكريم مثاني, تثنى فيه المعاني فتذكر فيه الجنــة ثم يذكر النار والثـواب ثـم العقـاب والمـؤمن ثـم الكـافر وهلــم جــرا, **(( والكــافرون لهــم عــذاب شــديد ))** الكافر في الأصل الجاحد مأخوذ من الكفـرة وهـي وعـاء طلع النخل, ولكنه يطلق على كل مـن كفـر بـالله تعـالى بجحد أو غيره, سواء كان بجحد مثل أن يجحد الرسالة أو القرآن, أو كان باستكبار عن دين الله مثل أن يدع الصلاة التي تركها كفر, وقوله : **(( لهم عذاب شديد ))** مبتـدأ وخبر، خبر المبتدأ الأول الذي هو الكافرون وأتت العبــارة بهذا الوجه للتأكيد على عذابهم والعياذ بالله, وإلا لـو كـان

يكفي أن يقال وللكافرين عذاب مهين أو ما أشبه, لكن الله تعالى قال : (( **والكافرون لهم عذاب شديد** )) الشديد القوي, وإذا أردت أن تعرف هذا فاقرأ ما في القرآن والسنة من عذاب أهل النار.

زعمتم أننا لم نتكلم على قوله: (( **من فضله** )), (( **ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله** )) ونقول: أي يعطيهم من فضله زيادة على ما عملوا, فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

قوله : (( **عملوا الصالحات** )) أي عملوا الأعمال الصالحات ولا يكون العمل صالحا إلا بموافقة الشريعة بالإخلاص لله أولا, ثم موافقة الشريعة ثانيا, ولا تتحقق الموافقة إلا إذا طابق العمل الشريعة في أمور ستة: الأول السبب.

والثاني: الجنس, بأن يكون من جنس ما جاءت به الشريعة فإن خرج عن ذلك لم يكن عملا صالحا, مثاله: لو أن أحدا ضحى بفرس فالفرس أغلى من الشاة غالبا, فإن الأضحية لا تقبل, لماذا ؟ لأنه ليس من جنس المشروع التضحية به, إذ أن التضحية لا تكون إلا من بهيمة الأنعام الإبل والبقر والغنم كما قال تعالى : (( **وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ** )) [الحج:28].

الثاني: أن يكون مطابقا للشريعة في قدره فلا يزيد على ما جاءت به الشريعة, ولهاذا لو أن إنسانا زاد في الصلاة ركعة لم يكن عملا صالحا حتى وإن كانت الركعة في الأصل مشروعة لكنها في هذا الحال ليست مشروعة,

فإن قال قائـل : مـاذا تقولـون : لـو أن الإنسـان زاد فـي صلاة الليل على إحدى عشـرة ركعـة هـل تكـون الزيـادة عملا صالحا ؟ إذا قلتم : نعم أشكل علينـا أننـا قلنـا : لابـد أن تطابق الشريعة في قدرها أعني العبـادة, ومعلـوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يزيـد فـي رمضـان ولا غيره عن إحدى عشـرة ركعـة وربمـا صـلى ثلاثـة عشـرة ركعة, الجواب: أن صلاة الليـل لـم يـرد فيهـا تحديـد عـن النبي صلى الله عليه وسلم بأن قال: لا تزيدوا على كــذا, بل صلى هو إحدى عشـرة ركعـة وقـال للـذي سـأله عـن صلاة الليـل قـال لـه : **( مثنى ، مثنـى فـإذا خشـيت الصبح فصلي ركعة توتر لك ما قد صليت )** فقــوله : **( مثنى ، مثنـى )** بـدون تحديـد يـدل علـى أن صـلاة الليل لا حد لها صلي ما شئت من الركعات.

الأمر الثالث: أن تكون موافقة للشريعة في الزمان, فإن خالفت الشريعة في الزمـان فإنهـا لا تقبـل, مثـال ذلـك: رجل ضحى وذبح أضحيته قبل صلاة العيـد فلا تصـح هـذه الأضحية, ولهذا قال النبي صلى الله عليـه وسـلم للـذي : أخبره أنه ذبح قبل أن يصلي قال له: **( شاتك شاة لحم )**.

الخامس : أن تكون موافقة للشريعة في المكـان, يعنـي أنه إذا خص الشارع العبادة بمكان معين فإن صـلاتها فـي غير هذا المكان لا تقبـل, فـالوقوف بعرفـة لـو أن إنسـانا وقف في مزدلفة بدل الوقوف بعرف فـإن ذلـك لا يصـح, لماذا ؟ لأنه وقف في غير المكان الذي حدد, ولو اعتكــف الإنســان فــي بيتــه لــم يصــح الاعتكــاف لأن الاعتكــاف مخصوص في المساجد.

السادس: أن تكون مطابقة للشريعة في هيئتها يعني الكيفية, فلو توضأ الإنسان وغسل يديه قبل وجهه فالوضوء لا يصح لأنه مخالف للشريعة في الهيئة إذ أن الله يقول: **(( فاغسلوا وجوهكم وأيديكم ))** ولو صلى الإنسان فسجد قبل أن يركع ثم قام وركع لم تصح الصلاة لعدم موافقة الشريعة في الهيئة؛ هذه ستة أشياء لا يمكن أن تكون العبادة مطابقة للشريعة إلا إذا تحققت هذه الأشياء الستة .

من فوائد الآية الكريمة : فضيلة الإيمان والعمل الصالح وأنه سبب لإجابة الله تعالى.

ومنها من الفوائد: أن الله تعالى يعطي المؤمنين العاملين الصالحات أكثر مما عملوا لقوله: **(( ويزيدهم من فضله ))** وهذه الزيادة بينها الله تعالى في مواضع أخرى في كتابه فقال: **(( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ))** وقال: **(( مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ))** [البقرة:261] وربما يقال أيضا: بزيادة أخرى غير العدد وهي أنه يزيدهم من الإيمان والعمل الصالح, لأنه كلما عمل الإنسان عملا صالحا ازداد يقينه, ولهذا كان قول أهل السنة والجماعة أن الأعمال داخلة في الإيمان .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن كل ما ينال الإنسان من خير فبفضل الله, وعلى هذا يجب على الإنسان أن يقطع عن نفسه الإعجاب ويجب عليه ألا يقول : هذا من عندي أو أنا جدير به أو ما أشبه ذلك من الكلمات التي يفخر بها على الله عز وجل .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : التحذير من الكفـر لقـوله تعالى : **(( والكافرون لهم عذاب شديد ))** لأنه ليس المراد من هذه الجملة الإخبـار بشـدة العـذاب للكـافرين ولكن المـراد بيـان هـذا والتحـذير مـن الكفـر خوفـا مـن العذاب الشديد .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن الله تعالى ينذر النـاس عـن المعاصي والكفر بذكر العقاب, أخذ العلماء مـن هـذا أنـه إذا ذكر الله تعالى عقابا في عمـل مـن الأعمـال دل ذلـك على تحريمه, وإذا ذكر ثوابـا فـي عمـل مـن الأعمـال دل ذلك على مشروعيته .

الطالب: شيخ أثابك الله, قلنا أن قوله: (( عـن عبـاده )) ... أليس فيه تكرار في الآية ؟

الشيخ : لا, فيه تكرار لكن توكيد معنوي.

الطالب: شيخ مر معنا في قواعد في التفسير أن حمـل الكلام على التأسيس أولى من حمله على التوكيد ؟

الشيخ : ما لم يكن هناك دليل, يعني إذا تعارض هذا وهذا نحمل على التأسيس لا شك, لكن ما لم يتعارض, نعم .

الطالب: تقرر معنا أن شروط التوبة خمسة وذكرنـا مـن الشروط إذا تعلقت المعصية أو الذنب بحق آدمي بإرجاع الحق أو استحلاله, ولم نذكر ذلك فـي الخمسـة شـروط, هل هو مدرج مع واحدة منها ؟

الشيخ : لا هي داخلة ما فيها إشكال .

الطالب : إذا تجشأ الإنسان فقال: الحمـد للـه بسـبب أن الكفار يضحك إذا تجشأ ؟

الشيخ : من الذي يضحك ؟

الطالب : الكفار. عيب عندهم ؟

الشيخ : حتى عند بعض المسلمين عيب, ولهذا قال الفقهاء : يكره للإنسان أن يرفع إلى السماء وجهه إلا إذا تجشأ في الصلاة فليرفع لئلا يؤذي من حوله بالرائحة, ولا يفهم الناس ما ذكرت أبدا, العجوز أو الشيخ الكبير إذا تجشأ وقال: الحمد لله, هل يخطر على باله على شان الذين يضحكون ؟ لا أبدا, هذه علة عليلة ومريضة مرضا لا يرجى برؤه، ... هذا سبب, ما هو صحيح, صحيح أنه مثلا لو أن الإنسان وجد ضيقا في نفسه ورأى نفسه محتاجا للتجشي هذا يحمد الله لا على أنه تجشي علشان زوال الأذية, هذه لسبب, نعم.

الطالب : ...

الشيخ : يجب أن نعرف أن التأويل يراد به التفسير فيدخل فيه التضمين, وهذا هو الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس : **( اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل )** يعني التفسير ... لا هذا ما يسمى تأويلا هذا يسمى تحريفا, ولا يجوز أن نسميه تأويلا وإن سموه هم تأويلا لكن هم يقولون : تأويل علشان ألا ينفر الناس من صنيعهم لو قالوا : أهل التحريف والسلف يقبلهم أحد أو لا يقبلهم ؟ لا يقبلهم, فجاءوا بالتأويل تلطيفا, ولهذا نظائر النصارى سموا في الأخير أنفسهم مسيحيين ليضفوا على ملتهم المنسوخة أنها شرعية وأنهم أتباع المسيح, والمسيح عليه الصلاة والسلام أبرأ الناس منهم ولو خرج لقاتلهم, وهم كاذبون على المسيح فيما يدعون ولكن سموا أنفسهم بالمسيحيين على شان يضفوا على أنفسهم الشرعية, ونظير ذلك أيضا الرافضة يرفضون اسم الرافضة ويغضبون عليك فسموا أنفسهم

شيعة, ومن أحق أن يكون شيعيا ؟ أهل السنة, لأنهم هـم الذين يحبون أهل البيت محبة سـنية شـرعية, أمـا هـؤلاء الرافضة فإنهم يحبون آل البيت محبة شركية؛ أهل البيت فيتبرءون منهم بلا شك ولهذا لما قال عبـد اللـه بـن سـبأ وجماعته لعلي بن أبي طالب: **" أنت اللـه حقـا "** تـبرأ منهم وأمر بالأخاديـد فخـدت وملأت حطبـا وألقـاهم فـي النار, حرقهم من شـدة مـا أصـابه منهـم, إذن هـل يقـال لهـؤلاء الـذين غلـوا فـي آل الـبيت حـتى أنزلـوهم فـوق منزلتهم هل يقال : إنهم شيعة لأهل الـبيت ؟ أبـدا واللـه, هم أعدى عدو لآل البيت لأنهم أنزلوهم فوق منزلتهم وقد قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: **( مـا أحـب أن تنزلوني فوق منزلتي الـتي أنزلنـي اللـه )** وأهـل البيت مثل النبي صلى الله عليه وسلم لا يحبون أن ينزلوا فوق منزلتهم التي أنزلهم اللـه أبـدا ... نعـم إن دل عليـه الدليل فهو تأويل وإن لم يدل عليه الـدليل فهـو تحريـف, هذا هو الضابط.

الطالب : ... قتله كافر في غير الحروب, هـل يضـمن إذا أسلم ؟

الشيخ : أصلا الكافر حربي ما لـم يكـن بيننـا وبينـه عهـد, فلنا أن نقتله وله أن يقتلنا, يعني له بمعنـى أنـه لـو قتلنـا لم يضمن وإلا حرام عليـه أن يقتلنـا وحـرام عليـه يكفـر, ولهـذا كـان القـول الراجـح أن الكفـار مخـاطبون بفـروع الشـريعة كمـا أنهـم مخـاطبون بالتوحيـد, بـل أقـول: إن الكافر آثم حتى في المبـاح, الآن الكـافر يأكـل ويشـرب وآمن ويلبس وكـل شـيء كـل نعمـة فـإنه معـاقب عليهـا زيادة على عقوبـة الكفـر: **(( لا يغرنك تقلـب الـذين**

**كفروا في البلاد متـاع قليـل ثـم مـأواهم جهنـم وبئس المهاد ))** وإذا سئل أصحاب النار ما سلككم في صقر قالوا : **(( لم نكن من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنـا نكـذب بيوم الـدين حـتى أتانـا اليقيـن ))** إذا فهـم آثمـون, وقال عز وجل: **(( ليس على الـذين آمنـوا وعملـوا الصـالحات جنـاح فيمـا طعمـوا ))** وغيرهـم عليهـم جناح, وقال عز وجل **(( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِـي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّـذِينَ آمَنُوا فِـي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا خَالِصَـةً يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ ))** [الأعراف:32] للذين آمنوا وغير الذين آمنوا ليسـت لهـم ولا خالصة لهم يوم القيامة, الكافر عدو الله ولـو سـاوت الدنيا جناح بعوضة عند الله مـا سـقى منهـا كـافرا شـربة ماء, فهم إذا أكلوا أو شربوا أو أمنوا أو صحوا أو أي نعمـة تصيبهم فإنهم معاقبون عليها.

ثم قال الله تعالى .

القارئ : **(( وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِـي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيـرٌ بَصِيرٌ ))** [الشورى:27].

الشيخ : قال اللـه تعـالى: **(( وَلَوْ بَسَـطَ اللَّـهُ الـرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ ))** بسـط بمعنـى وسـع, كمـا قال الله تعالى : **(( والله يقبض ويبسط ))** وقال عـز وجـل : **(( يبسط الـرزق لمـن يشـاء ويقـدر ))** أي يضـيق, فالبسـط بمعنـى التوسـيع, يعنـي لـو وسـع اللـه الرزق للعباد لبغوا في الأرض.

وقـوله : **(( لعبـاده ))** قـال المفسـر : **" جميعهـم "**

يعني لو كان كل الناس أغنياء بسط لهم في الرزق لبغـوا فـي الأرض قـال : " **(( لبغـوا )) جميعهـم (( فـي الأرض )) أي طغوا فيها** " وتجاوزوا حدودهم, وذلـك لأن الجميع كانوا في رفاهية وفي رزق واسـع ولا رادع ولا اعتبار ولا اتعاظ, وأيضا لو بسط الله الرزق لجميع العبـاد لفسدت الـدنيا, لأنـه لـولا هـذا التفاضـل بيـن العبـاد فـي الرزق ما خدم أحد أحدا ولا اسـتقامت الأحـوال, لـو كـان الناس كلهم على حد واحد في الغنى وطلبت من شـخص أن يعمل لك فـإنه لـن يسـتجيب, لمـاذا ؟ لاسـتغنائه بمـا عنده, لكن الله تبارك وتعـالى فضـل بعـض النـاس علـى بعض, ورفع بعضـهم فـوق بعـض درجـات ليتخـذ بعضـهم بعضا سخريا, هذا ما ذهب إليه المؤلف, ولكـن قـد يقـال إن قوله تعالى : **(( ولو بسط الله الـرزق لعبـاده ))** شامل للجميع أو للأفراد, فإن الإنسان إذا بسـط اللـه لـه الرزق بغـى واسـتغنى, ولـذلك تجـدون أكـثر مـن يكـذب الأنبياء هم الملأ الأغنياء الكـبراء, وأمـا الفقـراء الضـعفاء فالغالب هم الذين يتبعون الأنبياء, فيكون المـراد بقـوله : **(( لو بسط اللـه الـرزق لعبـاده ))** المـراد الجنـس, يعني لواحد من عباده لبغى في الأرض.

**(( ولكن ينزل بقدر ما يشاء ))** قال : " **(( ينزل )) بالتخفيف وضده** " مـا ضـده ؟ التشـديد, يعنـي ينـزل وينـزل، ينـزل مـن نـزل وينـزل مـن أنـزل, وقـوله: " **بالتخفيف وضده** " اصطلاح المؤلـف رحمـه اللـه أنـه إذا أتى بمثل هذا التعبير فالقراءتان سبعيتان, وكـذلك إذا قال: وفـي قـراءة, فالقراءتـان سـبعيتان, أمـا إذا قـال : وقرئ, فـالقراءة شـاذة لأنـه أتـى بهـا بصـيغة التمريـض,

انتبهوا للاصطلاح, هذا التعـبير الـذي معنـا " **بالتخفيف وضده** " علـى حـد سـواء يعنـي سـاوى بيـن القراءتيـن, وعلى هذا فهما سبعيتان, قال : " **من الأرزاق** " بيــان للمنزل, فالمضمر إذا من الأرزاق ويدل على أن المضمر مــن الأرزاق قــوله : **(( ولــو بســط اللــه الــرزق ))**, **(( ولكن ينزل بقدر ))** أي بتقدير مكتوب فــي الأزل لا يتغير ولا يتبدل.

" **(( مــا يشــاء ))** **فيبســطها لبعــض عبــاده دون بعض, وينشــأ عــن البســط البغــي (( إنــه بعبــاده خبير بصير ))** " قــوله : **(( بقــدر مــا يشــاء ))** هــذه المشيئة كما سبق مقرونة بالحكمة, فمن اقتضت حكمــة الله أن يغنيه أغناه, ومن اقتضــت حكمــة اللــه أن يفقــره أفقره, وفي الحديث القدسي **( إن من عبادي من لــو أغنيتــه لأفســده الغنــى وإن مــن عبــادي مــن لــو أفقرته لأفسده الفقر )** فالله تبـارك وتعـالى حكيـم, وكم من إنسان رجع إلى الله تعالى بسبب المصائب مــن فقر أو موت قريب أو صديق أو ما أشبه ذلك ما يشاء.

قال المؤلـف رحمــه اللــه تعـالى: " **فيبسطها لبعــض عباده دون بعض, وينشأ عن البسط** " يعنــي توزيـع الرزق " **البغي** " هــذا كالتعليــل لكــون الجــواب **(( لــو بسط اللــه الــرزق لعبــاده لبغــوا ))** بــأنه ينشــأ عــن البسط البغي والطغيان والاستكبار عن العبادة والتكذيب بالحق؛ **(( إنه بعباده خبير بصير ))** الجملة اســتئنافية تبين أن بسطه الــرزق وعــدمه ناشــئ عــن علــم وخــبرة, والخبرة أخص من العلم لأنها العلم ببواطن الأمور, ولكن نقول: إن العلم ببواطن الأمور يدل بالالتزام علــى العلــم

بظواهر الأمور من باب أولـى **(( بصير ))** مـأخوذة مـن الإبصار بالعين ومن البصيرة وهي العلم, فيكون بصير لها معنيان الأول من الإبصار وهو الرؤية بـالعين والثـاني مـن البصيرة وهي العلم, **(( إنه بعباده خبير بصير ))** وهذا يعني أنه يضيق على من شاء ويوسع على من شاء .

من فوائد الآية الكريمة : أن بسـط الـرزق وتضـييقه مـن عنـد اللـه وحـده لقـوله : **(( ولو بسـط اللـه الـرزق لعباده لبغوا في الأرض ))** فـإن قـال قائـل : ألا يـرد على هذا أننا نرى الرجل يعمل ويكدح ويتجر فيزيد ماله ؟ قلنا : لا يرد, لأن أصل عمله من عند اللـه عـز وجـل, هـو الذي أوقع في قلبه النيـة وأقـدره علـى العمـل فهـو مـن فضل الله عز وجل, هذا وجه, ووجه آخـر أننـا نجـد بعـض الناس يكدح ويعمل ويتعـب ولكـن لا يوفـق, كلمـا ضـرب وجها ازداد خسرانا, وحينئذ ينتفي هذا الإيـراد مـن أصـله, الإيراد ؟ يرد علينا أن الإنسان قـد يتجـر ويعمـل ويكسـب فيكـون انبسـاط الـرزق مـن عملـه فكيـف تقولـون : إن بسط الرزق من الله عز وجل هذا الإيـراد, مـا الجـواب ؟ ... يعني كون الله تبارك وتعالى أوقع في نفسـه العزيمـة على هذا ويسر له هذا الاتجار هو من اللـه عـز وجـل, لـو شاء الله لم يجعل في قلبه العزيمة ولو شاء الله لأعجزه عن العمل هذا وجه, وجه آخر ؟ ... أننـا نـرى فـي الواقـع من يبذل الجهد والطاقـة فـي التجـارة والأخـذ والإعطـاء ومع ذلك لا يزداد إلا خسرانا, إذا فالبسط كله من الله عز وجل لا من أصله ولا مما يتفرع عنه.

الحذر من الترف وسعة الـرزق, وجـه ذلـك أن اللـه ... تعالى أخبر بأن بسط الرزق سبب للبغـي, وهـذا كقـوله تعـــالى : (( **كلا إن الإنســـان ليطغـــى أن رآه استغنى ))** وأخـبر النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم أن أخوف ما يخاف علينا مـا يفتـح علينـا مـن زهـرة الـدنيا, فليحذر الإنسان ما يبسط له مـن الـرزق, فلعـل شـقائه يكون بسببه, نسأل الله السلامة والعافية .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : حكمة الله تبارك وتعالى فيما ينزل من الرزق لقوله : **(( ولكن ينزل بقدر ما يشاء ))** .

ومن فوائدها : إثبات المشـيئة للـه تبـارك وتعـالى حـتى فيما يحصل للعبد.

ومن فوائدها : الإشارة إلـى أن توسـيع الـرزق لشـخص وتضييقه لآخر مبنـي علـى خـبرة وعلـم لقـوله : (( **إنه بعباده خبير بصير ))**

ثم قال عز وجل .

القارئ : **(( وَهُوَ الَّذِي يُنَـزِّلُ الْغَيْـثَ مِـنْ بَعْـدِ مَـا قَنَطُـوا وَيَنشُـرُ رَحْمَتَـهُ وَهُـوَ الْـوَلِيُّ الْحَمِيـدُ ))** [[الشورى:28].

الشـيخ : **(( وهو الـذي ينـزل الغيـث ))** ينزلـه مـن أين ؟ من السماء, الغيث أي ما يحصل به الإغاثـة وهـي الإنقاذ من الشـدة **(( من بعـد مـا قنطـوا ))** أي مـا قنـط العبـاد قـال المفسـر: " **(( الغيـث )) المطـر (( من بعد ما قنطوا )) أي يئسـوا مـن نزولـه "** لتأخره عن وقته قـالوا : إذن هـذا العـام مـا فيـه مطـر, فينزل الله المطر, وإنزال المطر علـى حيـن شـفقة لـه

وقنوط من نزوله يكون أشد وقعا في النفوس وأبين لرحمة الله تبارك وتعالى وفضله, قال: " **(( وينشر رحمته )) يبسط مطره** " هكذا قال المفسر : ولو كان المراد كما قال لقال : ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشره, ولكن الصواب ينشر رحمته أي الرحمة التي تحصل بهذا الغيث من نبات الزرع ودر الضرع وسعة الرزق وغير ذلك مما ينشأ عن المطر, وقال بعض العلماء: ينشر رحمته أي يجعل السماء صحوا حتى تخرج الشمس, وفي هذا نظر اللهم إلا إذا وصلت الأمطار إلى حد يخشى من ضررها فحينئذ يكون انجلاء الغيم وخروج الشمس يكون رحمة, أما مجرد خروج الشمس وانجلاء الغيم فإنه ليس برحمة لكنه حكمة, نعلم أن الله تعالى يفعل هذا لحكمة **(( وينشر رحمته ))**. فالمسألة أعم مما ذكر المؤلف

" **وهو الولي )) المحسن للمؤمنين ))** **(( الحميد )) المحمود عندهم** " قوله : " **(( وهو الولي )) المحسن للمؤمنين** " ففسر الولاية بالإحسان, والصواب أن الولاية أعم فقوله: **(( وهو الولي ))** أي الذي يتولى أمور عباده وقوله: **(( الحميد ))** أي المحمود على هذه الولاية لأنها ولاية رحمة وحكمة وعدل فيحمد عليها, إذا كان الله تعالى هو الولي فإلى من يلجأ إذا ضاقت عليه الأمور ؟ يلجأ إلى الله عز وجل لأنه ولي, كما أن اليتيم يرجع إلى وليه في تصريف ماله, وقوله : **(( الحميد ))** أي المحمود على ولايته, وولاية الله تبارك وتعالى تنقسم إلى قسمين لا تخرج عنهما : إما إحسان وإما عدل,

والثالث: ممتنع وهو الظلم, فولاية اللـه تعـالى لا تخـرج عن هذين الأمرين أعني: الإحسان والعدل .

من فوائد الآية الكريمـة أن إنـزال المطـر بيـد اللـه عـز وجل لقوله : (( **وهو الذي ينزل الغيث** )) .

ومن فوائدها : أن لإنزال المطر زوال الشدة لأن الغيث هو إزالة الشدة .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن الإنسـان لا يصـبر, طبيعـة الإنسان أنه لا يصبر, فيستولي عليه اليأس والقنوط من رحمة الله, والذي يجب على المرء ألا يقنط مـن رحمـة اللـه كمـا قـال عـز وجـل: (( **قُلْ يَـا عِبَـادِيَ الَّـذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ** )) وقال عن إبراهيم : (( **ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضـالون** )) فـالواجب عليـك إذا مسـك سـوء ألا تقنـط, الـواجب أن تصـبر وتحتسـب, ودوام الحـال مـن المحال, لكن الله تبارك وتعـالى يـذكر الشـيء بحسـب الواقع لا بحسب ما ينبغي للإنسـان مـن ملازمـة الصـبر وانتظار الفرج .

ومـن فوائـد الآيـة الكريمـة : أن نـزول المطـر رحمـة لقـوله : (( **وينشـر رحمتـه** )) وهـذا علـى تفسـير المؤلـف أن المـراد بالرحمـة المطـر, وقـد ذكرنـا أن الرحمة أعم من ذلك, وهـو هكـذا تشـمل نـزول المطـر نبات الأرض سمن المواشي كثرة التصرفات والحركات .

ومن فوائد الآية الكريمـة : إثبـات ولايـة اللـه عـز وجـل لجميع الخلق لقوله: (( **وهو الولي** )) ولم يقيد.

واعلم أن ولاية اللـه تعـالى نوعـان ولايـة خاصـة وولايـة

عامة, الولاية العامة: هي التي تشمل ولاية الله سبحانه وتعالى لجميع العباد مؤمنهم وكـافرهم برهـم وفـاجرهم صـغيرهم وكـبيرهم ذكرهـم وأنثـاهم هـذه عامـة, ومنهـا قوله تعالى : **(( ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ))** هذه من الولايات العامة لأن المراد بهم الكافرون.

الولاية الخاصة: هي التي للمـؤمنين فقـط ودليلهـا قـول الله تعالى : **(( الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمـات إلـى النـور والـذين كفـروا أوليـائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ))** إذن ما الفرق بين الخاصة والعامة ؟ الفـرق بينهمـا فـي المحل ظاهر, الولايـة العامـة تشـمل كـل أحـد, الولايـة الخاصة بالمؤمنين, الفرق بينهما أيضا من حيث الأثــر أو التـأثير أن الولايـة الخاصـة تسـتلزم توفيـق اللـه تبـارك وتعالى للعبد في الهداية وغير ذلك, والعامــة لا تســتلزم ذلك, فإن الكفار الله وليهم بالمعنى العام ومع ذلـك لـم يهدهم لأن الحكمة تقتضي ألا يهديهم.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن ولاية اللـه تعـالى محمـودة على كل حال لقوله: **(( الولي الحميـد ))** اقـرن بيـن هذا وبين قوله تعالى: **(( وهو الغني الحميد ))** تجــد التناسب التام, فـالغني الحميـد الـذي يحمـد علـى غنـاه بحيث يغني به من شاء, والولي الحميد الذي يحمد على ولايته بحيث يختص بالولايـة الخاصـة مـن شـاء ويمنعهـا عمن شاء, وعلى كل حال فـولايته حميـدة وغنـاه حميـد عز وجل .

الطالب : ... كلاهمـا صـحيح ولا مرجـح لأحـدهما يحمـل عليهما جميعا ؟

الشيخ : بشرط ألا يتنافيان, هنا يتنافيان, وجـه ذلـك أننـا إذا قلنا : يستجيب أنها عائدة على الله عز وجل صـارت الذين محلها النصب فهم مجابون, وإذا قلنـا : إنهـا تعـود على الله صارت الذين مفعول به, وأيضا يضـعف القـول الثاني أن يستجيب الذين آمنوا يعني أن الذين هم الذين استجابوا لربهم قوله: **(( ويزيدهم من فضله ))** فإن الأصل أن الضمائر تكون واحدة, ومعلوم أن الزيادة من الفضل خاصة بالله عز وجل, فالقول بأنها تحتمل الثاني ضعيف لأنه مرجوح .

الطالب : شيخ أحسن الله إليك من هذه الآية من قـوله تعـالى: (( ولـو بسـط اللـه الـرزق لعبـاده لبغـوا فـي الأرض )) ذكـر بعضـهم أن الفقيـر الـذي أفقـره اللـه سبحانه وتعالى لحكمته لا يجوز لأحد أن يغنيـه ... يعنـي يعطيه شيئا يستغني بـه يـأكله فقـط, كونـك تعطيـه مـا يستغني به سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى ؟

الشيخ: من قال هذا ؟!

الطالب : ذكروا هذا فـي كتـاب **" تقديس الصـوفية للأشخاص "** هذه فتوى واحد من العلماء ؟

الشيخ : لا عبرة بأقوال الصوفية, هل أنت كنـت صـوفيا من قبل ؟

الطالب : أي قبل كنت صوفيا.

الشيخ : والحمد لله الذي أنقذك منهم, هذه نعمة كبيرة, لا هذا غيـر صـحيح لأنـه لـو كـان كـذلك لـم يجعـل اللـه للفقراء حظا من الزكاة, أليس الله تعالى جعل للفقراء حظ من الزكاة ؟ وأمر بالإحسان إلـى الفقـراء ؟ يتـبين ضعف هذا القول.

الطالب : ما الفرق بين اليأس والقنوط ؟
الشيخ : القنوط أشد اليأس, يعني إذا ارتفع اليأس حتى لم يبق في الإنسان أي أمل فهذا قنوط .
الطالب : ...
الشيخ : لا, الذين مفعول به ... وأيضا المرجح عندنا مرجح على أن المجيب هو الله وهو قوله: **(( ويزيدهم من فضله ))** لو كان كذلك لقال: فيزيدهم بالفاء, يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيزيدهم إذا استجابوا, فلما جاء حرف العطف الذي يقتضي تساوي المعطوف والمعطوف عليه لم يصح ما قلت, وإلا لقال: ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيزيدهم أي بسبب استجابتهم يزيدهم من فضله ... وعلى الإجابة قال الله تعالى : **(( فاستجاب لهم ربهم ))** يعني أجابهم .
الشيخ : هذا من القنوط, إذا نزل بالإنسان ضائقة وقدر في نفسه أنه لا يمكن زوالها فهذا قنوط بلا شك, لكن إذا قدر في نفسه أنه لا تمكن إزالتها من المخلوق فهذا حق, يعني بعض الأمراض مثلا حسب المعروف أنه لا يمكن للخلوق أن يزيلها, لكن قد تزول بإذن الله عز وجل, يذكر لنا أن بعض القراء الذين وهبهم الله تعالى إيمانا وتقوى يقرأ على المصاب بالسرطان فيبرئ بإذن الله, والسرطان حسب الطب الحسي يرونه من الأمراض الميئوس منها, إذن اليأس من أن هذه الضائقة لا تزول على يد المخلوق حق ولا مانع فيها, أما من عند الخالق فلا يجوز, لأن الله على كل شيء قدير, والذي خلقك من ماء مهين قادر على أن يشفيك من

هذا المرض مثلا, والذي أخرجك من بطن أمك ليس عليك ثياب حتى هيأ الله لك الثياب قادر على أن يكسوك بالغنى بعد الفقر, فلا تيأس من رحمة الله أبدا, انتظر الفرج ولكن اصبر, لا تتعجل الأمور فالله تعالى جعل لكل شيء سنة وطريقة تأتي بها في النهاية.
انتهى الكلام على ما سبق الآن.
الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **(( وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ))** [الشورى:28] ما المراد بالغيث ؟ ... وهو هنا ؟ وهو المطر.
الشيخ: هل هناك فرق بين الغيث والمطر ؟
الطالب: نعم.
الشيخ: ما هو ؟ الغيث تزول به الشدة.
الطالب: والمطر قد ينزل ولا تزول به الشدة.
الشيخ: هل هناك دليل على هذا ؟ قول النبي صلى الله عليه وسلم : **( ليس السنة ألا تمطروا ولكن السنة أن تمطروا فلا تنبت الأرض شيئا )**
الشيخ: قوله : **(( من بعد ما قنطوا ))** هل في هذا تقرير للقنوط وأنه جائز أو بيان للواقع ؟
الطالب: بيان للواقع.
الشيخ: بيان للواقع, لأن القنوط حكمه شرعا ؟
الطالب: لا يجوز.
الشيخ: لا يجوز, بل هو من كبائر الذنوب طيب.
الشيخ: الإخبار عن الواقع لا يعني إقراره ودليل هذا ؟ **(( ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر**

**والحرير والخمر والمعـازف )** وقـوله : **( لـتركبن سنن من كان قبلكم اليهود والنصارى )** وإخبـاره بأن الظعينة تخرج من كذا إلـى كـذا لا تخشـى إلا اللـه, هذا الإخبار عن الواقع لا يقتضي حله وإقراره.

الشيخ: ولايـة اللـه تبـارك وتعـالى تنقسـم ؟ إلـى عامـة وخاصة, والخاصة تختص بمن ؟ بالمؤمنين, ما الـدليل ؟ قوله تعالى : **(( الله ولي الذين آمنوا يخرجهم ... ))**. الولايـة العامـة ؟ قـوله: **(( ثـم ردوا إلـى اللـه مولاهم الحق ))** وهي عامة لجميع الناس.

الشـيخ: الحميـد فعيـل بمعنـى ؟ بمعنـى المحمـود, هـل هناك في اللغة العربيـة صـيغة فعيـل بمعنـى مفعـول ؟ قتيل بمعنى مقتـول, طيـب. يعنـي أن اللـه يحمـد علـى ولايته, حميد يعني على ولايته, فكل مـا أجـراه اللـه عـز وجل في ملكه فإنه محمود عليه.

الشيخ: ماذا كان يقول النبي صلى اللـه عليـه وسـلم إذا أصابه ما يسوئه ؟ يقول: **( الحمد لله على كل حال )**؛ وإذا أصـابه مـا يسـره قـال ؟ **( الحمـد للـه الـذي بنعمتـه تتـم الصـالحات ),** وأمـا مـا يقـوله بعـض الجهال: الحمد لله الـذي لا يحمـد علـى مكـروه سـواه, فهذه عبارة بدعية لا تجوز, لأنها تنبأ عن كراهة الإنسـان لما يفعله الله عز وجل, ثـم هنـاك تنـاقض بيـن مكـروه ومحمود, ثم إن كل ما يجريه الله عـز وجـل فـإن علـى الإنسان أن يرضى به, لأن من الإيمان الإيمـان بالقضـاء خيره وشره, فالمهم أن هذه عبارة محدثـة ينهـى عنهـا, ويقال لمن يقولها: قل ما قاله الرسول صلى الله عليـه وسلم وهو الحمد لله على كل حال.

ثم قال الله عز وجل:

القارئ: **(( وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ))**[الشورى:29].

الشيخ : قال الله عز وجل : **(( ومن آياته خلق السماوات والأرض ))** من للتبعيض, وآيات جمع آية وهي العلامة المعينة لما كانت له, العلامة التي تعين الشيء وتحدده يقال لها: آية, من آيات الله أي من علاماته الدالة على كمال قدرته عز وجل وكمال سلطانه خلق السماوات والأرض فإنه لا يمكن لأي أحد أن يخلق مثلهن, وسبق الكلام عن السماوات والأرض ولما جمعت الأولى والثانية أفردت وما أشبه.

**وخلق (( ما بث )) فرق ونشر (( فيهما )) " "** أي في السماوات والأرض **" (( من دابة )) وهي ما يدب على الأرض ",** قوله: (( ما بث )) يعني: خلق **(( ما بث ))** وبث بمعنى فرق ونشر **(( فيهما ))** أي في السماوات والأرض (( من دابة )) أي مما يدب على الأرض من الإنسان وغيره, فهو من آيات الله, من آيات الله في هذه المخلوقات أن الله سبحانه وتعالى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى, تجد حيوانات وهي بُهم لا عقول لها تجدها تكسب رزقها وتذهب تطلبه, وتخزن ما تخزن منه إن كان مما يخزن من الأقوات, وتجدها تحن لأولادها وترحم أولادها وتجوع لشبعهم, إلى غير ذلك مما إذا تأملته عجبت من هذه المخلوقات البهم, الطيور أعطاها الله عز وجل قوة نظر بعيد بدليل أنها ترى الحب وهي في جو السماء,

والآدمي لا يرى هذا بلا شك, لكـن لمـا كـانت الطيـور لا تمشي على الأرض يسر الله لها بصرا نافـذا قويـا حـتى ترى الحب وهي في جو السماء فتنزل وتأخـذه وتطيـر, إلى غير ذلك من الآيـات العجيبـة, انظـر مثلا إلـى الـذر الصغير كيف يهتدي إلى جحره وهو يأتي إليه مـن بعيـد, ثم إنه يمشي على خط واحـد شـاهدناه بأعيننـا, يمشـي على خط واحد على البساط الذي ليـس بـه أثـر تـراب, فتجده يصل إلى النهاية وإذا به ينحرف على زاوية, كيف اهتدى إلى هذا ؟ إلا بهداية الله عز وجل, وقـد قيـل إنـه كلما مشى فإنه يخرج منه شيء أي مـادة يشـمها الـذر الآخر فيمشي تبعه, هذا من آيـات اللـه عـز وجـل, تجـد النمل وهو أكبر من الذر يحرص على أن يأتي بزاده من بعيـد ثـم يخزنـه فـي جحـره, وإذا أراد أن يخزنـه أكـل رؤوس الحـب مـن أجـل ألا ينبـت, لأنـه لـو بقـي الحـب برؤوسه نبـت وفسـد عليـه, فتجـده يـدقم أعلـى الحبـة وأسفلها حتى لا تنبت, ثم إذا جاء المطر وابتلـت الأرض ووصل البلل إلى جحره تجده ينقل هـذا الحـب ليخرجـه إلى الشمس والهواء حتى ييبس, من الذي علمه ؟ اللـه عـز وجـل لا شـك, فهـو مـن آيـات اللـه, ومـا أحسـن الاستعانة علـى هـذا بقـراءة كتـاب مفتـاح دار السـعادة لابن القيم رحمه الله, مفتاح دار السعادة هذا ذكـر فيـه عجائب, حتى ذكر فيه قصـة أن رجلا وضـع طعمـا لـذرة من الذرات إما لحمة أو غيرها, حاولت الذرة أن تحملـه عجزت فرجعت إلى جحرها واستغاثت بأخواتها, فـأقبلن إليه يزفون, لمـا أقبلـن عليـه نزعـه ورفعـه مـن الأرض فجعلت الذرة تطلبه ما وجدت شيئا, فانصـرفت وبقيـت

الأولى التي كانت قد دلت عليه, فوضع الطعم فلما تيقنته ذهبت إلى قومها فدعتهم, فما أقبلن نزعه فطلبنه فلم يكن رجعن, ثم وضع الطعم للمرة الثالثة فتأكدته هذه الذرة ثم رجعت إلى قومها تستفرعهم فلما أقبلن نزعه, فلما طلبنه ولم يجدنه أكلن هذه الذرة نهائيا, قطعن أوصالا, يقول فحكيت ذلك لشيخ الإسلام ابن تيمية متعجبا منه, قال: نعم كل شيء مفطور على عقوبة الظالم الكاذب؛ وهذه كذبت عليهن وظلمتهن فلم يبقى إلا أن تعدم, لأن الساعي في الأرض فسادا يجب إعدامه حتى الآدمي, ولكن هل عليه دية هذه المقتولة, الرجل ؟ نعم, هو ظالم لها نسأل الله أن يعفوا عنه؛ على كل حال قصدي بذلك أن كل شيء هداه الله عز وجل لما خلقه له, حتى الذر شاهدته أنا في حوض نخلة لما سقيت النخلة الماء دخل الماء من تحت الأرض إلى جحر الذر, فجعلت الذر تحمل بيضها الأبيض وبسرعة حتى أخرجته عن الماء, من الذي هداها لهذا ؟ الله عز وجل وآيات الله كثيرة, ولهذا قال عز وجل : **(( وما بث فيهما من دابة ))** وفي الآية الأخرى: **(( وما يبث من دابة ))** فأتى بالماضي وأتى بالمضارع الدال على الاستمرار.

قوله: **" (( من دابة )) وهو ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم (( وهو على جمعهم )) للحشر (( إذا يشاء )) جمعهم (( قدير )) "**

**(( وهو على جمعهم ))** أي جمع هذه المخلوقات **(( إذا يشاء ))** أي إذا يشاء جمعهم, فالمفعول به محذوف دل عليه السياق **(( قدير ))** أي لا يعجزه

شـيء, يقـول المفسـر رحمـه اللـه: " **فـي الضـمير تغليب العاقل** " الضمير: يعنـي فـي جمعهـم, تغليـب العاقـل لأن الميـم الدالـة علـى الجمـع لا تكـون إلا فـي العقلاء, وأما غير العقلاء فيؤتى بنون النسـوة, لكـن هنـا أتى بضمير الجمع مع أن ما في الأرض مـن دابـة أكـثره غير عقلاء, لكن يقول المؤلـف رحمـه اللـه : " **تغليـب للعاقل** " .

في هذه الآية الكريمة بيان أن خالق السماوات والأرض هـو اللـه لقـوله : (( **ومـن آيـاته خلـق السـماوات والأرض** )) ولم يشاركه أحد في ذلك .

ومن فوائدها : أن هذه المخلوقـات مـن آيـات اللـه عـز وجل, ولكن يـا إخواننـا لا يتـبين أنهـا مـن آيـات اللـه إلا بالتأمـل والتـدبر, لأننـا اعتـدنا هـذه المخلوقـات اعتـدنا طلوع الشمس وغروبها وطلوع القمر وغروبه, فلم يكن ذلك محركا لقلوبنا لأنه شيء معتاد, لكن لـو أننـا تـدبرنا هذه المخلوقات لتبين لنا أنها من آيات الله العظيمة .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن من آيات الله عز وجـل مـا يبث في هذه السماوات والأرض من دابة مـن الآدميـين وغير الآدميين, فإن في كـل شـيء منهـا آيـة تـدل علـى كال وحدانيته عز وجل ورحمته وحكمته.

ومن الفوائـد: أن ظـاهر الآيـة أن فـي السـماوات دوابـا لقوله: (( **وما بـث فيهمـا مـن دابـة** )) أمـا الأرض فالـدواب فيهـا معلومـة لنـا, أكثرهـا معلـوم لنـا نعرفـه ونشاهده, أما السماوات ففيهـا دواب لكـن لا نـدري مـا هي, إن قلت الملائكة صار فـي ذلـك إشـكال, إن قلـت غير الملائكة قلنـا: إن اللـه علـى كـل شـيء قـدير, لأن

الملائكة بين الله تبارك وتعالى أنهم أولوا أجنحة فقال: **(( جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ))** وذو الجناح يطير, وربما يكون يمشي أيضا, على كل حال نحن لسنا مكلفين إلا بما نفهمه من ظاهر الآية ولا نتجاوز ذلك, فنقول ظاهر الآية الكريمة أن السماوات فيها دواب كالأرض, وإذا سألنا سائل: ما هذه الدواب ؟ قلنا: إما الملائكة أو غيرها الله أعلم. طيب.

وقال بعض العلماء: **(( وما بث فيهما من دابة ))** أي في الأرض كما في قوله تعالى : **(( مرج البحرين يلتقيان ))** إلى قوله : **(( يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ))** وزعموا أن ذلك لا يكون إلا في المالح, والصواب أن الآية على ظاهرها في آية الرحمن: **(( يخرج منهما ))** وأن البحرين المالح والعذب كلاهما يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإن كان في أحدهما أكثر .

ومن فوائد الآية الكريمة : تمام قدرة الله عز وجل في جمع هذه الدواب ليوم الحساب لقوله **: (( وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ))** .

ومن فوائد الآية الكريمة : الرد على أولائك المنكرين للبعث الذين قالوا : **(( ايتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ))** المنكرون للبعث يقولون: إن كنتم صادقين هاتوا آباءنا, فيقال: إن الله تعالى لم يشأ ذلك وسيشاؤه فيما بعد, وأنتم لم يقل لكم إنكم مجموعون اليوم بل قيل : **(( إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ))** وأما

تحديهم بما لم يلتزمه المتكلم فهذا ضائع سدا.
ومن فوائد الآية الكريمة تمام قدرة اللـه تبـارك وتعـالى في جمع هذه المخلوقات, فإن قيل : هـل فـي الآيـة مـا يـدل علـى تقييـد القـدرة بالمشـيئة ؟ فـالجواب: لا, لأن المقيد بالمشيئة ليس القدرة ولكن الجمع, وبهذا نعـرف أن بعض الناس الذين يقولون: إنه على مـا يشـاء قـدير قد أخطئوا خطئا عظيما وقيدوا ما أطلقه الله, فإن اللـه قال : **(( إن الله على كل شيء قدير ))** علـى مـا يشاءه وما لا يشاءه, وهؤلاء يقولون : إنه على ما يشـاء قدير, فقدموا المعمول وتقديم المعمـول يفيـد الحصـر, إذا هو قدير على الذي يشاء وأما الذي لا يشـاءه فليـس قدير عليه, وهذا غلط عظيم, الله قادر على كـل شـيء الذي يشاءه والذي ما يشاؤه, إذن هل ننهى من نسمعه يقولها ؟ نعم, ننهاه عن ذلك ونقول : يا أخي قل ما قاله الله عز وجل : **(( إنه علـى كـل شـيء قـدير ))** لا تقل : على ما يشاء قدير, نسأل اللـه تعـالى أن يجمعنـا وإياكم في رحمته, وأن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى.

ثم قال الله تعالى بدأ الدرس الجديد:
القارئ : **(( وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ))** [الشورى:30]
الشيخ : ثم قال الله تعالى : **(( وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ))** قوله : **(( وما أصابكم ))** هذه شرطية أعني ما, جوابها **(( فبما كسبت أيديكم ))** وقوله : **(( بما كسبت أيديكم ))** خبر مبتدأ محذوف والتقدير: فهو بما كسبت أيديكم, يقول المفسر: " **(( وما أصابكم )) خطاب للمؤمنين (( من مصيبة ))** " بيان لما, قال: " **بلية وشدة (( فبما كسبت أيديكم )) أي كسبتم من الذنوب, لكنه عبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها (( ويعفوا عن كثير )) منها فلا يجازي عليه, وهو تعالى أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة, أما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة** ", طيب يقول الله عز وجل : **(( وما أصابكم من مصيبة ))** خص المفسر هذا بالمؤمنين ووجه التخصيص أنه قال : **(( ويعفوا عن كثير ))** والكفار ليسوا أهلا للعفو, وقول : **(( من مصيبة ))** قال: بلية وشدة, ويشمل المصائب الدينية والمصائب الدنيوية, وأيهما أعظم ؟ المصائب الدينية فإنها أعظم من المصائب الدنيوية, فإذا قدر أن أحدا أصيب بانتكاسة والعياذ بالله فهو أشد من أن يهلك أهله وماله, فإن المصائب الدينية أعظم بكثير من المصائب الدنيوية إذ أن المصائب الدنيوية تزول وتنسى, كما قال بعضهم:

إما أن تصبر صبر الكرام وإما أن تسلوا سلوا البهائم؛ لابد أن تزول, المصائب الدينية والعياذ بالله خسارة في الدنيا والآخرة, فإن قال قائل : ما هو الدليل على أن الإعراض من المصائب ؟ فالدليل قول الله تبارك وتعالى : **(( فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ))** فتأمل أن الذنوب صارت سببا لإعراضهم, والإعراض مصيبة عظيمة, المهم أن قوله: **(( من مصيبة ))** يشمل مصائب الدنيا كتلف المال, وموت الأحبة, والخوف والفقر وما أشبه ذلك, مصائب الدين كالمعاصي والبدع, وكراهة الحق, وكراهة أهل الحق وما أشبه هذا, كله **(( فبما كسبت أيديكم ))** والمراد: بما كسبتم, لأن قد يكون الكسب باليد ويكون الكسب بالرجل ويكون الكسب بالعين, ويكون الكسب بالشم, ويكون الكسب باللسان, لكن عبر بالأيدي عن الكل لأن أكثر ما تزاول الأعمال باليد, الآن في جلوسنا هذا الرجل لا تعمل, اليد تعمل بلا شك, تأخذ الكتاب ترفعه تنزله تكتب, فهي أكثر الأعمال تزاول باليد, فعبر باليد عن النفس لهذا السبب **(( فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير ))** يعني يعفوا عن كثير مما أذنبتم فلا يؤاخذ به.

في هذه الآية فوائد منها إثبات الأسباب لقوله: **(( وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ))** وجه ذلك أن الباء هنا للسببية ففيه إثبات الأسباب.

وإثبات الأسباب ثابت شرعا وعقلا وحسا, وإنكاره ضلال في الدين وسفه في العقل, أقول تأثير الأسباب ثابت بالشرع والعقل والحس, أما ثبوت الأسباب بالشرع

فكما قرأنا الآية, والأدلة على هذا لا تحصى لا في القرآن ولا في السنة. وأما ثبوته بالعقل فلأننا نعلم أن كل شيء حادث لابد أن يكون له سبب يحدثه إما معلوم لنا وإما مجهول, لابد من هذا, فالطفل لا يمكن أن يخرج ينبت على ظهر بطن الأم, لابد أن يكون له سبب لوجوده وبقائه, وكذلك كل الحوادث لابد لها من سبب إما معلوم وإما مجهول, أما الحس فظاهر أن للأسباب تأثيرا لو أنك رميت زجاجة بحجر تكسرت, ما الذي كسرها ؟ ... إذن لها سبب, لو أوقدت على الماء البارد صار حارا, السبب ؟ أوقدت عليه, هذا شيء معروف حسا, يرى بعض العلماء من سفاهتهم أن الأسباب ليس لها تأثير إطلاقا, سبحان الله قال : ما لها تأثير ؟ قال: نعم, أليس إذا رميت الزجاج بالجحر انكسر الزجاجة ؟ قالوا: نعم, لكن حصل الانكسار عند وجود الرمي لا بوجود الرمي, يقولون: لما لمس الحجر المقذوف الزجاجة انكسر, هل هذا صحيح ؟ ... ما هو صحيح, بدليل لو جبت أكبر حجر كبر الزجاجة ثلاثة مرات ووضعته على الزجاجة وضعا ما انكسرت؛ احتراق ما يقبل الاحتراق في النار لسبب أو لغير سبب ؟ لسبب, ضع ورقة في النار تحترق, هذا أمر معقول مدرك بالحس, يقولون: لا أبدا لو أنك أثبت تأثير الأسباب في مسبباتها لكنت مشركا بالله العظيم؛ أعوذ بالله, لأنك جعلت مع الله خالقا فأقول: لم أجعل مع الله خالقا لكني أقول إن السبب يؤثر لا بنفسه ولكن ما أودعه الله من قوة, والدليل على هذا أن نار إبراهيم وهي نار عظيمة محرقة جمعوا حطبا عظيما وأوقدوا عليه حتى

إنهـم رمـوا إبراهيـم بـالمنجنيق لأنهـم لا يسـتطيعون أن يحوموا حول هذه النار من حرارتهـا, مـاذا كـانت ؟ قـال اللــه تعــالى لهــا : **(( كــوني بــردا وســلاما علــى إبراهيم ))** فكانت بـردا وسـلاما عليـه, فلـم تـأثر, إذن نحن نقول: إنها سـبب لمـا جعلـه اللـه فيهـا مـن القـوة وليست مؤثرة بنفسها؛ هناك طـرف آخـر تطـرف قـال: الأسباب مؤثرة بنفسها, وهـذا هـو الـذي نقـول: إن فـي قوله نوعا من الشرك وليست الأسباب مـؤثرة بنفسـها, الدليل هو نار إبراهيم, فعلى كل حـال نحـن نـؤمن بـأن للأسباب تأثيرا بما أودعه الله فيها من القـوى المـؤثرة, وأن هــذه القــوى قــد لا تــأثر إذا أراد اللــه عــز وجــل: **(( فبما كسبت أيديكم ))** قلنا : من فوائدها : إثبـات الأسباب لقوله : **(( فبما كسبت أيديكم ))** .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن الإنسان يجازى علــى كسـبه بمثـل كسـبه, لأنـه إذا كـان بمـا كسـب فلابـد أن يكون على قدر ما كسب, فإن كان أزيد كان ظلما والله سبحانه وتعالى لا يظلم أحدا .

ومن فوائد الآية : جواز التعبير بالبعض عن الكل لقوله : **(( فبما كسبت أيديكم ))** مع أنـه يشـمل مـا كسـبه الإنسان برجله, كمشيه إلى بيوت الدعارة والخمـر ومـا أشبه ذلك, فإنه يؤاخذ عليـه, فـإذا قـال قائـل: هـل كـل بعض يجوز أن يعبر به عن الكل ؟ فـالجواب: لا, ولكـن بشرط أن يكون لهذا البعض تأثير علـى الكـل, فكسـب اليد له تأثير بلا شك لأن أكثر الأعمـال بهـا, أعتـق رقبـة المراد أن أضرب بصفحة رقبة العتيق وأقول أنـت أيتهـا الرقبة عتيقة صح ؟ خطأ, لكن عـبر بالرقبـة عـن الكـل

لأن الإنسان لا يمكن أن يعيش بدون رقبة, ولأن الرقبة محل القتل التي إذا فصلت عن البدن هلك الإنسان, الخلاصة جواز التعبير بالبعض عن الكل بشرط أن يكون له أثر فيما عبر عنه به .

من فوائد هذه الآية الكريمة : أن الله يعفوا عن كثير من الذنوب فلا يؤاخذ بها لقوله : **(( ويعفوا عن كثير ))** لكن هل هذا العفو مضمون ؟ لا, غير مضمون, والدليل قوله تعالى : **(( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ))** فلا يأخذك الأمن من مكر الله أن تقول : إن هذا الذنب مما يعفوا الله عنه وتفعل الذنب, هذا غرور واغترار, لأن قوله: **(( ويعفوا عن كثير ))** مقيد بقوله: (( **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ))**.

قال المفسر: **" وهو تعالى أكرم من أن يثني أجزاء في الآخرة "** مراده رحمه الله أن المصائب التي تصيبنا بذنوبنا لا نعاقب على ذنوبنا في الآخرة تكفي المصائب, هذا ظاهر الآية لأن قوله: **(( فبما كسبت أيديكم ))** يدل على أن هذه المصيبة هي الجزاء وإذا كانت هي الجزاء فلن يثني الله الجزاء في الآخرة لأنه أكرم من أن يثني الجزاء, وهذا صحيح أن ما أصيب به الإنسان في الدنيا فهو كفارة عن ذنوبه, إذا أقيم عليه الحد في معصية فيها حد فهو كفارة, إذا عزر على ذنب ليس فيه حد فهو كفارة, إذا أصابته مصيبة عن هذه الذنوب فهي كفارة, فلا يعيد الله عليه العقوبة في الآخرة إلا ذنبا واحدا وهو السعي في الأرض فسادا قال الله تعالى : **(( إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ**

**وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ))** [المائدة:33] فهذا مستثنى, وذلك لفداحة هذا النوع من الذنوب, فإن الفساد في الأرض ليس بالأمر السهل, فجعل الله هؤلاء المحاربين المفسدين في الأرض لهم عقوبتين: العقوبة بقطع الأعضاء, والثانية: **(( ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا )).**

قال المفسر: **" أما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة "** هذا الكلام يوحي بأن هناك أناس كثيرين غير مذنبين, نعم وهذا عند التأمل فيه نظر لأنه ما من إنسان إلا ويصاب بذنب, حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **( لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون )** وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه : **( اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله علانيته وسره وأوله وآخره )** وقال الله لنبيه يخاطبه : **(( إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ))** فهل يمكن أن يجرأ أحد فيقول إن الرسول لم يذنب والله عز وجل يقول: **(( ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر )) ؟** لا يمكن, لأنه لا يمكن أن تقول : لا ذنب له حتى يمن الله عليه بمغفرته له, نعم

الرسل معصومون من شيء ليس لغيرهم وهو الاستمرار في الذنب, هذا لا يمكن لابد أن يعفوا الله عنهم إما باستغفارهم وتوبتهم إلى الله وإما بمنة الله عليهم, قال الله عز وجل لنبيه : **(( يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ))** وقال له : **(( عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ))** هذا هو النبي عليه الصلاة والسلام يقول الله له: لما استعجلت فأذنت لهم, وهذه آية عظيمة ترتب سير الإنسان ألا يتعجل في الأمور, إذا كان الله عاتب نبيه لأنه أذن لهم قبل أن يتبين له الأمر فما بالكم بغيره, وقال الله تبارك وتعالى : **(( وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ))** [الأحزاب:37] نعم الرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون من كبائر الذنوب, معصومون من الشرك, معصومون من سفاسف الأخلاق, أما المعاصي التي دون ذلك فإنهم غير معصومين منها ولكنهم معصومين من الاستمرار فيها, وهذا شيء ليس بغيبي, نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من أتباعهم إنه على كل شيء قدير.

إذن قول المؤلف: **" أما غير المذنبين "** غير مسلم لأنه ما من أحد إلا ويذنب كما سمعتم الأحاديث في هذا, وعليه فهذا الكلام من المؤلف غير وارد, نعم

للناس من تكون له ذنوب وأعمال صالحة تكفر الـذنوب دون أن يصاب بمصيبة, هذا واقع كثيرا, حكا رجل للنـبي صلى الله عليه وسلم أنـه رأى امـرأة وأصـاب منهـا مـا يصيب الرجل من امرأته غيـر أنـه لـم يـزن بهـا فقـال : **( أشهدت معها صلاة الفجر ) )قـال: نعـم قـال لـه: ( إن الحسـنات يـذهبن السـيئات )** فصـلاته الفجر أذهبت السـيئات, وكـذلك قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: **( الصلوات الخمـس والجمعـة إلـى الجمعـة ورمضـان إلـى رمضـان مكفـرات لمـا بينهن ما اجتنبت الكبائر )**.

قبـل أن نـدخل فـي الـدرس الثـاني أريـد أن أنبهكـم يـا إخواني, أنتم طلبة علم جئتم من بلادكم إلى هنا لطلـب العلم, وأنتم في بلادكم تطلبـون العلـم, أليـس كـذلك ؟ ولكن ما فائدة العلم ؟ أفائدة العلـم أن يكـون الإنسـان نسخة من كتاب يحفظ ويجمع في دمـاغه مـا يجمـع, أم فائدة العلم العمـل ؟ الثـاني, لا خيـر فـي علـم لا عمـل فيه, والعلم بدون عمـل بـه حجـة علـى الإنسـان لقـول النبي صلى الله عليه وسلم : **( القرآن حجـة لـك أو عليك )** ما فيه قسم ثـالث, وإذا عمـل الإنسـان بعلمـه ورثه الله تعالى علم ما لم يكن يعلمه من قبل, كما قال الله تعالى : **(( والذين اهتـدوا زادهـم هـدى ))** أي علما **(( وآتاهم تقواهم ))** أي صاروا متقين للـه عـز وجل, العمل بالعلم مهم, والمقصود من العلم أن يتربى الإنسان به حتى يكون عالما ربانيا, أنا أنقم من بعضـكم أنهـم يـدعون شـيئا مهمـا وسـهلا وهـو إفشـاء السـلام, نشـاهد الآن الواحـد منكـم يمـر بزميلـه وهـو واقـف ولا

يقول: السلام عليكم, لماذا ؟ أرغبة عن السنة أم زهـدا فـي الأجـر ؟ أنـا مـا أدري, أم إيجـاد سـبب للكراهـة والعداوة ؟ لأن الإنسان إذا مـر بـك ولـم يسـلم لابـد أن يكون في قلبك شـيء, إلا مـن تحجـر قلبـه وأتـى بعـدم السلام فهذا ميت, ثم إن النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم أقسم قال : **( والله لا تدخلوا الجنة حـتى تؤمنـوا ولا تؤمنـوا حـتى تحـابوا أفلا أدلكـم أو قـال: أخـبركم بشـيء إذا فعلتمـوه تحـاببتم أفشـوا السلام بينكم )** لماذا لا نفشيه بيننا ؟ مع أن المسـلم إذا سلم يأتيه عشر حسنات, وأظن لـو أن أحـدكم قيـل له كلما سلمت أعطيناك درهم ريال واحد, يسـلم أو مـا يسلم ؟ يسلم, ويتردد مرة ومرة حتى تكثر الدراهم مـع أن هذه الدراهم التي يحصلها زائلة في الواقـع, كـل مـا تملكه من الدنيا فإما أن يزول عنك وإمـا أن تـزول عنـه ولا بد, لكن الحسـنة تبقـى لـك وتجـدها أشـد مـا تكـون حاجة إليها, أوصيكم بالعمل بالعلم, فإن لم تعملوا فأنتم نسـخ كـالكتب فـي الجـدران, ومـع ذلـك الكتـب فـي الجدران سالمة, أما أنتـم إذا لـم تعلمـوا غيـر سـالمين, والله غير سالمين, اعملوا تربوا بالعلم فـي عبـادة اللـه وفي معاملة عباد الله وفـي معـاملاتكم أنفسـكم أيضـا, هذه نصيحة أرجو ألا تغيب عن بالكم, فإنها إن شاء اللـه مفيدة, والله الموفق .

الطالب: فيه إشكال وهو أن بعض الإخوان يكون جالسا في مكان يقرأ أو يكتب, ثم يريد الإنسان حاجة من آخـر يمر عليه ويرجع, فيخشى أنه كلمـا مـر عليـه ورجـع أن يقاطعه ؟

الشيخ : أولا إذا رأيت إنسـانا مشـغولا وتخشـى أنـك إن سلمت عليه شوشت عليه لا تسلم, لماذا ؟ لأن هذا من مصلحته, ولهذا قال الفقهاء: يكره السلام علـى إنسـان مشتغل بذكر أو أكل أو غيرهما, لا حرج, لكن ما أريد أنا هذه الحالة لأنه ربما يكون الـذي لـم يسـلم عليـه أفـرح منه ممن لو سلم عليه, لكـن يتلاقـون ماشـين أو واحـد يلبس حذائه ومر الإنسان من عنده وتجاوزه مـا يسـلم, لماذا لم يسلم ؟ مـا الـذي يضـره ؟ واللـه الواحـد يكـاد يتقطع أنه يـرى طلبـة علـم يمـر بعضـهم مـن بعـض ولا يسلم.

الطالب : ... بعضهم يـا شـيخ تسـلم عليـه يطـالع فيـك, ينظر إليك ؟

الشيخ : نظر غضب ؟

الطالب : مـا أدري كيـف مـن أول رأسـك إلـى أخمـص قدميك ؟

الشـيخ : طيـب هـذا صـحيح يقـول : بعـض النـاس إذا سلمت جعل ينظر إليـك, السـبب أن هـذه السـنة ميتـة عنده ما يعرف.

الطالب: من الذين يرتدون المسجد من الطلبة ؟

الشيخ : لا هذا غلط, أما العوم فنعـم, بعـض العـوام لـو سلمت عليه يقف, قال : واش العلم, لأنهـم مـا اعتـادوا هذا, أما طالب العلم ما له حق .

الطالب : ...

الشيخ : إذا كانوا جالسين هكـذا صـفا سـلم عنـد أولهـم ويكفي .

الطالب: الطلبة شيخ أحسن اللـه إليـك حريصـين علـى

السلام, وبعضهم قد ينسى أحيانا, لكن السلام أحيانا يرد لكن ما تفهم هذا الرجل سلم أو تنحنح, لأنه عادة إذا قال الواحد: السلام عليكم يأتي الرد مثله ... ؟

الشيخ : لا, لا بد من البيان, على كل حال الاشتباه بين السلام والتنحنح غير وارد, نعم هو ربما يهمس بها همسا وهذا غلط, سلم سلاما واضحا, كما أن بعض الناس بالسيارات الآن إذا لقوك يضرب بوري, يعني لو معي بوري ضربت بوري حتى أرد عليه, هذا غلط أيضا, لكن ربما يقول بعض الناس: أنه يضرب بوري حتى أنتبه ويسلم .

الطالب : لو بلي إنسان ببدعة فكيف تكفر ذنوبه ... ؟

الشيخ : البدعة ما تكفر الذنوب تزيد في الذنوب, هذه مصيبة لكنها مصيبة تحتاج إلى توبة, يعني المصائب الدينية مصيبة لا شك أن الإنسان إذا أصابه الفتور في الطاعة أو مثلا الإعراض عن الطاعة لا شك أنها مصيبة, لكنها لا يقر عليها يجب أن يهرب منها كما يهرب من المصائب الحسية .

الطالب : إذا كان الإنسان يقرأ كتب العلماء ثم يرد عليه النسيان لكثير من الأقوال, وهل يفرق بين نسيان القرآن ونسيان غيره ؟ وهل هذا من الذنوب ؟

الشيخ : النسيان ما يخلوا منه الإنسان حتى النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ذات يوم ونسي آية من كتاب الله, ما أحد يسلم منه, لكن القرآن تجب العناية به أكثر لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتعهده, والقرآن أكثر الأشياء نسيانا, يعني تحفظ مثلا متنا من متون الفقه لا يحتاج إلى تعهد كثير, القرآن لابد أن تتعهده كثيرا وإلا

نسيته, قال النبي صلى الله عليه وسلم : **( تعهدوا القرآن والذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا أو تفلتا من الإبل في عقولها )** والحكمة من ذلك من كون القرآن ينسى أكثر من غيره:

أولا: الابتلاء ليعلم الله تبارك وتعالى من هو راغب في حفظ القرآن أو غير راغب.

ثانيا: كثرة الأجر والثواب بترداده فإن في كل حرف عشر حسنات.

ثالثا: أن يبقى ذكر الله تعالى في قلبك, لأن القرآن كلام الله فإذا كنت تقرأ القرآن فكأنما تناجي الله عز وجل لأنك تقرأ كلامه سبحانه وتعالى, ولهذا جعل الله تعالى من الحكمة أن ينسى سريعا حتى تحرص عليه .

الطالب : حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم لما جاءه ملكين في المنام فمر على الذين يعذبون في قبورهم: ورجل آتاه القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار, فهل يدل هذا على وجوب قيام الليل على صاحب القرآن ؟

الشيخ : لا ما يجب, لكن لعل هذا له صفة خاصة هذا الرجل, أو يقال نام عنه في الليل يعني عن الواجب فيه كصلاة العشاء مثلا وصلاة الفجر لأن المنافقين لا يصلون الفجر ولا العشاء.

الطالب : بعض السنن هل تجب على طالب العلم ؟

الشيخ : لا, نعم بعض السنن صحيح تجب على طالب العلم إذا كان عمله إياها إحياء للسنة, فهنا يجب عليه فعلها لأن هذا من باب البلاغ.

ثم قال عز وجل :

القارئ: (( **وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ** )) [الشورى:31].

الشيخ: قال الله تعالى : (( **وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ** ))[الشورى:31] ما: نافية وهي تعمل عمل ليس على لغة الحجازيين, والقرآن الكريم نزل بلغتهم, وعلى هذا فيكون قوله : (( **أنتم** )) اسمها, و (( **بمعجزين** )) خبرها, لكنه اقترن بالباء الزائدة إعرابا الزائدة معنى, يعني أنها من حيث الإعراب زائدة لو حذفت لتم الكلام بدونها, ولكنها من حيث المعنى غير زائدة بل هي مفيدة, وفائدة حروف الزيادة هو التوكيد, كلما جاءك حرف زائد فهو لتأكيد العموم. يقول: (( **ما أنتم بمعجزين في الأرض** )) أي بمعجزين الله تبارك وتعالى إذا طلبكم فلن تعجزوه في الأرض.

وقول المفسر رحمه الله تعالى: " (( **بمعجزين** )) **الله هربا** " هذا كالمثال, وإلا فالمعنى أعم مما قال: أي بمعجزين الله هربا وبمعجزين الله اختفاء وبمعجزين الله اضطجاعا وما أشبه ذلك, الإنسان بالنسبة للإنسان ربما يعجزه إذا هرب منه ويكون أسبق منه, ربما يعجزه إذا اختفى عنه بجدار أو غار أو شجر أو ما أشبه ذلك, ربما يعجزه إذا اختفى عنه بالاضطجاع على الأرض وما أشبه ذلك, فهل هذا الإعجاز الذي يكون من الإنسان للإنسان هل يكون من الإنسان لله ؟ لا, لأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء, ولا يمتنع على قدرته شيء في الأرض ولا في السماء,

وهذا كالوعيد لهؤلاء. " **(( وما لكم من دون اللـه )) أي غيره (( من ولي ولا نصير )) " (( ما لكم ))** ما هذه نافية ولا نقول إنها حجازية لأن من شرط عملها عمل ليس الترتيب, أن يكون الاسـم هـو المقـدم, وهنـا الخـبر هـو المقـدم, وعليـه فتكـون نافيـة غيـر عاملـة, **(( وما لكم من دون اللـه مـن ولـي ))** مـن هـذه زائـدة لتوكيـد النفـي؛ **" (( مـن ولـي ولا نصـير )) يـدفع عـذابه عنكـم "** مـن ولـي يتـولاكم ويحسـن ولايتكم, ولا نصير يدفع عنكم, فليس هناك ولي يتـولاكم من دون الله ولا نصير يدفع عنكم عذاب اللـه, بـل أنتـم في قبضته تبارك وتعالى أينما كنتم.

في هذه الآية الكريمة من الفوائد :

أولا : تهديد المشركين بعذاب الله وأن الله إذا أراده لم يعجزه.

ومنها وجـوب خـوف اللـه تعـالى ورقـابته لأنـه سـبحانه وتعالى إذا أراد أن يعذب العاصي فلن يخفى عليه .

ومن فوائده : أيضـا أنـه ليـس أحـد يقـوم بتـولي هـؤلاء المكذبين وينصـرهم مـن دون اللـه, وعلـى رأس هـؤلاء الأصنام, فالأصنام لا تنفعهـم, بـل هـي إن كـانت عاقلـة تتبرأ منهم يوم القيامة, وإن لم تكن عاقلة فهي وإيـاهم حصب جهنم, كمـا قـال عـز وجـل فـي سـورة الأنبيـاء : **(( إنكم وما تعبدون من دون الله حصـب جهنـم أنتم لها واردون ))**

ثم قال عز وجل:

القارئ : **(( وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ * إِنْ يَشَـأْ يُسْـكِنِ الرِّيـحَ فَيَظْلَلْـنَ رَوَاكِـدَ عَلَـى**

**ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ * وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ))** [الشورى:32-35].

الشيخ : **(( ومن آياته الجوار ))** من: للتبعيض, وآياته: علاماته الدالة على رحمته وقدرته وحكمته, الجوار: مبتدأ مؤخر, ولكنها معربة بتقدير الضمة على الياء المحذوفة للتخفيف, وأصل الجوار الجواري بالياء جمع جارية, والجارية هي السفينة كما قال الله تعالى : **(( إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية ))** من آيات الله عز وجل هذه السفن في البحر على الماء كالأعلام أي كالجبال في العظم, هذه السفن العظيمة المحملة بالأموال والأناسي والحيوان من آيات الله, أن تكون في هذا البحر المتلاطم تمشي على الماء تمخر عباب الماء بما فيها من الأرزاق, لا شك أنها من آيات الله عز وجل.

هدد الله تبارك وتعالى راكبيها بما يلي:

**(( إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ))** هذا أدنى عقوبة لماذا ؟ لأن السفن سابقا إنما تمشي حسب الرياح, لأنها تشمي على شراع, شراع يوضع طويل فتصدم به الرياح فتسير, فإذا سكنت الرياح وقفت, ولهذا قال: **(( إن يشأ يسكن الريح فيظللن ))** أي الجواري **(( رواكد على ظهره ))** أي على ظهر البحر, وحينئذ تتعطل المصالح, وربما تأتي ريح عاصف تقصف بالسفينة فتغرقها, فالأحوال إذن ثلاثة: إما رياح طيبة تسير بها السفينة

على ما ينبغي, وإما رياح عاصفة تغرق السفينة, وإما سكون, ماذا يكون في السكون ؟ تقف رواكد على ظهر الماء, فهو سبحانه وتعالى يبين أن من آياته سير هذه السفن.

**(( إن يشأ يسكن الريح فيظللن )) يصرن (( رواكد )) ثوابت لا تجري (( على ظهره )) "** أي ظهر البحر **(( إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ))** من آياته ثم قال: **(( لآيات ))** لأن التبعيض بعض الشيء, فإذا كان الشيء ألفا فبعضه قد يكون مائتين أو ثلاثمائة, وإذا كان الشيء اثنين فالبعض واحد, السفن كثيرة.

السفن كثيرة لا تحصى ولهـذا قـال : (( **إن فـي ذلـك لآيـات ))** باعتبـار السـفن الكـثيرة الـتي تجـري علـى البحر, وربما نقول باعتبار السفينة الواحدة مما يشاهده ركابها في البحر من الآيات العظيمة الدالـة علـى كمـال قـدرة اللـه, ولهـذا يحـدثنا الـذين يـذهبون فـي البحـر لاصطياد السمك يحدثوننا عن عجائب مما يشاهدون من السمك بـاختلاف أنواعهـا واختلاف ذواتهـا كـبرا وصـغرا وشكلا مما هو من أعظم آيات الله.

**إن في ذلك لآيات لكل صبار شـكور ))** صـبار **))** صيغة مبالغة أي كثير الصبر, شـكور كـثير الشـكر, فمـا وجه الجمع بين الصبر والشكر ؟ وجهـه ظـاهر لأن هـذه السـفن إن جـرت علـى مـا ينبغـي فوظيفـة الإنسـان الشكر, وإن جـرت علـى مـالا ينبغـي فـوظيفته الصـبر, فالصابر والشاكر كلاهما سيرى من آيات الله عـز وجـل في هذه السفن ما يوقن أن الله سـبحانه وتعـالى علـى كل شيء قدير وأنه رحيم بالعباد وغير ذلك مما سيراه.

قال: **" هو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر فـي الرخاء "** وقـد يقـال : المـؤمن والكـافر, لكـن الكـافر يصبر ولا يشكر, المؤمن يصبر ويشكر, يصبر في موضع الصـبر ويشـكر فـي موضـع الشـكر, الكـافر يصـبر فـي موضع الصبر ويتحمل, ولكن لا يشكر في موضع الشكر وإنما يزداد بطرا وأشرا.

**أو يـوبقهن ))** عطـف علـى يسـكن أي **))** **" يغرقهن بعصف الريح بأهلهن "** هـذا قسـم ثـالث: **(( إن يشأ يسكن الريح وإن يشـأ يـوبقهن ))** أن يغرقهن **(( بما كسبوا ))** أي بسبب كسـبهم, فمـا هـو

الكسب الذي يؤدي إلى العقوبة ؟ المعاصي, إما بترك الواجبات وإما بفعل المحرمات: **(( أو يوبقهن بما كسبوا ويعفوا عن كثير** )) قوله : **(( ويعفوا عن كثير ))** ليست معطوفة على يسكن لأنه يفسد المعنى, إذ يكون المعنى إن يشأ يسكن أن يوبق أو يعفوا عن كثير, وهذا فاسد, ولكن المعنى: يوبقهن بما كسبوا, ويعفوا جملة استئنافية لكنها حذفت الواو للتخفيف, المعنى أن الله تعالى يعفوا عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها " **(( ويعفو عن كثير )) منها فلا يغرق أهله** ".

**ويعلم الذين يجادلون في آياتنا من لهم من )) محيص ))** قال المؤلف المفسر: " **بالرفع مستأنف والنصب معطوف على تعليل مقدر أي غرقه لينتقم منهم ويعلم** ".

أولا فيها قراءتان: ويعلم، ويعلم, على قراءة الرفع الواو استئنافية, التقدير: وهو يعلم الذين يجادلون, وعلى قراءة النصب وجهها المؤلف بأنها معطوفة على تعليل مقدر أي: يغرقهم لينتقم منهم ويعلم, قال : **(( أو يوبقهن بما كسبوا ويعفوا عن كثير ويعلم ))** تجد أن الكلام لا يتناسب إلا إذا قدر ما يناسبه, المقدر على كلام المؤلف أي: يغرقهم لينتقم منهم, أي: وليعلم (( الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص )) أي مهرب من العذاب, المعنى واضح, طيب: **(( ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ))** الذين فاعل **(( يجادلون في آياتنا ))** المجادلة هي المناظرة والمخاصمة مأخوذة من الجدل وهو الفتل, يقال: جدل

الحبل أي فتله, وسـمي المنـاظر مجـادلا لأن كـل واحـد من المتناظرين يفتل حجته لتقوى على حجة الآخر, هـذا أصـل المجادلـة, وهـي المنازعـة والمخاصـمة؛ **(( في آياتنا ))** ليثبتوا الباطـل ويبطلـوا الحـق, تأمـل مجادلـة المشـركين للأنبيـاء مـا قصـدهم ؟ إبطـال الحـق الـذي جـاءت بـه الرسـل وإثبـات الباطـل الـذي هـم عليـه؛ **(( يجادلون في آياتنا ما لهم مـن محيـص ))** مـا لهـم: مـا نافيـة, ولا يصـح أن تكـون هنـا حجازيـة لعـدم الترتيب حيث قدم الخـبر, إذا مـا نفيهـا مجـرد لا تعمـل, ومحيـص: مبتـدأ مـؤخر دخلـت عليـه مـن الزائـدة, والمحيـص المهـرب؛ قـال : " **(( مـا لهـم مـن محيـص )) مهـرب مـن العـذاب, وجملـة النفـي سدت مسد مفعولي يهرب والنفـي معلـق عـن العمل** " هـذا جـواب سـؤال مقـدر وهـو أيـن مفعـولا يعلم ؟ لأن يعلم من أفعال القلوب التي تنصـب المبتـدأ والخبر, يعني أنها من أخوات ظن تنصب مفعـولين, أين المفعولان ؟ يقول المؤلف رحمه الله : إن عملها معلـق الآن, معلـق بـالنفي, فجملـة النفـي سـدت مسـد المفعـولين, وهـذا يعلـم مـن درس النحـو لأن أفعـال القلوب: إما أن تعمل, وإما أن تعلق, وإما أن تلغـى, إذا ألغيت بطل عملها في المحل واللفظ, وإذا علقـت بقـي عملها في المحل دون اللفظ, وإذا عملت عملت باللفظ والمحل.

فـي هـذه الآيـة الكريمـة فوائـد منهـا : التهديـد بـإغراق السـفن لقـوله : **(( أو يوبقهن ))** وقـد علمتـم قبـل قليل أن الرياح بالنسبة للسفن تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

ريح مناسبة طيبة, وريح عاصـفة مـدمرة مغرقـة, وريـح ساكنة تبقى السفينة راكدة على ظهر الماء.

فمن فوائدها : التهديد بإغراق السفن بالمعاصي .

ومن فوائد الآيـة : التحـذير مـن المعاصـي وأنهـا سـبب للعقوبات لقوله : **(( بما كسبوا ))**.

ومن فوائد الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يعفـوا عـن كـثير مـن السـيئات فلا يعـاقب عليهـا لقـوله : (( **ويعفوا عن كثير ))** يعنـي حـتى مـع إغـراق السـفن يعفوا الله تبارك وتعالى عن كثير .

ومن فوائد الآية الكريمـة : تهديـد أولئـك العصـاة بـأنهم ليس لهم مهرب مـن اللـه عـز وجـل لقـوله : (( **يعلم الذين يجادلون في آياتنا ))**.

ومنهـا ذم المجادلـة لإبطـال الحـق تؤخـذ مـن قـوله: (( **ويعلم الذي يجادلون ))** أما المجادلـة لإثبـات الحـق فإنها واجبة حيث كان الإنسان يجيدها ويحسنها قال الله تبارك وتعالى: **(( وجـادلهم بـالتي هـي أحسـن ))** وقال تعالى : **(( ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلمـوا منهـم ))** فالمجادلـة لإثبـات الحـق وإبطـال الباطـل واجبـة, لكـن بشـرط أن يكون عند الإنسان علم بما يجادل به, فـإن لـم يكـن لـه علـم فـالواجب ألا يجـادل, لأنـه إذا جـادل لإثبـات الحـق بدون علم فقد تنعكـس القضـية عليـه, يـورد عليـه مـن الشبهات ما لا يستطيع دفعـه وحينئـذ ينقطـع, وانقطـاع المجادل بالحق ليس ضرره علـى نفسـه, بـل هـو علـى نفسه وعلى الحق الذي يجادل من أجل إثباته.

وهل المجادلة تحصـل بـالغريزة أو بـالمران ؟ الجـواب:

بهما كليهما, قد يعطي الله سبحانه وتعالى الإنسان قوة حجة وقريحة وسرعة إجابة, وهـذا مـن اللـه عـز وجـل, وقد يكون قليلا من هذه الناحية في أصـل خلقتـه ولكـن مع المجادلة يتمرن, ولهذا كان بعض أهل العلـم إذا أراد أن يحرر مسألة ويثبتها فرض نفسه مـع مجـادل, فيـورد على نفسه إشكالا ثم يجيب عنه, ثـم إشـكالا ثـم يجيـب عنه حتى يتمرن على المجادلة.

ويـذكر أن عاميـا يجـادله نصـراني يقـول لـه: أنتـم أيهـا المسلمون ظلمة قـال: بمـا ؟ قـال: لأنكـم تجيـزون أن تتزوجوا منا ولا تجيـزون أن نـتزوج منكـم, إذا جـاء هـذا الإيـراد علـى شـخص لا يعـرف المجادلـة قـال: صـحيح, فقال العامي: إننا نؤمن برسولكم ولا تؤمنون برســولنا, آمنـوا برسـولنا نزوجكـم, وهـذه حجـة صـحيحة أو لا ؟ صحيحة لا شك, فإذا كانت صحيحة من عامي كـان هـذا دليلا على أن المجادلـة تكـون غريـزة وتكـون بـالمراس والتمرن .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن لا مفر لمن حاد اللــه ورسـوله مـن عقوبـة اللـه لقـوله: **(( ويعلـم الـذين يجادلون في آياتنا مـا لهـم مـن محيـص ))** مـن المعلـوم أن يعلـم تنصـب مفعـولين, فـأين مفعولاهـا ؟ جملـة: **(( مـا لهـم مـن محيـص ))؛** مـاذا يسـمى ؟ يسمى تعليقا, وذكرنا لكم أن ظن وأخواتها تكون عاملـة ومعلقة وملغاة.

طيب قوله : **((ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ))** هل هذا مدح أو ذم ؟ ذم, طيب كيف يكون ذما وقد أمر الله بمجادلة أهل الكتـاب ؟ إذا نقـول المجادلـة لإظهـار

الحق وبيانه مأمور بها, والمجادلة التي للعكس لإبطال الحق وإظهار الباطل هذه هي التي عليها الوعيد, تمام الحق.
ثم قال الله تبارك وتعالى .
القارئ : (( **فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ))**[الشورى:36] .
الشيخ : قول الله تبارك وتعالى : **(( وما أوتيتم من شيء ))** يعني أي شيء أو تيتموه من زخارف الدنيا **(( فمتاع الحياة الدنيا ))** قوله : **(( فمتاع ))** الفاء رابطة لجواب الشرط وهو قوله: **(( فما أوتيتم من شيء ))** لأن ما هنا شرطية, ومن شيء بيان لها, وجملة فمتاع هذه جواب الشرط, وعلى هذا فنقول: إن متاع خبر لمبتدأ محذوف والتقدير فهو متاع الحياة الدنيا.
**قال: " يتمتع فيها ثم يزول (( وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا ... ))** " إلى آخره, ما هنا اسم موصول بمعنى الذي, وخير خبر المبتدأ, **(( وأبقى ))** فوصفه الله بوصفين مهمين جدا, الأول: أنه خير والثاني: أنه أبقى, لأن ما في الدنيا فهو متاع زائل منغص لا يكاد يمر بك أسبوع إلا وجدت التنغيص, وهذا على حد قول الشاعر :
**" فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر "**
أما الآخرة فهي خير محض ليس فيه شر, وأيضا هو أبقى يعني أدوم, متاع الدنيا قليل يزول سريعا بخلاف ما عند الله عز وجل؛ **(( للذين آمنوا ))** آمنوا بإيش ؟

بكل ما يجب الإيمان به, وقد سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال له: **( الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره )** إذا آمنوا بما يجب الإيمان به, هذه العبارة لتشمل كل شيء, **(( وعلى ربهم يتوكلون ))** قدم المعمول لإفادة الحصر والعناية به **(( وعلى ربهم يتوكلون ))** الرب هو الخالق المالك المدبر, يتوكلون: أي يعتمدون ويفوضون أمرهم إليه تبارك وتعالى, والتوكل فسره بعضهم بأنه: **" صدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله تبارك وتعالى "** صدق الاعتماد على الله يعني: أن تعتمد على الله اعتمادا صادقا لا تلتفت لسواه, في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله عز وجل يعني: تعتمد عليه عز وجل وأنت واثق بأنه حسبك وسيعينك؛ والتوكل على الله نصف الدين كما قال عز وجل : **(( إياك نعبد وإياك نستعين ))** إذ لا يمكن للإنسان أن يأتي بشرائع الإسلام إلا بالتوكل على الله والاعتماد عليه, انظر إلى قوله : **(( إياك نعبد وإياك نستعين ))** وإلى قوله: **(( فاعبده وتوكل عليه ))** تجد أن الله تعالى قسم الدين إلى قسمين: عبادة واستعانة.

**(( فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ))** **(( فما أوتيتم ))** الخطاب يقول المفسر: **" للمؤمنين وغيرهم (( من شيء )) من أثاث الدنيا (( فمتاع الحياة الدنيا ... )) "**, قوله: **(( فما أوتيتم من شيء ))** ... **( من )** هذه:

**(( فما أوتيتم من شيء ))** زائدة لبيان العموم، أي: أي شيء تؤتونه من أمور الدنيا فإنه متاع الحياة الدنيا, وقوله: **" الخطاب للمؤمنين وغيرهم "** صحيح, لأن هذا يخاطب به المؤمن والكافر, المؤمن يتمتع بالدنيا, ولكنهم يتمتعون كما تتمتع الأنعام والنار مثوى لهم, والمؤمن يتمتع بالدنيا ولكنه إذا قام بعمل الآخرة صار نعيمه في الدنيا والآخرة.

**وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا )) )) " يتمتع به فيها ثم يزول "** هذا هو الواقع أن متاع الحياة الدنيا يزول أو يزال عنه, يعني: إما هذا وإما هذا, لو قدر أن الإنسان يبقى غنيا صحيح الجسم آمن المقام, أليس من الجائز أن يسلب هذا ؟ بلى, فيكون متاعا قد زال, فإن لم يزل عنه زال الإنسان عنه, من الذي متع أبد الآبدين ؟ لا يوجد, قال الله تعالى : (( **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون )) (( وما عند الله خير وأبقى ))** ما هذه اسم موصول مبتدأ, وخير خبره **(( وما عند الله خير وأبقى ))** خير من متاع الدنيا في ذاته ونوعه وكل متعه, وأبقى أي أدوم, لأن متاع الدنيا يزول, فنعيم الآخرة جمع بين الوصفين: أنه خير, وأنه أبقى؛ فباعتبار نوعه وجنسه وأصنافه هو خير, وباعتبار بقائه هو أبقى, والإنسان لا يريد من النعيم إلا هذا, لا يريد إلا الأكمل والأبقى حتى لا يزول عنه, لكن لمن ؟ للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون, واعلم أن مثل هذه العبارة وردت على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول : أو يخاطب بها الشخص بعينه فيقال له:

. إن الآخرة خير لك
. والثاني : أن تأتي مقيدة بأوصاف محبوبة مطلوبة
. والثالث: أن تأتي مطلقة
اسمع قول الله عز وحل لنبيه صلى الله عليه وسلم: **(( وللآخرة خير لـك مـن الأولـى ))** فـالآن نشـهد أن الآخرة للنبي صلى الله عليه وسلم خير له مـن الأولـى, هذا قيـد بشـخص معيـن, المقيـد بأوصـاف كالآيـة الـتي معنا, وكقوله تعـالى: **(( ولـدار الآخـرة خيـر للـذين اتقوا ))** فهذه مقيدة بأوصاف .
الثالثة : مطلقة كقوله تعالى : (( **بل تؤثرون الحيــاة الدنيا والآخرة خيـر وأبقـى ))** لكـن هـذا المطلـق يحمل على المقيد أو يقال هذا باعتبار وصـفه لا باعتبـار من يحصل له, فيقـول مـن حيـث الإجمـال الآخـرة خيـر وأبقى, أما من حيث التفصيل فيفصـل فـي كـل موضـع بحسبه. نعم .
يقول الله عز وجل : **(( فما أوتيتم من شيء ... ))** إلى آخره.
. في هذه الآية فوائد : منها التزهيد في الدنيا وأنها زائلة ومن فوائدها : إنذار الكفار بأن ما هـم فيـه مـن النعيـم ليس بشيء بالنسبة لنعيم الآخرة. وذكر أهل التاريـخ أن ابن حجر رحمـه اللـه صـاحب فتـح البـاري كـان قاضـي القضاة في مصـر, فمـر ذات يـوم برجـل يهـودي زيـات يعني يعمل في الزيت كل ثيابه وسخة وأوانيه وفي تعب شديد, فمر ابن حجر العسقلاني رحمه الله وهـو قاضـي القضاة مر بمركبه تجره الخيـول أو البغـال وفـي أبهـة, فأوقفه اليهودي وقال: ما تقولون في قول نبيكم: **( إن**

**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر )** كيف يتفق هذا مع الحال التي نحن عليها الآن ؟ أنت مـؤمن وفـي هـذا النعيم, واليهودي يهودي وفي هذا العنـاء والتعـب, كيـف يتفق ؟ فأجابه الحافظ ابـن حجـر بجـواب علـى البديهـة فقـال : مـا أنـا فيـه مـن النعيـم بالنسـبة لنعيـم الآخـرة سجن, لأن الآخرة خير وهذا ليس بشيء, وأنت بما أنت فيـه مـن العنـاء بالنسـبة لعـذاب النـار فـي جنـة, فقـال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول اللـه؛ آمن على طول لأن هذا دخل عقله وأن ما قاله الرسول حق, الدنيا مهما كانت فهـي بالنسـبة للآخـرة سـجن مـا هي شيء, ولكـن الـدنيا مهمـا كـانت مـن الضـيق فهـي بالنسبة للنار جنة.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن حياتنا هذه دنيـا, دنيـا من الدنو أي القرب أو من الدناءة أي الخسة والحقارة, تشمل المعنيين جميعـا, فهـي قريبـة لأنهـا سـابقة علـى الآخرة, من حين يولد الإنسان وهو فيهـا, وهـو دنيئـة أي حقيرة بالنسبة للآخرة, إذن دنيا مـؤنث أدون, وهـي إمـا من الدنو وإما من الدناءة والحقارة, ففيها تحقير الدنيا .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن ما عند الله خيـر مـن الـدنيا بأجمعهـا لقـوله **: (( ومـا عنـد اللـه خيـر وأبقى ))** إذا فيـه التزهيـد فـي الـدنيا والـترغيب فـي الآخرة .

من فوائد الآية الكريمة: الثناء على من جمع بين الإيمان والتوكـل لقـوله : (( **للـذين آمنـوا وعلـى ربهـم يتوكلون )) .**

من فوائدها : أن التوكل عبادة يجب إفراد الله به, وجـه

الدلالة ؟ تقديم المعمول, هذا دليـل وجـوب إفـراد اللـه به, وأما الدليل على أنه عباده فلأن الله تعالى ذكره في مقام الثناء ولا ثناء إلا في عبادة .

ومـن فوائـد الآيـة الكريمـة : فضـيلة الجمـع بيـن هـذه الصـفات المـذكورة, لأن كـل صـفة منهـا صـفة مـدح لا شـك, لكـن اجتماعهـا يكـون أكمـل, أرأيـت لـو وصـفت إنسانا بالكرم فقلت فلان كريم أليس مدحا ؟ طيب, إذا قلت: شجاع انضم الآن الكرم إلـى الشـجاعة وانضـمام الصفتين بعضهما إلى بعض يولد صفة ثالثـة وهـو جمعـه بيـن الصـفات, طيـب وهكـذا نقـول فـي كـل الصـفات المتعددة : أن جمعها يزيد الموصوف بها ثناء, طيب .

مـن فوائـد الآيـة الكريمـة : وجـوب التوكـل علـى اللـه لقـوله: **(( وعلـى ربهـم يتوكلـون ))** حيـث قـدم المعمول.

فإن قال قائل : أيجوز أن يتوكل على الغيـر فيمـا يقـدر عليه ؟ الجواب: نعم, ولكن لا يجعل هذا التوكل تفويضـا يتعلق القلب به, لأن هناك فرقا بيـن أن أقـول: يـا فلان وكلتك تشتري لي كـذا وكـذا, هنـا أعتمـد عليـه لكنـي لا أفوض الأمر إليه, بل أنا حين أقول: يا فلان اشـتري لـي كذا وكذا أعتبر نفسي فـوقه أو دونـه ؟ فـوقه, لأنـي أنـا الآن الذي بيدي الأمر آمره وأنهـاه, لكـن الاعتمـاد الـذي هو التفويض المطلق هذا لا يكون إلا لله عز وجل, فـإذا أورد علينا إنسان هذا الإيراد الذي ذكرته نقول : الجواب سـهل التوكيـل فـي الشـيء لا يـدل علـى التفـويض المطلق, التوكيل على الشـيء لا يتعلـق القلـب بنفـس المتوكل عليـه, بخلاف التوكـل علـى اللـه, فبهـذا يظهـر

الفرق. ويقال للإنسان الذي وكل غير : إنه ليـس نـاقص التوكل, بدليل أن الرسول صلى الله عليـه وسـلم وكـل علي بن أبي طالب في حجة الوداع أن ينحـر عنـه بقيـة هديه.

وكـل عـروة بـن الجعـد أن يشـتري لـه أضـحية, اسـمع القصة أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم دينـارا وقـال: اشتري لي به أضحية فاشترى أضـحيتين بـدينار ثـم بـاع واحدة منهما بدينار, فرجع إلـى النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم بشاة ودينار, الرسول صلى الله عليـه وسـلم لـم ينقصه شيء, ديناره الذي سـلمه لـه رجـع إليـه, وشـاته التي يريدها حصلت له, فدعا له النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم بالبركة في بيعه فكان لا يشتري شيئا إلا ربح فيه حتى لو اشترى ترابا لربح فيه ببركة دعـوة النـبي صـلى الله عليه وسلم, العلماء أخـذوا مـن هـذه القصـة جـواز التصرف فـي مـال الغيـر لمصـلحة, لأن عـروة تصـرف اشترى شاتين وهو مأمور بشاة واحدة, باع واحـدة وهـو لم يؤمر بالبيع لكن هذا لمصلحة الغير, إلا أنـه مـع ذلـك موقـوف علـى إجـازته فلـو أن هـذا المتصـرف قـال لـه صاحبه: لا أرضى بهذا التصرف فـإنه يـرد, لـو علمنـا أن فلانا يريد أن يـبيع بيتـه قـد عرضـه للـبيع وجـاء شـخص وبذل فيه مالا كثيرا, بذل مثل قيمته مرتين, فجاء رجــل وتقدم وبـاع, يجـوز أو لا يجـوز ؟ يجـوز لأنـي أعـرف أن الرجل عازم على بيع البيع, وهو إذا عزم على بيع البيت سيكون بيعه بثمن المثل, فإذا جاء إنسان بذل أكثر مــن قيمة المثل مرتين مثلا وتقدم شـخص لـم يوكـل وبـاعه فالبيع صحيح, لأن هذا تصرف للغير بمـا يحبـه, لكـن لـو

فرض أن صاحب البيت قـال: لا أجيـز هـذا, فحينئـذ يـرد الـبيع, فيبقـى إشـكال آخـر مـع المشـتري يقـول: أنـا اشتريت ولا علي منك أنت وصاحبك, والموكل يقول: أنا لم أرضى, والوكيل يقول: أنا راضي, فما الحـل ؟ الحـل إذا كان الوكيل قد أخبر المشتري بأنه وكيـل وأن الـبيت لفلان ثم قال فلان وهو الموكل: أنا لا أرضى بهـذا الـبيع فسخ, وإلا بقي البيع وضمن الوكيل مـا يطلبـه الموكـل, والله الموفق.

الطالب: لماذا عبر بالولي مع النصير مـع أن الـولي هـو النصير ؟

الشيخ : لا, الولي هو الذي يتولى الأمور وقد لا يسـتطيع المدافعة, والنصير يستطيع أن يدافع, فليـس لهـم ولـي يجلب الخيرات ولا نصير يدفع الشرور.

الطالب: ...

الشيخ : الجواب أن هذا لمن أصيبوا, فيبين لهم أن هــذا بما كسبت أيديهم لعلهم يتوبون ويرجعون إلى الله, وأما الإصابة بدون ذنب فهـذه لرفعـة الـدرجات, لأن الإصـابة يقابلها الصبر لابد من صبر عليها, والصبر درجة عاليـة لا ينالها إلا من وفق لها, ولا يمكن أن يقال صابر لمـن لـم يمسه أذى, ولهذا كان البلاء الذي للأنبياء مضـاعفا علـى البلاء الذي على غيرهم حتى فـي الأمـراض فـإن النـبي صلى الله عليه وسلم كـان يوعـك كمـا يوعـك الـرجلان منا, وشدد عليه في الموت عليه الصـلاة والسـلام حـتى يكون آخر حياته على أتم مقامـات الصـبر, أمـا إذا قيـل ذلك في المذنبين فالمراد أن ينتهـوا عـن ذنـوبهم ... لا, هذه ما هي عقوبة من الله عز وجل, خزي يعني ذل, أن

هؤلاء المسيطرين المستكبرين سوف يعود أمرهم إلــى ذل وفي الآخرة يعذبون, نعم.

الطالب : في قوله تعالى : **(( ويعلم الذين يجادلون فــي آياتنــا ))** هــل المقصــود بالآيــات هنــا الكونيــة أم الشرعية ؟

الشيخ : الكونية والشرعية, فالمجادلة بالآية الكونيــة أن يقــول لمــاذا قــدر اللــه كــذا ؟ ولمــاذا يقــدر اللــه علــى الشعب المسلم الحروب والفتن وما أشبه ذلــك ؟ وفــي الآية الشرعية واضح, يقول: لمــا أوجــب اللــه كــذا ولمــا حرم كذا وما أشبه ذلك.

الطالب : ...

الشيخ : نعم المراد بذلك جدال المــراء الــذي يقصــد بــه المغالبة, أما الذي يقصد به إثبــات الحــق فــواجب حــتى قوله تعالى في الحج : **(( فلا رفــث ولا فســوق ولا جدال ))** هذا الجدال الذي من أجل أن يماري السفهاء أو بغير فائدة, أما لإثبات الحق فلابد منه, نعم. ... يجــب للمجادل لإثبات الحق أن تكون نيته إعلاء كلمة الله.

الطالب : إن شابه شيء من الرياء يبطل ؟

الشيخ : يبطل لكن يجب أن الإنســان يــدافع الريــاء أو يقصد بالرياء أن يعلوا على هذا العدو المجادل بالباطل, هذا ما فيها بأس.

الطــالب : هــل مــن زائــدة فــي: (( ومــا أوتيتــم مــن شيء )) ؟

الشيخ : لا, عدلنا عنها, قلنا: (( وما أوتيتم مــن شــيء )) قلنا: بيانية في الأول, ولكــن تــبين أن مــا ليســت نافيــة, لكنها زائدة لعموم النفــي أي: أي شــيء أتيتمــوه فمتــاع

الحياة الدنيا .

الطالب : بالنسـبة لقـوله سـبحانه وتعـالى: **(( وينشر رحمته ))** فسرنا رحمته بالمطر ؟

الشيخ : فسره المؤلف.

الطالب : فهل يقال في الدعاء, دعاء حين نزول المطـر إنه رحمة ؟

الشـيخ : ذكرنـا أن كلام المؤلـف قاصـر, المـراد بنشـر الرحمة ما يحدث من آثار المطر. نسأل اللـه تعـالى أن يشـملنا وإيـاكم برحمتـه, وأن يوفقنـا وإيـاكم لمـا يحبـه ويرضى.

القـــارئ : (( **وَالَّـــذِينَ يَجْتَنِبُـــونَ كَبَـــائِرَ الإِثْـــمِ وَالْفَــوَاحِشَ وَإِذَا مَــا غَضِــبُوا هُــمْ يَغْفِــرُونَ** )) [[الشورى:37]].

الشيخ: قول الله تبارك وتعالى: (( **والـذين يجتنبـون كبائر الإثم** )) نص على أنـه معطـوف عليـه لئلا يظـن الظان أن الواو هنا للاستئناف. وعلـى هـذا فيكـون مـن باب عطف الصـفات وليـس مـن بـاب عطـف الأعيـان, فالذين اسـتجابوا لربهـم هـم الـذين آمنـوا وعلـى ربهـم يتوكلون, هل لهذا نظير أي عطف الأوصـاف لموصـوف واحد ؟ الجواب: كثير, قال الله تعالى : (( **سبح اســم ربـك الأعلـى الـذي خلـق فسـوى والـذي قـدر فهدى والذي أخرج المرعى** )) قـوله : (( **والـذي قدر فهدى** )) ليس هو شيئا آخر بل هو الأول, فيكون هـذا مـن بـاب عطـف الأوصـاف دون الأعيـان, أنـت إذا قلت: قام زيد وعمرو وبكر وخالد فهذا من بـاب عطـف الأعيان لأن الثاني غير الأول, وإذا قلت جاء زيد الفاضل والكريم والشجاع فهـذا مـن بـاب عطـف الأوصـاف لأن الثـاني هـو الأول لكـن اختلفـت الصـفة, إذن فـالعطف نوعان: عطف أعيان وعطف أوصاف, فـي الآيـات الـتي معنـــا: (( **والـــذين يجتنبـــون كبـــائر الإثـــم والفـواحش** )) هـذه مـن بـاب عطـف الأوصـاف لأن الذين يجتنبون الكبائر والفواحش هم الذين آمنوا وعلـى ربهم يتوكلون.

**يجتنبون كبائر الإثم والفواحش** )) كبائر جمـع (( كبيرة, فما هي الكبيرة ؟ وهي ما ذكر الشرع أنه كـبيرة فهو كـبيرة, كقـول النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم فـي

حـديث أبـي بكـرة: **( ألا أنـبئكم بـأكبر الكبـائر ) قالوا : بلى يا رسول الله قال: ( الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلـس فقـال ألا وقل الزور ألا وشهادة الزور )** هنا نـص علـى أنهـا كبيرة, أما ما لم ينص عليه الشرع فقـد اختلـف العلمـاء رحمهم الله في حد الكـبيرة, وأقـرب شـيء مـا اختـاره شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة رحمـه اللـه فقـال : **" إن الكبيرة ما رتـب عليـه عقوبـة خاصـة "** يعنـي مـا خص بعقوبة, وذلك أن المنهيات تنقسـم إلـى قسـمين : قسم فيها النهي أو التحريم أو ما أشبه ذلك لكن ما ذكر فيه عقوبة, القسم الآخر ذكـر فيـه العقوبـة فيقـول: مـا ذكر فيه عقوبة خاصة فهو كـبيرة طيـب. إذا رتـب علـى الذنب لعنة كقوله : **( لعن اللـه مـن لعـن والـديه )** ماذا يكون ؟ يكون كبيرة لأنه رتـب عليـه عقوبـة خاصـة وهي اللعن, إذا رتـب عليـه السـخط فهـو كـبيرة كقـول النبي صلى الله عليـه وسـلم فـي المـرأة يـبيت زوجهـا سـاخط عليهـا : **( فـإن اللـه يسـخط عليهـا )** هـذا كبيرة, إذا قيل: **( ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعـا بـدعوى الجاهليـة )** فهـو كـبيرة, مـا الذي رتب عليه ؟ رتب عليه البراءة منه ليس منا كذا, **( من غش فليس منـا )** مثلـه كـبيرة لأنـه رتـب عليـه عقوبـة خاصـة, **( لا يـؤمن مـن لا يـأمن جـاره بـوائقه )** كـبيرة لأنـه رتـب عليـه نفـي الإيمـان, إذن الكـبيرة محـدودة أو معـدودة ؟ محـدودة يعنـي تعـرف بالحد دون العد, وأحسن ما قيـل فيهـا مـا اختـاره شـيخ الإسلام رحمه الله من أن الكبيرة ما رتب عليـه عقوبـة

خاصة وقوله : **(( والفواحش ))** بالنصب معطوفة على كبائر, أي: ويجتنبون الفواحش.

قال : **" وهي موجبات الحدود من عطف البعض على الكل "** فسر المؤلف رحمه الله : **(( الفواحش ))** بأنها ما توجب الحد, فلنعدها الزنا فاحشة ؟ وهو بنص القرآن: **(( ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ))** نكاح ذوات المحارم فاحشة لقول الله تبارك وتعالى : **(( وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ))** [النساء:22] تأمل الآن أيما أعظم نكاح ذوات المحارم أو الزنا ؟ الأول, لأن الله قال فيه : **(( كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا ))** وفي الزنا قال : **(( إنه كان فاحشة وساء سبيلا ))** ولهذا كان القول الراجح: أن الإنسان إذا زنا بمحارمه وجب رجمه سواء كان محصنا أو غير محصن. طيب السرقة فاحشة أو لا ؟ فاحشة، المؤلف قال: كل ما فيه حد فاحشة, قطع الطريق فاحشة لأن فيه حدا, الخمر فاحشة ؟ هو عليه حد ؟ الصحيح أن عقوبة الخمر ليست حدا بل هي عقوبة لكنها لا تنقص عن أربعين, الدليل أنها عقوبة أن شارب الخمر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يؤتى به فيضربه الناس الذي يضرب بيده والذي يضرب بثوبه والذي يضرب بنعله بدون حد معين, ثم جعلها أبو بكر أربعين ثم جعلها عمر أربعين, ثم كثر شرب الخمر فزادها عمر إلى ثمانين بعد أن استشار الصحابة فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أرى أن تجعلها كأخف الحدود, ما هو أخف الحدود ؟ حد القذف ثمانون,

فجعلها عمر ثمانين, وهذا كالإجماع من الصـحابة رضـي الله عنهم أن عقوبة شارب الخمر ليست حـدا, لأنـه لـو كانت حدا هل يمكن لأي أحد أن يزيد ؟ لا يمكـن, ولهـذا لو كثر الزنا في الناس لا يمكن أن نزيد عن مائة جلـدة, طيب أيضا قال عبد الرحمن بـن عـوف: اجعلهـا كـأخف الحدود, فدل هذا على أنها ليست حـدا وإلا لمـا صـح أن يقـول : كـأخف الحـدود, وأيضـا إذا تكـرر جلـده ففـي الرابعة يقتل على رأي كثير مـن العلمـاء لمـا جـاء ذلـك فـي السـنن: **( إذا شـرب فاجلـدوه ثـم إن شـرب فاجلدوه ثـم إن شـرب فاجلـدوه ثـم إن شـرب الرابعة فاقتلوا )** هذا الحديث صحيح ذهب إليـه أهـل الظاهر, وأكثر العلماء يقولون : لا يقتل لو يشـرب ألـف مرة ويجلد ألف مرة, واختار شيخ الإسـلام قـولا وسـطا وقـال: إذا لـم ينتـه النـاس بـدون القتـل فـإنه يقتـل لئلا يتكاثر شرب الخمر وأما إذا انتهـى النـاس بـدون القتـل فــإنه لا يقتــل؛ المهــم المؤلــف رحمــه اللــه يــرى أن الفـواحش هـي موجبـات الحـدود, قـال: **" وهو مـن عطف البعـض علـى الكـل "** لأن الفـواحش بعـض كبائر الإثم, وهذا يقع كـثيرا عطـف البعـض علـى الكـل كما أنه يقع أحيانا عطف الكل على البعض, فقـول اللـه تعالى: **(( تنزل الملائكة والروح فيهـا ))** هـذا مـن باب عطف البعض علـى الكـل, وإذا قلـت : أكـرم زيـدا والطلبـة وهـو منهـم فهـو مـن بـاب عطـف الكـل علـى البعـض, وتخصـيص بعـض الأفـراد بكـونه معطوفـا أو معطوفا عليه يدل على العناية به والاهتمام به.

**وإذا ما غضبوا هم يغفرون ))** ما هنا زائدة في **))**

الإعراب وأما في المعنى فهي للتوكيد, وأقول:

يا طالبا خذ فائدة ما بعد إذا زائدة

تقبل أو ما تقبل ؟ يعني كلما أتتك ما بعد إذا فهي زائدة, كهذه الآية: **(( إذا ما غضبوا ))** المعنى وإذا غضبوا, وكقوله تعالى: **(( حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم ))** أي حتى إذا جاءوها, فخذ هذه الفائدة, وما من أوسع الحروف معنى لأن لها عشر معاني أو أكثر جمعت في قول الناظم:

" محامل ما عشر إذا رمت عدها فحافظ على بيت سليم من الشعر

ستفهم شرط الوصل فاعجب لنكرها بكف ونفي زيد تعظيم مصدر "

طيب على وجه السرعة: ستفهم إشارة إلى ما الاستفهامية, شرط إلى ما الشرطية, الوصل إلى ما الموصولة, فاعجب إلى ما التعجبية مثل أن تقول: ما أحسن زيدا, لنكرها إلى ما النكرة الموصوفة أو الواصفة, بكف إلى ما الكافة وهي الداخلة على إن مثل: **(( إنما الله إله واحد ))**, ونفي ما النافية, زيد ما الزائدة, تعظيم ما التعظيمية مثل: **(( الحاقة ما الحاقة )) (( القارعة ما القارعة ))**, مصدر إلى ما المصدرية مثل: يعجبني ما فعلت أي: يعجبني فعلك, هذه عشر معاني لما.

**(( إذا ما غضبوا هم يغفرون ))** يعني إذا نالهم الغضب فإنهم يملكون أنفسهم فيغفرون لمن أغضبهم, ومعنى يغفرون قال المفسر: **" يتجاوزون "** ونحن نزيد شيئا آخر الستر, يعني: يتجاوزون عن من أساء

إليهم ويسترونه.

من فوائد هذه الآية : أن من وصف الـذين آمنـوا وعلـى ربهم يتوكلون اجتنابهم كبائر الإثم والفـواحش, وبعـدهم عنها لأن اجتنب بمعنى صار في جانب وآخر فـي جـانب فيفيد بعدهم عن كبائر الإثم والفواحش.

ومـن فوائـدها أن صـغائر الـذنوب لا تنقـص مـن كمـال الإيمان لأنها تقع مغفورا باجتناب الكبـائر كمـا قـال اللـه تبارك وتعالى في سورة النجم : **(( إلا اللمم ))** يعنـي إلا الصغائر فإنها لا تضـر وأخـبر النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : **( أن الصـلوات الخمـس والجمعـة إلـى الجمعـة ورمضـان إلـى رمضـان مكفـرات لمـا بينهن إذا اجتنبت الكبائر ).**

ولكن لو قال قائل : هل الإصرار علـى الصـغائر يحولهـا إلى كبائر ؟ فالجواب: نعم, هذا المشهور عند أهل العلم أن الإصرار على الصغيرة كبيرة, لكنهـم لا يقولـون : إن الصغيرة تكون كبيرة يقولون : إن إصرار الإنسـان علـى المعصية يدل على استخفافه بشريعة الله وعدم مبالاته بهـا فمـن هنـا صـار الإصـرار كـبيرة, وليـس المعنـى أن الصغيرة تنقلب كبيرة, لكن لما كان الإصرار يـدل علـى استخفاف الإنسان بشريعة الله صار هذا كبيرة من أجل الاستخفاف .

ومن فوائد الآية الكريمـة: أن مـن صـفات الـذين آمنـوا وعلى ربهم يتوكلون أنهـم إذا غضـبوا غفـروا, والغضـب وصفه النبي صلى اللـه عليـه وسـلم بـأنه جمـرة يلقيهـا الشيطان في قلب الإنسان فيفور دمـه وتنتفـخ أوداجـه, أما المتكلمون فيقولون : إن الغضـب غليـان دم القلـب

لمحبة الانتقام, وما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم خير: أنه جمرة يلقيها الشيطان, ولذلك تجد الإنسان إذا غضب يتصرف تصرفا سيئا لا يحمده هو إذا سكن غضبه .

ومن فوائد الآية الكريمة : أنه ينبغي للإنسان عند الغضب أن يكظم غيظه وقد طلب أحد الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم أن يوصيه فقال له **: ( لا تغضب )** فردد مرارا فقال : **( لا تغضب )** .

الشيخ: قال الله تبارك وتعالى : **(( والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ))** ما الفرق بين كبائر الإثم والفواحش ؟ ... ما دون ذلك, لكنها فوق الصغائر, المرتب عليها حد ما هي ؟ قطع الطريق الزنا السرقة القذف.

الشيخ: طيب شرب الخمر هل هو حد أو تعزير ؟ الصحيح أنه تعزير, لكنه تعزير لا يقل عن أربعين جلدة؛ ما هو الدليل على أنه تعزير وليس بحد مع أن جمهور العلماء على أنه حد؟ أن الناس لما كثير شربهم الخمر في عهد عمر رضي الله عنه استشار الصحابة فقال عبد الرحمن بن عوف : **" اجعله كأخف الحدود ثمانين "** وهذا دليل واضح جدا, وهو كالإجماع من الصحابة رضي الله عنهم بقيادة الخليفة الراشد عمر أنه ليس بحد من وجهين: الأول أنه قال: اجعله كأخف الحدود, والثاني: أنه لو كان حدا ما ساغ لعمر ولا لغير عمر أن يزيد عليه.

الشيخ: قول الله تبارك وتعالى : **(( وإذا ما غضبوا هم يغفرون ))** ما إعرابها ؟

الطالب: اسم موصول.
الشيخ: لا غلط.
الشيخ: ما زائدة, كلما جاءت ما بعد إذا فهي زائدة, قال الله تعالى : (( **حتى إذا ما جاءوا شـهد عليهـم** )) (( **وإذا ما غضبوا هم يغفرون** )).
ثم قال الله تبارك وتعالى .
القـارئ : (( **وَالَّـذِينَ اسْـتَجَابُوا لِرَبِّهِـمْ وَأَقَـامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُـورَى بَيْنَهُـمْ وَمِمَّـا رَزَقْنَـاهُمْ يُنْفِقُونَ** )) [الشورى:38].
الشيخ : (( **والذين استجابوا لربهم** )) الواو حرف, الذين معطوف على ما سبق عطف أعيان أو أوصـاف ؟ أوصـاف (( **والـذين اسـتجابوا لربهـم** )) قـال المفسـر: " **أجـابوه إلـى مـا دعـاهم إليـه مـن التوحيد والعبادة** " اسـتجابوا لربهـم بمعنـى أجـابوه, وقد سبق لنا ذكـر الأمثلـة علـى كـون اسـتجاب بمعنـى أجاب, وقوله: " **من التوحيـد والعبـادة** " تفسـير لا بأس به ولو قال رحمه الله : استجابوا لربهم أي أجـابوه إلى كل ما دعاهم إليه من فعل الأوامـر وتـرك النـواهي لكان أبين وأعم, (( **وأقاموا الصلاة** )) معطوف على استجابوا فهـي داخلـة فـي صـلة الموصـول (( **أقاموا الصلاة** )) قال المؤلف: " **أداموها** " وفيها نظـر, بـل معنى أقاموا الصلاة أتوا بها مستقيمة على الوجه الـذي طلب منهـم, لأن هنـاك فرقـا بيـن إقامـة الصـلاة وبيـن إدامة الصلاة, نعـم إدامتهـا مـن إقامتهـا لا شـك, ولكـن ليست الإقامة هي الإدامة, إذن الإقامـة معنـاه أن يـأتي بالصلاة مستقيمة على الـوجه المطلـوب, (( **وأقـاموا**

**الصــلاة ))** وقــوله الصــلاة يعــم الفريضــة والنافلــة, **(( وأمرهــم شــورى بينهــم ))** أمرهــم أي شــأنهم, والمراد الشــأن العــام لا الشــأن الخــاص, الشــأن العــام الذي يهم الجميع يتشاورن فيه, ومعنــى يتشــاورون فيــه يعني يتبــادلون الــرأي هــل يقــدمون أو يحجمــون ؟ هــل يعدلون أن يبقون الشيء على ما هو عليــه ؟ المهــم أن المشــاورة هــي تــداول الــرأي ليخرجــوا بنتيجــة مرضــية للجميع قال الله تعالى: **(( وأمرهم شورى بينهم ))** **" يتشاورن فيه ولا يعجلون " (( ومما رزقناهم ينفقــون ))** مــن هنــا للتبعيــض ويحتمــل أن تكــون للجنس, فإن كانت الأولى صار المدح لمــن ينفــق بعــض ماله, وإن قلنا بأنها للجنس صار المدح لمن ينفــق مــاله كله أو بعضه, فأيهما أولى أن نقول: للتبعيض أو للجنس ؟ للجنس أولى, ليشمل القليل والكثير والكل, **(( ومما رزقنــاهم ))** قــال : **" أعطينــاهم (( ينفقــون )) في طاعة الله ".**

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن من صفات المــؤمنين المتوكلين أنهم يستجيبون لله عز وجل أي يجيبــونه إلــى مــا طلبــه منهــم, ومعنــاه المبــادرة وعــدم التــأخير لأن التأخير عن تنفيذ الواجب نقص في الاستجابة, وأضــرب لكم مثلا برجل أمر ابنه أن يأتي إليه بحاجة فتوانى الابن وبقي ساعة أو ساعتين ثم جــاء بالحاجــة فهــل يقــال أن الابن امتثل امتثالا كاملا ؟ لا, الامتثال الكامــل بالمبــادرة **.** وهذا معنى قوله : **(( استجابوا لربهم ))**

ومن فوائد الآية الكريمة : العنايــة بإقامــة الصــلاة, وجــه ذلــك أن اللــه نــص عليهــا بعــد التعميــم لأن قــوله :

**(( استجابوا لربهم ))** يشـمل الصـلاة وغيرهـا, فلمـا قال أقاموا الصلاة نص عليها بخصوصها, وهذا دليل على العناية بها, وحـق واللـه أن يعتنـى بهـا لأنـه ليـس هنـاك عبادة أقوى صلة بـك فـي اللـه عـز وجـل مـن الصـلاة, الإنسان يتصدق لكـن لا يشـعر بالصـلة بينـه وبيـن ربـه, يصوم يحج, لكن الصلاة الحقيقية الشـرعية أن الإنسـان يشعر بأنه فـي صـلة بينـه وبيـن اللـه, ومـن أجـل ذلـك سميت صلاة لأنها صلة بين الإنسان وبين اللـه, إذا قـال الإنسان: الحمد للـه قـال اللـه: حمـدني عبـدي، وهكـذا محاورة, ثم هو يشعر بأنه إذا ركـع ففـوقه رب يعظمـه, وإذا سـجد فكـذلك يضـع أشـرف أعضـائه فـي مـواطئ الأقـدام ولـذلك صـارت العنايـة بالصـلاة حيـث قـال: **(( وأقاموا الصلاة ))**.

أين فرضت الصلاة ؟ فرضت الصلاة ليلـة المعـراج مـن الله إلى الرسول بدون واسطة, هذا يـدل علـى أهميتهـا والعناية بها, ثم إنها فرضت خمسين صـلاة وخفـف اللـه علـى العبـاد فجعلهـا خمـس صـلوات لكنهـا فـي الواقـع خمسـون صـلاة بمعنـى أنـك إذا صـليت فريضـة واحـدة كأنما صليت عشرا, ليـس مـن أجـل أن الحسـنة بعشـر أمثالها لأن هذا لجميع الحسنات لكن كأنك صليت الظهر مثلا عشر مرات, صليت وسلمت حـتى بلغـت العشـرة, وبهذا يظهر الفـرق بينهـا وبيـن سـائر العبـادات الثـواب الحسـنة بعشـر أمثالهـا, لكـن هـذه كأنـك فعلا صـليت خمسين صلاة.

من فوائد الآية الكريمة مراعاة الأحوال الاجتماعيـة وأن الأمـور العامـة يجـب التشـاور فيهـا لقـوله تعـالى :

**(( وأمرهم شورى بينهم ))**.

وهل تدل الآية علـى أن الإنسـان إذا أراد أن يفعـل فعلا خاصا به يشاور ؟ لا, لا تدل علـى هـذا, لكـن المشـاورة مشــروعة, إذا أشــكل عليــك شــيء فلــديك شــيئان: الاستخارة والمشاورة, لكن الأمر العام لابد من التشاور فيه, يستثنى من ذلك إذا بان الأمـر لـولي الأمـر فـإنه لا حاجــة إلــى المشــاورة فيــه, يعنــي لــو تــبين للأميــر أو الرئيس أو الملك مصـلحة مـا يريـد فلا حاجـة للتشـاور, لأن التشاور يرجع إليه متى ؟ عند الإشكال والتردد, أمــا مــع ظهــور المصــلحة فلا حاجــة إلــى أن يشــاور, لأن المشورة حينئذ لا تزيد الأمر إلا إشكالا وفوضى, فالناس ليسوا على رأي واحد, إذا أردت أن يتمزق الأمر فضــعه بين يدي عشرة, وإن أردت أن يذوب بالكلية فضعه بيـن يدي عشرين, لابد من اختلاف الناس؛ إذا أمرهم شورى بينهم علـى عمـومه أو يسـتثنى منـه ؟ يسـتثنى منـه مـا ظهرت مصلحته لولي الأمر فإنه لا حاجة إلى أن يشاور, ويدل لهذا الاستثناء عمل السلف الصالح, فهـا هـو عمـر رضي الله عنه وهو من أشد الخلفاء اهتمامـا بالرعيـة لا يشاور إذا كانت المصـلحة ظـاهرة لـه وإنمـا يشـاور إذا أشكل عليه الأمر, لو أحصيت مـا شـاور فيـه مـا بلـغ إلا العشرات أو أقل وقد بقي عشر سـنوات فـي الخلافـة؛ هذا العمل السلفي مـن الخلفـاء الراشـدين يقيـد قـوله تعالى: **(( وأمرهم شورى بينهـم ))** إذا يسـتثنى ولا حاجة للمشاورة لأن المشاورة في هذه الحال ضرر في تنفيذ الأمر والمضي فيه.

ومن فوائد الآية الكريمـة: أن مـن صـفات الـذين آمنـوا

وعلى ربهم يتوكلون بذل المال في طاعـة اللـه لقـوله: **(( ومما رزقناهم ينفقون ))**.

وهل يطلب من الإنسان أن ينفق جميع ماله؟ هذا ينبني علـى ( مـن ) هـل هـي للتبعيـض أو للجنـس, إذا قلنـا للتبعيض صار المدح على من أنفق بعض ماله, وإذا قلنا للجنس أي أنهم ينفقون من هـذا الجنـس الـذي رزقهـم الله صار عاما, والتفصيل هو التأصيل إن شـاء اللـه: إذا كان الإنسان لا ينقص إنفاقه شيئا مـن واجبـات الإنفـاق على الأهل فلا حرج أن ينفق جميع ماله, مثل أن يكـون عند الإنسان مائـة ريـال لا يحتاجهـا للإنفـاق علـى أهلـه وليس عنده سواها نقـول هنـا: أنفـق جميـع المـال, ثـم اكتسب للإنفاق على أهلك, كما فعل أبو بكر رضي اللـه عنه, أما إذا كان يحتاج المال للإنفاق الواجب على أهلـه وهو ضعيف الاكتساب فهنا نقول: لا تنفـق جميـع مالـك, أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك .

الطالب : ... قد تظهر له المصلحة في شيء وليس فيه مصلحة ؟

الشـيخ: هـو مـؤتمن, الأصـل أنـه مـؤتمن, وإذا أراد أن يخون منع الشورى ولو احتاج لها.

الشيخ: في ذمته هذه, لأننا لو قلنا أن ولي الأمر يشـاور في كل شيء مشكلة ولا يمكن تستقيم الحال, معناه لو يكتب للشرطة احبسـوا فلانـا لأنـه أسـاء نقـول : اجمـع الناس شاور.

الطالب : ناس معينين.

الشيخ: ما يخالف, معينيـن بأشخاصـهم ليـس معنـاه أن كل الناس يجابون, جاء بالشورى هل نقول كـل مسـألة

تتعلق بالعامة لابد أن تشاور عليها ؟ لا يمكن هذا, وكما قلت الآن بينا لك أن عمر رضي الله عنه من أشد الخلفاء مشاورة ومع ذلك تكاد تحصي مشاوراته, لابد من هذا وإلا ما يستقيم الأمر, نعم.

الطالب : الإنسان إذا أشكل عليه شيء هل يبدأ بالاستخارة أم بالاستشارة ؟

الشيخ: سؤال جيد, يقول إذا أشكل على الإنسان الشيء هل يبدأ بالاستخارة أو الاستشارة, نقول يبدأ بالاستخارة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **( إذ هم أحدكم بالأمر فليصل ركعتين )** هم: يعني أصابه الهم فيه وتردد وشك, وليس مراده أن كل أمر تهم به تصلي ركعتين, إذا هم أحدكم بالأمر, إذا هم الإنسان يروح يتغذى يصلي ركعتين يستخير ؟ لا, **( إذا هم أحدكم بالأمر )** يعني إذا أهمه الأمر ولم يتبين له شيء فليصلي ركعتين, فنقول : ابدأ أولا بالاستخارة لوجهين :

الأول : أنه ظاهر الحديث .

الثاني : أن كونك ترجع إلى الله خير من كونك ترجع إلى آراء الناس واضح, فإذا نبدأ بالاستخارة قبل الاستشارة.

ثم قال الله تبارك وتعالى.

القارئ : **(( وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ))**[الشورى:39] .

الشيخ : قال الله عز وجل : **(( وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ))** الواو حرف عطف, والمعطوف هنا باعتبار الصفات أي من صفاتهم أنهم إذا

بغى عليهم أحد انتصروا لأنفسهم, إذا أصابهم البغـي أي العـدوان مـن أحـد عليهـم هـم ينتصـرون لأنفسـهم, لا يظهـرون مظهـر الضـعيف الـذليل بـل ينتصـر لنفسـه, والانتصار للنفس في مقام العز أمـر مطلـوب, أمـا فـي مقام التواضع فهذا شـيء آخـر يـأتي إن شـاء اللـه فـي المستقبل, يقـول: " **(( هم ينتصـرون )) صـنف ",** المؤلف رحمـه اللـه ذكـر أن الـذين آمنـوا وعلـى ربهـم يتوكلـون صـنفان ولكـن الصـحيح أن هـذا كلـه وصـف لموصوف واحد وليس هناك أصناف, وعليه فنقول: مـن صفات الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون أنهـم ينتصـرون لأنفسهم إذا ظلموا, " **أي ينتقمـون ممـن ظلمهـم بمثل ظلمه** " بـدون عـدوان علـى أن قـوله: **(( هـم ينتصرون ))** لا يستلزم أن يأخذوا لأنفسهم بحقها, بـل إذا انتصروا فلهم أن يعفوا, وإذا عفـوا مـع القـدرة كـان ذلك أكمل.

من فوائد هذه الآية الكريمة: أن من صفات الذين آمنـوا وعلى ربهم يتوكلون أنهـم لا يرضـون بالـذل والانخنـاس عن الأخذ بحقهم لقوله: **(( الذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ))** وهل من لازم الانتصـار أن يقتـص أو أن يكون له اليد العليا سواء بالقصاص أو بالعفو أو بغير هذا ؟ الظاهر الثاني لأنه أعم, لأن مـن عفـا عـن قـدرة وعزة فإنه لا شك منتصر, ومن أخذ بحقه فهو منتصر.

ومن فوائـد هـذه الآيـة الكريمـة: أن هـؤلاء لا ينتصـرون لأنفسهم إلا إذا تحققوا البغي عليهم, وأما مجرد التهمـة فلا يعتبرونها يؤخذ من قوله: **(( إذا أصابهم البغي ))** فلو اتهموا أحدا أنه ظلمهم فـإنهم لا يتحركـون لكـن إذا

أصابهم البغي حينئذ ينتصرون.
في هذه الآية من الفوائد أنه يجب علـى مـن انتصـر إذا أصابه البغي ألا يتجاوز الحد في الاستيفاء.
ثم قال الله تبارك وتعالى .
القارئ: **(( وَجَزَاءُ سَـيِّئَةٍ سَـيِّئَةٌ مِثْلُهَـا فَمَـنْ عَفَـا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ))** [[الشورى:40]].
الشيخ: **" (( وجزاء سيئة سـيئة مثلهـا )) سـميت الثانية سـيئة لمشـابهتها للأولـى فـي الصـورة وهذا ظـاهر فيمـا يقتـص فيـه مـن الجراحـات, قال بعضهم: وإذا قال لـه أخـزاك اللـه فيجيبـه أخــزاك اللــه "** قــوله: **(( وجــزاء ســيئة ســيئة مثلها ))** هذه في الحقيقة قاعدة أن للإنسان أن ينتقـم لنفسـه السـيئة بمثلهـا لا يزيـد, لأنـه إن زاد فقـد ظلـم, والزيادة قد تكون في الكمية وقد تكون في الكيفية وقد تكون في النوعية, فإذا انتصر لنفسه فضرب من ظلمـه ثلاثا وقد ظلمة باثنتين من باب الكمية, وإذا ضـرب مـن ضـربه ضـربا خفيفـا فانتصـر لنفسـه بضـرب ثقيـل هـذا بالكيفية, وإذا ضـرب مـن اعتـدى عليـه بسـوط ضـعيف بسـوط أكـبر هـذا النوعيـة, المهـم أنـه لابـد أن تكـون المجازاة بمثل السـيئة الـتي أسـيئ إليـه فيهـا ولا تزيـد, فـإن زاد فهـو ظـالم, ولهـذا يقـال: هـذه بهـذه والبـادي أظلم.
طيـب وقـول المؤلـف رحمـه اللـه تعـالى: **" سـميت الثانية سيئة لمشابهتها الأولـى فـي الصـورة "** فيه نظـر واضـح, فالمقاصـة سـيئة, لكـن ليسـت سـيئة

بالنسبة للفاعل, بل هي سيئة بالنسبة لمن اقتـص منـه, تسـوءه وتـؤلمه وتـرد اعتبـاره إذا كـان يـرى أنـه فـوق صـاحبه, فهـي سـيئة لا باعتبـار الفاعـل ولكـن باعتبـار المقتص منه, وأما قوله: إنها مشابهة للأولى, فلا يمكـن أن تطلق سيئة لمطلق المشابهة أو لمجرد المشابهة **(( وجزاء سيئة سيئة مثلها ))** طيـب هـذا فـي الواقـع هذه قاعدة في جميع الاقتصاص, فلننظر إذا شـق ثوبـك هل تشق ثوبه ؟ ظـاهر الآيـة نعـم, لكـن إذا كـان ثوبـك رديئا يساوي عشرة وثوبه جيد يساوي مائـة تشـق ثـوبه أو لا تشق ؟ طيب إذا شـققته فنقـص عشـر قيمتـه كـم يكون ؟ ينقص العشـر, مثلا هـذا الثـوب يسـاوي عشـرة ريالات شقه المعتدي بشق ينزل قيمته العشـر, العشـر كم من عشرة ؟ واحد, ثوبه يساوي مائة فشققته بشـق يساوي العشر كم ينقص ؟ عشـرة, الآن أخـذت عشـرة مقابل واحد, فهل نقول العبرة بـالمعنى فـإنه لمـا شـق ثوبك أذلك وأنت إذا اقتصصت منه وشققت ثوبه أذللتـه وهو البادي, فنشق ثوبه ولو كان أغلى ؟ أو نقول نشـق ثوبه إن كان ممـاثلا للأول أو مقاربـا لـه وإلا فلا ؟ نعـم, لأن هذا الذي ثوبه بعشرة ينكسـر اعتبـاره كالـذي ثـوبه بمائة, والمقصود إذلال المعتدي وكسـر اعتبـاره, وعلـى هذا فنقـول: مـن شـق ثوبـك فشـق ثـوبه, طيـب وهـل المعتبر المساحة أو المعتبر النسبة ؟ هذا إنسان قصير.

هذا إنسان قصير شق ثوبه بمقدار شبر, الشبر هذا يساوي العشـر مثلا من ثوبه, والآخر طويل جدا شق ثـوبه بمقـدار شـبر هـل يتسـاوى فـي النسبة مع ذلك ؟ لا يتساوى, إذن نسأل الآن هـل المعتـبر المسـاحة أو النسبة ؟ العدل أن يكون المعتبر النسبة, فإذا شـق نصـف هـذا الثـوب القصير مساحته ذراع, والطويل شقه بمساحة ذراع لكنه طويـل طـول الأول مرتين, هل يكفي أو لا يكفي ؟ لا يكفي, نقول: شق إلى أن تبلـغ النسبة إذا كان العشر فهذا العشر, لأن هذا هو العدل في الحقيقة, لأن المعتدي أفسد عشر ثوب المعتدى عليه فلنفسد عشر ثوبه مع أنـه هـو المعتدي, وهذا ينطبق تماما على قـول اللـه تبـارك وتعـالى **(( وجزاء سيئة ،سيئة مثلها ))**.

طيب رجل قال لشخص مع المغاضبة: أنت حمار, هـل يقـول لـه: أنـت الحمار ؟ لا يقوله, كيف لا يقـوله, لكـن هـل يقـول: أنـت حمـار وأبـوك حمار ؟ الجواب: لا, هذا عدوان, لكن يقول: أنت حمار.

طيب إذا قال له: لعنك الله, هل يقول: بـل لعنـك أنـت ؟ معكـم كتـاب الله **(( جزاء سيئة سيئة مثلها ))** له أن يقول هذا, ولـذلك إذا لعـن الإنسان شخصا لم يكن أهلا له, أين تـذهب اللعنـة ؟ ترجـع إلـى الأول, فيعاقب بمثل ما فعل.

اسـمع كلام المؤلـف : **" وهـذا ظـاهر فيمـا يقتـص فيـه مـن الجراحات "** واضـح هـذا: **(( وجزاء سـيئة سـيئة مثلهـا ))** الـذي يقتص فيه من الجراحات كل عضو قائم بنفسه, وكل جـرح ينتهـي إلـى عظم, هذا فيه القصاص, كل عضو قائم بنفسه مثل العين والأصبع ومـا أشبه ذلك هذا يقتص, رجـل قطـع خنصـرك تقطـع خنصـره, واضـح, أو جرح ينتهي إلى عظم, جرحه في رأسه حـتى بـان عظـم رأسـه يقتـص منه, جرحه في ساقه حتى بان العظم يقتص حتى لو كانت طبقة اللحم التي على العظم في الجاني أغلظ, يقتص حتى يصـل إلـى العظـم, إذا كان الجرح لا يصل إلى العظم مثل أن جرحه في فخذه جرحا لـم ينتـه إلى العظم, هل يقتص منه ؟ يقـول الفقهـاء: إنـه لا يقتـص منـه وذلـك لعدم انضباط القصاص, لا ينضبط إلا إذا وصل للعظم, لكن نظرا لتقدم الطب نقول: إذا أمكن أن يقتص منه اقتص منه.

طيب إذا قطع يده من نصف الذراع يقتص منه أو لا ؟ الفقهاء يقولـون: لا يقتص منه لعدم الانضباط, لكن إذا كان مـن المفصـل كمـا لـو قطـع كفه من مفصلها يقتص منه, والصحيح في الصورة الأولى إذا قطع يـده

من نصف الذراع أنه إذا أمكن القصاص فإنه يقتص منـه, وفـي عصـرنا الآن يمكن أو لا ؟ يمكن على الشعرة أو أدنى من الشعرة, فإذا كـان لا يمكن وقال المجني عليه: اقطعوا يده وأنا أعفو عما قطع مـن الـذراع, اقطعوا كف الجاني والزائد أعفو عنه؛ الصحيح أنه يقتـص منـه, فتقطـع كف الجاني, وإذا أسقط الزائد أعني المجني عليـه سـقط, طيـب فـإن قال المجني عليه أنا أريد أن تقصوا كفـه وآخـذ أرش الزائـد, لـه ذلـك, لأن الله يقول: **(( والجروح قصاص ))** وهنا يقول: **(( وجزاء سيئة سيئة مثلها ))**؛ وهذا ظاهر فيما يقتص فيه مـن الجراحـات وهـو كـل عضو مستقل أو جرح ينتقي إلى عظم, والباقي فيه خلاف, قـال بعـض العلماء: وإذا قال له أخزاك الله فيجيبه أخزاك اللـه لقـوله: **(( وجزاء سيئة سيئة مثلها ))** طيـب إذا قـال: لعـن اللـه أبـاك, مـاذا تقـول ؟ تقول: لعن الله أباك, لا, قال النبي صلى الله عليه وسلم: **( لعن الله من لعـن والـديه قـالوا: يـا رسـول اللـه وهـل يلعـن الرجـل والديه قال: نعم يسب أبـا الرجـل فيسـب أبـاه ويسـب أمـه فيسب أمه )** هذا يدل على إيش ؟ ... نقول إن قـول الرسـول صـلى الله عليه وسلم هذا لبيان الواقـع لا لبيـان الحكـم الشـرعي, يعنـي أنـه جرت العادة في المسابة بين الناس أن الرجل إذا سب أبا الرجل سب أباه, وهذا شيء تعرفونه وإن لم تعرفوه فاعرفوه, انزل الأسواق انظر المسابة بين الناس, إذا سب أباه سب أباه, فيكون قـول الرسـول هـذا بيان للواقع, وبيان الواقع لا يعطي الجواز شرعا, والدليل على أن بيـان الواقع لا يعطي الجواز قول النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: **( لتتبعن سنن من كان قبلكم اليهود والنصارى )** هـل لنـا أن نبـع اليهـود والنصارى ؟ لا, ولكن هـذا لبيـان الواقـع, كـذلك أيضـا أخـبر أن المـرأة تسافر من كذا إلى كذا وحدها لبيان الواقع ليس لبيان الحكم الشرعي, إذا قال قائل: ما هو الذي حملك على أن تجعل قوله يسـب أبـا الرجـل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه أن هذا لبيان الواقع لا لبيـان الحكـم الشرعي ؟ أقول: الذي حملني على هذا أنه لا يجوز العدوان على أحد لم يقع منه عدوان هـذا ظلـم, كيـف أسـب أبـاه ؟ هـذا ظلـم ولا شـك, والظلم لا يأذن به الشرع, لكن لـو قـال قائـل: إنـه إذا لعـن والـديه فلا تطيب نفس الذي لعن والداه إلا إذا لعن والدي الأخ, لأن لعن الوالـدين إذلال للولد وهو يريد أن يطيب نفسه, نقول الحمد لله هذا ليـس هنـاك ضرورة إذا لعن والديك العنه هو, وهذا أشد في الإذلال.

فالحاصل أنه إذا دعا على أبيك وأمك لا تـدعوا علـى أبيـه وأمـه لأنـه لا ذنب لهمـا, والحـديث عرفتـم الجـواب عنـه أنـه بيـان للواقـع لا للحكـم الشرعي, ولكن لك أن تحول السب واللعن إلـى نفـس الفاعـل لا إلـى والديه, أي نعم.

الشيخ: يسأل يقول هل القاتل يقتل بمثل ما قتل به أو يقتل بالسيف ؟

الجواب: يقتل بمثل ما قتل به لأن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم رض رأس اليهودي بين حجرين لأنه رض رأس الجاريـة بيـن حجريـن, وقـال عز وجل: **(( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتـدى عليكم ))** لكن استثنى العلماء ما لم تكـن الوسـيلة محرمـة لـذاتها فلا يقتص منه, قالوا: فلو تلوط بطفـل صـغير وهـو يعـرف أن هـذا الفعـل يقتله, ثم مات الطفل من أجل هذا, فهل نقيم رجل يتلوط بهذا ؟ لا, ما نفعل, قال بعض العلماء: ما نفعل هذا معلوم لأن اللـواط محـرم لـذاته لكن ندخل خشبة في دبره حتى يموت, هذا له وجهة نظر, لكـن عنـدي أن فيـه نظـرا, وذلـك لأن الخشـبة أشـد ألمـا مـن اللـواط فلا يمكـن القصاص.

قال الله تبارك وتعـالى **(( وجزاء سـيئة سـيئة مثلهـا ))** علـى أي شيء حمل المؤلف السيئة الثانية ؟ على مشـابهة الأولـى فـي اللفـظ, نعم عن طريق المشاكلة, طيب هل كلامـه صـحيح أو لا ؟ غيـر صـحيح, كيف ذلك ؟ إذن هي سيئة بالنسبة للمقتـص منـه, وإبقـاء اللفـظ علـى ظاهره خير من تحريفه بدون دليل.

قال الله تعالى **(( فمن عفا وأصلح فأجره على الله ))** من هـذه شرطية فعل الشرط عفا, والمعطوف عليه جملة فأجره على الله هي جواب الشرط, يقول الله عـز وجـل: **(( فمن عفـا ))** أي لـم يؤاخـذ بالذنب يعني عمن ظلمـه؛ **(( وأصلح ))** يقـول: **" الـود بينـه وبيـن المعفو عنه (( فأجره على الله )) أي أن الله تعالى يأجره لا محالة ",** قـوله: **(( فمن عفـا ))** قـال المؤلـف: **" عـن ظـالمه "** وهذا واضح, والعفو عنـه يعنـي عـدم مؤاخـذته (( وأصـلح )) يقـول**: " الود بينه وبين ظالمه "** وهذا تفسير قاصر جـدا, بـل المـراد أصـلح في عفوه, أي صار عفوه مشتملا على الإصلاح, وإنما قلنا ذلـك لأن مـا ذكرنـاه أعـم وأنفـع بالنسـبة للمعنـى, إذا **(( أصلح ))** المؤلـف يراهـا قاصرة على إصلاح الود بينه وبين من ظلمه, والصواب أن المراد أصلح فـي عفـوه أي كـان عفـوه إصـلاحا, **(( فأجره علـى اللـه ))** يقـول

المؤلف: " **أي أن الله يأجره لا محالة** " أجر بمعنى ثواب, وسمى الله سبحانه وتعالى الثواب أجرا لأنه في مقابل عمل كأجرة الأجير إذا قام بعمله, وفيه أيضا إيماء إلى أن هذا الثواب واجب كما يجب إعطاء الأجير أجره, وقول المؤلف: " **فإن الله يأجره لا محالة** " أخذ هذا المعنى يعني قوله: " **لا محالة** " من كون الجملة اسمية لأن الجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستمرار.

من فوائد هذه الآية الكريمة: أنه يجب أن تكون المقاصة على وجه العدل, فتكون جزاء السيئة سيئة مثلها, فلا يجوز أن يعتدي في القصاص لا القولي ولا الفعلي, ولننظر لو أن رجلا سبك بوصفين وسببته بثلاثة أوصاف, نقول: يجوز أو لا يجوز ؟ ... لأن الله قال: (( **وجزاء سيئة سيئة مثلها** ))؛ طيب لو أن رجلا قطع يد إنسان وطلب القصاص فقال الجاني: أنا أريد أن أضع بنجا في يدي حتى لا أحس بالألم, وقال المجني عليه: لا, القول قول المجني عليه, لأن الجاني أتى مفسدتين الإيلام وفقد العضو, فلا تتم المقاصة إلا إذا حصل هذان الأمران بالنسبة للجاني؛ طيب ولو أن سارقا حكم عليه بقطع اليد وطلب أن تبنج يده أيجوز هذا أم لا ؟ يجوز, لأن المقصود بالنسبة للسارق إعدام اليد المتعدية, وهو حاصل, وليس هناك قصاص حتى نقول: لابد أن يكون المثل بالمثل.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تأكيد المقاصة بالعدل لقوله: (( **وجزاء سيئة سيئة مثلها** )) فأكد ذلك بقوله: (( **مثلها** )) لو أراد المجني عليه أن يأخذ بعض حقه يجوز أو لا يجوز ؟ يجوز ؟ والآية تقول مثلها, يعني معناه إذا أردنا العدل فهذا هو, وإذا عفا الإنسان عن حقه الخاص به فلا بأس, كما أنه لو عفا مطلقا فلا حرج عليه.

ومن فوائد قوله تعالى: (( **فما عفا وأصلح ... ** )) إلى آخره الحث على العفو إذا كان إصلاحا, فإن لم يكن إصلاحا فالأخذ بالحزم أولى, دليل هذا أن الله قال: (( **فما عفا وأصح** )).

يتفرع على هذا مسألة مهمة لو أن الجاني معروف بالشر والفساد فاعتدى على شخص, هل نقول الأفضل أن يعفوا عنه ؟ الجواب: لا, لا نقول, بل نشترط أن يكون ذلك إصلاحا, هذا الرجل الشرير المعروف بالشر إذا جنى على شخص, هل نقول للمجني عليه اعف عنه فأجرك على الله ؟ لا, لا نقول هذا, لأننا لو عفونا عن هذا الرجل الشرير في هذه القضية المعينة فعل مثلها أو أشد بعد ذلك, لأنه أخذ على العفو

فكان يأمل أن يعفو عنه في كل فعل, إذا كان الجاني شريرا معروفا بالفساد فجنى على شخص, فهل نقول الأفضل أن تعفو عنه أو أو أن تأخذ بحقك ؟ ذكرنا أن الأفضل في هذه الحال أن تأخذ بحقك لأن هذا الرجل الشرير المجبول على الشر إذا عفوت عنه الآن ذهب يفعل ما هو أشد؛

الثاني: يجب أن نعلم أن قوله تبارك وتعالى: **(( وأن تعفوا ... أقرب للتقوى ))** هذه الآية المطلقة تقيد بهذه الآية, بل كل نص فيه الحث على العفو فهو مقيد بهذه الآية, إذن لابد أن يكون العفو ؟ إصلاحا, لابد أن يكون العفو إصلاحا؛ انتبهوا لهذا.

طيب لو أن أحدا صدم شخصا وهو يقود السيارة فمات, فهل الأفضل لأولياء المقتول أن يعفوا عن الدية أو أن يأخذوا بالدية ؟ فيه تفصيل: وهو إن كان هذا الرجل معروفا بالتهور وعدم المبالاة, وكما يقول بعض السفهاء: الدية في الطبلون, فهذا لا ينبغي أن يعفى عنه, وأما إذا كان رجلا ذا مروءة ونعلم أن هذا أمر حصل منه كما يقول العوام فوات حرص, فإن الأفضل أن يعفى عنه, وهذه الآية هي ميزان العفو المحمود والغير محمود.

من فوائد هذه الآية الكريمة: تفضل الله تبارك وتعالى على عباده حيث أوجب على نفسه أجر العافي, يؤخذ من: **(( فأجره على الله ))** ضمن الله عز وجل لهذا العافي الأجر, لكن بشرط أن يكون ذلك إصلاحا.

**قال: " (( إنه لا يحب الظالمين )) أي البادئين بالظلم فيترتب عليهم عقابه "** قوله: (( إنه لا يحب )) الضمير يعود على الله عز وجل (( لا يحب الظالمين )) أي المعتدين سواء ظلموا أنفسهم أو ظلموا غيرهم, فصاحب المعاصي غير محبوب إلى الله عز وجل, والمعتدي على عباد الله غير محبوب لله عز وجل, وقول المؤلف رحمه الله تعالى: **" أي البادئين بالظلم "** فيه نظر الآية عامة تشمل الظالمين ابتداء والظالمين في الثاني, بمعنى أن المبتدأ بالظلم غير محبوب إلى الله وكذلك من تجاوز في حقه فإنه غير محبوب عند الله, فإبقاء الآية على إطلاقها أولى, أي: لا يحب الظالمين ابتداء ولا اقتصاصا, نعم.

الشيخ: السؤال يقول: إن بعض العلماء أخذ من قوله: **(( وجزاء سيئة سيئة مثلها ))** أن الإنسان لو جحد لك مالا فلك أن تأخذ من

ماله بمقدار ما جحد بدون علمه ؟
طيب ونقول: نعم هذا ظاهر الآية أنه إذا أخذ مـن مالـك وقـدرت علـى استرداده من ماله فلك هذا, ولكن قال النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: **( أد الأمانة إلى ما ائتمنك ولا تخن مـن خانـك )** ولـو فتـح هـذا الباب لكانت الأمور فوضى, كل واحد يأخذ من مال الثـاني ويقـول: قـد جحدلي مالي, فلا يستقيم هذا, عمليا لا يستقيم, وأما قضية الهنـد فـإن السبب فيها ظاهر كل الناس يعرفون أن هذه زوجته, وأنـه يجـب عليـه أن ينفق, فإذا أخذت من ماله بغير علمه وقالت: إنه لا ينفق علـي, لـم يقل الناس شيئا لأن السبب ظاهر, ومثلها لـو نـزل الضـيف علـى أحـد ولم يقدم له الضيافة, وقدر على أن يأخذ شيئا من مـاله بقـدر ضـيافته فله ذلك, لأن السبب ظاهر, وبهذا يتم الجمع بين الأدلة.
ثم قال الله تعالى .
القارئ : **(( وَلَمَنِ انتَصَـرَ بَعْـدَ ظُلْمِـهِ فَأُوْلَئِـكَ مَـا عَلَيْهِـمْ مِـنْ سَبِيلٍ ))**[الشورى:41].
الشـيخ : **(( ولمن انتصـر بعـد ظلمـه فأولئـك مـا عليهـم مـن سبيل ))** اللام في قوله: (( ولمن )) اللام للابتداء, ومـن اسـم شـرط جازم, وفعـل الشـرط انتصـر, وجـوابه: **(( فأولئك ما عليهـم مـن سـبيل ))**؛ **(( ولمـن انتصـر ))** يعنـي أخـذ بحـق نفسـه " **(( بعـد ظلمه )) أي ظلم الظالم إياه ",** هنا نسأل ظلـم هنـا مصـدر, هـل هو مضاف إلى الفاعل أو إلى المفعول به ؟ كلام المؤلف يدل على أنه مضاف إلى المفعول به, أي ظلـم الظـالم إيـاه, وعلـى هـذا فالمصـدر مضاف إلى مفعوله لا إلى فاعله, ولا يصح أن يكون مضافا إلـى فـاعله لأنه لو كان كـذلك لكـان المعنـى: ولمـن انتصـر بعـد أن يظلـم النـاس فأولئك مـا عليهـم مـن سـبيل, والظـالم غيـر معتـد عليـه حـتى ينتصـر لنفسـه, إذن فالمصـدر مضـاف إلـى المفعـول, **(( لمن انتصر بعـد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ))** وقـد سـبق أن اللـه تعـالى مدح الذين إذا أصابهم البغي انتصروا لأنفسهم **(( فأولئك ما عليهـم من سبيل ))** قال: " **مؤاخذة** ". وأصـل السـبيل الطريـق, أي ليـس عليهم طريق للوم والمؤاخذة, ونريد واحد منكم يعـرب قـوله: **(( مـن سبيل ))** من: حرف جر زائد إعرابا, وسبيل مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركـة حـرف الجـر الزائد, والمعنى فأولئك ما عليهم سـبيل, إذ قـال قائـل: مـا هـي فائـدة

حروف الجر الزائدة ؟ فالجواب: أن فائدتها التأكيد, يعني تأكيد النفي.
في هذه الآية الكريمة: إثبات محبة اللـه سـبحانه وتعـالى لـذوي العـدل والقسط, تأخذ ؟ مفهومها أن غير الظالم.
ومن فوائدها: ثبوت صفة المحبة لل ه عـز وجـل, وهـذه المس ألة بحـث عقدي, وجه الدلالة أنه لما نفى محبته للظالمين دل ذلك على أنه يجب العادلين ذوي القسط, وهذا الاستدلال يشابه استدلال الشـافعي رحمـه الله على أن المؤمنين يرون الله بقوله تعالى في الفجار: **(( كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ))** فقال: لو كان محتجبـا عـن الجميـع فلا فائدة للنفي.
ومن فوائد الآية الكريمة التحـذير مـن الظلـم, وجهـه ؟ أن فـي الظلـم انتفاء محبة الله للعبد, وما أعظم الخسارة فيمن خسر محبـة اللـه لـه, اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك, وحب العمـل الـذي يقربنـا إلـى حبك.
ومن فوائد الآية: أن من انتصر لنفسه بعد أن يظلـم فلا اعـتراض عليـه لقوله: **(( ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سـبيل ))**.
ومن فوائدها: أن انتفاء السبيل عمـن انتصـر لنفسـه مشـروط بتحقـق الظلم لقوله: **(( ولمن انتصر بعد ظلمه ))** وأما الأخذ بالتهم فإنه لا يجوز, لابد أن تتحقق أنك مظلوم حتى تنتصر لنفسك.
ثم قال الله تعالى .
القارئ : **(( إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُـونَ النَّـاسَ وَيَبْغُـونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ))** [الشورى:42].
الشيخ : قال اللـه تعـالى **(( إِنَّمَا السَّـبِيلُ عَلَـى الَّـذِينَ يَظْلِمُـونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ ))** قال المفسر: **" يعملـون (( فـي الأرض بغيـر الحـق )) بالمعاصـي (( أولئـك لهـم عـذاب أليـم )) مـؤلم "**, (( إنما السبيل على الذين )) هذه الجملـة فيهـا أداة حصـر وهـي إنمـا, والحصر إثبات الحكم فـي المـذكور ونفيـه عمـا سـواه, فكـأنه قـال: لا سبيل إلا على هؤلاء **(( إنما السبيل ))** أي الطريق إلى اللوم والقدح والمؤاخذة **(( على الذين يظلمـون النـاس ))** سـواء بـأموالهم أو دمائهم أو أعراضهم, فإن النبي صلى الله عليه وسلم أعلـن فـي حجـة الوداع فقال: **( إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام )**, فظلم الناس يدور على هذه الأشياء الثلاثة: الدماء والأموال والأعراض,

فمن اغتاب أحدا فقد ظلمه, ومن أخذ ماله فقد ظلمه, ومن خـانه فـي معاملة بينه وبينه فقد ظلمه, وهذه لا حصـر لأمثلتهـا, المهـم أن الـذين يظلمون الناس عليهـم اللـوم, وقـوله: **(( يبغون ))** فسـرها المؤلـف بقوله: **" يعملون "** وكـأنه تحاشـى أن يجمـع بيـن البغـي وبيـن قـوله: **(( بغير الحق ))** فقال: **" يعملون "** من أجل أن يكون الفعل يبغون له معنى مستقل, وبغير الحق له معنى مستقل, والصـواب إبقـاء الآيـة على ظاهرها, ومعنى يبغون أي يعتدون: من بغى على غيره أي اعتـدى عليـه, قـال اللـه تعـالى **(( وينهـى عـن الفحشـاء والمنكـر والبغـي ))**؛ فقـوله: **(( يبغـون ))** معناهـا يعتـدون علـى غيرهـم ويتجاوزون حدهم في معاملتهم, ويكون قوله: **(( بغير الحق ))** صـفة كاشفة تبين أن كل بغـي فهـو بغيـر حـق, فإبقـاء النـص القرآنـي علـى ظـاهره هـو الـواجب, لاسـيما أن هـذا التفسـير يجعلـه قاصـرا, إذن: **(( يبغون في الأرض ))** أي يعتدون فيها ويتجـاوزون الحـد **(( بغير الحق ))** بيان للواقع فهو صفة كاشفة, إذ أن كل بغي فإنه بغيـر حـق, وقوله: **(( بغير الحق ))** فسرها بأنها المعاصي, ونعم المعاصـي كلهـا بغير حق, لكن لا تفهم من هذا أن ذلك خاص بحق الله بل هو عام فـي حق الله وغيره, فالبغي في حق اللـه محـرم, وكـذلك البغـي فـي حـق الآدمي.

**أولئك لهم عذاب أليم ))** أولئـك المشـار إليـه الـذين يظلمـون **))** النـاس ويبغـون فـي الأرض بغيـر الحـق **(( لهم عـذاب أليـم ))** أي مؤلم, والإيلام بمعنى الإيجاع أي أنه موجع.

**(( ...** في هذه الآية الكريمة: **(( إنما السبيل على الذين**

فيها من الفوائد: أن من ظلم النـاس فـإنه مؤاخـذ, وجهـه ؟ أنـه حصـر المؤاخذة بمن ؟ بمن ظلم الناس وبغى في الأرض بغير الحق.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن البغي ظلم لا حق فيه لقوله**: (( ويبغون في الأرض بغير الحق )).**

ومن فوائد الآية الكريمة: تهديد أولئـك الـذين يظلمـون النـاس ويبغـون في الأرض بغير الحق بالعذاب الأليم لقوله: **(( فأولئك لهـم عـذاب أليم )).**

ومن فوائد الآية الكريمة: أن عذاب هؤلاء عظيم لأنـه أتـى بـه بالجملـة الاسمية على هذه الصيغة المعينة: **(( أولئك لهم عذاب أليم ))**.

ثم قال:

. (( القارئ : **(( ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور**
الشيخ : " **(( ولمن صبر )) فلم ينتصر (( وغفر )) تجاوز "** يعني عن الجاني " **(( إن ذلك )) الصبر والتجاوز (( لمن عزم الأمور )) أي معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعا "**, لمن صبر اللام هذه لام الابتداء وتفيد التوكيد, ومن اسم شرط جازم, وفعل الشرط صبر, وجواب الشرط: **(( إن ذلك لمن عزم الأمور )),** انتبهوا لهذا الإعراب من شرطية, فعل الشرط صبر وما عطف عليه, جواب الشرط: **(( إن ذلك لمن عزم الأمور )),** وهنا إشكال وهو أنه إذا كان جواب الشرط جملة اسمية وجب اقتران الجواب بالفاء كالآية التي قبلها: **(( ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ))** وهنا حذفت الفاء, الإشكال هنا كيف حذفت الفاء في جواب الشرط وهو جملة اسمية ؟ الجواب: أن الفاء قد تحذف وإن كانت الجملة أي جملة جواب الشرط اسمية, وأنشدوا على هذا قول الشاعر:

**" من يفعل الحسنات الله يشكرها "**

من يفعل الحسنات هذه شرطية, فعل الشرط يفعل, جواب الشرط الله يشكرها, وليس فيها فاء, فقالوا: إنه يجوز أحيانا حذف الفاء, واستدلوا بالآية, واستدلوا بالبيت.

قال بعضهم في إعراب الآية: حذف الفاء يدل على أن من ليست شرطية وإنما هي اسم موصول, وعليه يكون المعنى: ولا الذي صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور, والحقيقة أن الإعراب الأول والثاني جائز, لكن كوننا نجعل من اسم شرط كالآية التي قبلها أولى من حيث تلاؤم السياق بعضه مع بعض, ويكون الإشكال في حذف الفاء في الجواب, وجوابها أنها قد تحذف أحيانا.

قوله عز وجل: **(( ولمن صبر ))** أي صبر على ظلم الظالم إياه, وإن شئت فقل: إنها عامة تشمل كل من صبر على أذية من مرض أو سفر أو ما أشبه ذلك, ولكن العموم قد يمنع القول به قوله: **(( وغفر ))** فإن ظاهر هذا السياق أن المراد صبر عن مؤاخذة الظالم, (( وغفر )) أي ستر ما حصل عليه من ظلم (( إن ذلك لمن عزم الأمور )) أي معزوماتها, يعني لدليل على أن الرجل من ذوي العزم لأنه تحمل وستر, تحمل فصبر وعفا فغفر (( إن ذلك لمن عزم الأمور )) ثم قال: ...

ومن فوائد الآية الكريمة: الحث على الصبر والمغفرة لقوله: **(( ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور ))** ولكـن يجـب أن تلاحظـوا الآية السابقة: أن يكون في ذلك إصلاح.

ومن فوائد الآية الكريمـة: أن الأمـور تختلـف فـي العزمـات ومـا دونهـا لقـوله: **(( إن ذلك من عـزم الأمـور ))** ولا شـك أنهـا تختلـف, أن بعضها يكون المقدم عليه ذا عزيمة صادقة ومروءة تامـة وبعضـها دون هذا.

السائل: ... فهل لا يجوز له أن يدعو عليه بأكثر من مظلمته ؟

الشيخ: هذا هو الواجب, لكن قد يظن الظان أن هذه المظلمة لا يسوغ أن يتجاوز فيها, وهي مظلمة عظيمة كدعاء سعد رضي الله عنـه علـى من ظلمه وقال: إنه يظلم الرعية ولا يقسم بالسوية ويؤخر الصلاة عن وقتها, فـدعا عليـه بـدعوة عظيمـة: **" اللهم أعمـي بصـره وأطـل عمره وعرضه للفتن "** فهذه قـد يقـول القائـل: إن هـذه أكـبر مـن ظلمه ولكنها في الحقيقة ليست أكبر, لأن ظلمه له يتضمن القدح فـي ولي الأمر حيث ولى على الناس مثل هذا, نعم .

الطالب : ... ظلم الظالم يختلف باختلاف الناس مثـل أن يأخـذ إنسـان مالا من غنـي فلا يتـأثر بهـا, والقـوي إذا ضـرب الضـعيف فلا تـؤثر فـي القوي ضربته, فهل نأتي بشخص قوي البنية مثله يضربه ؟

الشيخ : لا, ما هو شرط, إذا ضرب مثل ما ضرب يكفي.

الطالب : ما يتأثر.

الشيخ : أولا بارك الله فيك تعلم أن الضـربة أكـثر العلمـاء يقولـون مـا فيهـا قصـاص, إلا أن يمـوت ونعلـم أن مثـل هـذه الضـربة تقتـل غالبـا فيقتص منه, لكن لنقل غير هـذه المسـألة, المثـال الأول الـذي ذكـرت فقير أخذ منه غني عشرة ريـالات صـار فقيـرا معـدما, هـذا الـذي أخـذ عشر ريالات عنده ملايين, إذا أخذ منه عشـر ريـالات مـا ضـره شـيء, فنقول العدل أن يعطى هذا مثل ما أخذ منه فقط.

الشيخ : يقول إن رجلا شريرا اعتدى على آخر فعفا عنه الآخر فهـل لـه أجر ؟

ننظر إذا كان هذا لا يعلم أن الرجل شرير وعفا يريد الإصلاح فلـه أجـر, أما إذا كان يعلـم ولكـن يقـول أعفـوا عنـه ولا أبـالي سـواء سـعى فـي الأرض فسادا أم لا, فإنه يأثم.

الطالب : أحيانا يموت الظالم فهل يجوز الدعاء عليه ؟

الشيخ : يعني بعد موته, لا بأس, له أن يدعو عليه ولو بعد موته, مع أن المظلوم لو فرض أنه لم يدعوا فإن حقه سوف يأتيه يوم القيامة, وهـو إذا استوفى بالدعاء عليه ما أخذ من حسناته يـوم القيامـة, نسـأل اللـه تعالى أن يجمعنا وإياكم برحمته, وأن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى.

قال الله تعالى بدأ الدرس الجديد:

القارئ : (( **وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ** )) [الشورى:45].

الشيخ : قال الله تعالى : (( **ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده** )) من هذه شرطية وهي للعموم, يعني أي أحد يقدر الله تعالى أن يضل فإنه لا يمكن أن يتولاه أحد بعد الله, ومعنى هذا أنه لا يمكن أن يهديه أحد كما قال تعالى في آية أخرى: (( **فمن يهديه من بعد الله** )), (( **فما له من ولي من بعده** )) يقول المفسر : " **أي أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه** (( **وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من ظالمين** )) ", ترى بصرية, والظالمون مفعول به, ويقولون جملة حالية, ولما رأوا العذاب لما هذه جازمة بمعنى حين, ترى الظالمين والمراد بالظالمين هنا الكافرون كما قال الله عز وجل : (( **والكافرون هم الظالمون** )), (( **لما رأوا العذاب** )) أي حين رأوا العذاب بأعينهم (( **يقولون هل إلى مرد من سبيل** )) هل استفهام للتمني, يعني يتمنون أن يكون لهم سبيل إلى الرد, وقوله : (( **إلى مرد** )) أي إلى مرجع, والمراد مرجع للدنيا ليعملوا صالحا, ولكن هذا التمني باء

بالفشل لأن ذلك أمر غير ممكن, بل قد قال الله عز وجل: **(( ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ))** فهم يتمنون هذا ويدعون أنهم إذا رجعوا صلحوا ولكن الأمر ليس بذلك, **(( هل إلى مرد من سبيل ))** قال: أي من طريق, والجواب: لا سبيل, وكما سمعتم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه, كما أنهم إذا غشيهم موج كالظلل في البحار ودعوا الله مخلصين له الدين إذا نجوا عادوا إلى الشرك.

**قال: (( وتراهم يعرضون عليها ))** غدوا وعشيا, كلمة ترى هنا والتي قبلها هل المراد بها الرسول صلى الله عليه وسلم وحده أو ترى أيها المخاطب ؟ الثاني, لأننا إذا قلنا بالثاني صار أعم مما إذا قلنا بالأول, وتراهم أيها الرائي يعرضون عليها غدوا وعشيا.

**وتراهم يعرضون عليها )) أي على النار )) " (( خاشعين )) خائفين متواضعين (( من الذل ))** " من للسببية أي بسبب ذلهم, هؤلاء الذين كانوا في الدنيا مستكبرين متعنجهين لا يرون الناس شيئا ولا يقبلون الحق يعرضون على النار على هذا الوصف, خاشعين من الذل يعني قد امتلأت قلوبهم ذلا, **" (( ينظرون )) إليها (( من طرف خفي )) ضعيف النظر مسارقة "** يعني: ينظرون إلى النار والعياذ بالله من طرف أي من بصر خفي أي ضعيف, يسارقون النظر, كالإنسان الذي هو خائف من شيء تجده ينظر إليه نظرا ضعيفا ثم يصرف النظر على طول, وذلك لشدة ذلهم أعاذنا لله وإياكم من حالهم, **" ومن ابتدائية أو بمعنى الباء ",** من في قوله:

**(( من طرف ))** ابتدائيـة أو بمعنـى البـاء أي ينظـرون بطرف خفي, وإذا دار الأمر بين أن تكون ابتدائيـة علـى بابها أو بمعنى الباء فالأولى أن تجعل علـى بابهـا, يعنـي يبتدئ نظرهم من الطرف الخفي.

**وقال الذي آمنوا ))** قالوا : مثنين علـى اللـه عـز وجل متحدثين بنعمـه قـال: **(( إن الخاسرين الـذين خسـروا أنفسـهم وأهليهـم يـوم القيامـة ))** إن تحتاج إلى اسم وخبر, اسمها الخاسـرين, خبرهـا الـذين خســروا أنفســهم, **(( الــذين خســروا أنفســهم وأهليهم يوم القيامة ))** أي: فقدوها فقدوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة **" بتخليدهم فـي النـار وعـدم وصولهم إلى الحـور المعـدة لهـم فـي الجنـة "** الخاسرين حقيقة ليسوا الـذين فقـدوا المـال ولا الـذين فقدوا الأهل فـي الـدنيا, الخاسـرون حقيقـة هـم الـذين خسروا أنفسهم وأهليهـم, أمـا خسـران أهليهـم فظـاهر لأنه لا يجمع بينهـم وبيـن أهليهـم فـي النـار بخلاف أهـل الجنـة فـإن أهـل الجنـة يقـول اللـه فيهـم: **(( والذين آمنــوا واتبعتهــم ذريتهــم بإيمــان ألحقنــا بهــم ذريتهم ))** حتى إذا كانت الذرية نازلة المرتبة فإن الله يرفعهم إلى آبائهم, هؤلاء والعياذ بالله يفرق بينهم وبيـن أهليهم فـي النـار, حـتى لـو جمـع بينهـم فمـاذا يكـون ؟ فخسرانهم أهليهم واضح, ولكن كيف خسروا أنفسهم ؟ خسروا أنفسهم لأنهـم لـم يسـتفيدوا مـن الحيـاة الـدنيا شيئا, حياتهم خسارة لأنهم لم يستفيدوا منها شيئا, فلـم يؤمنوا بالله ورسله, وقول المؤلف رحمه الله تعـالى: **" بتخليدهم في النار وعدم وصولهم إلـى الحـور**

**المعدة لهم في الجنة لـو آمنـوا "** فـي هـذا نظـر ظاهر, والمراد بأهليهم أهلوهم في الدنيا, وليس المـراد الحور المعدة لهم في الآخرة لو آمنوا لأن هذا قـد علـم من قبل, فإنه يقال للميـت إذا دفـن فـي قـبره: **( هذا مقعدك من الجنة )** يعني لو آمنت, ويقال للمؤمن: **( هذا مقعدك من النار )** يعني لو لـم تـؤمن, فـالمراد بالأهلين هنا أهليهم في الدنيا لـم يربـح, وقـول المؤلـف رحمه الله: **" والموصول خبر إن "** أين الموصـول ؟ **(( الذين خسـروا أنفسـهم ))** هـذا هـو الموصـول, ونبه على ذلك لئلا يظن الظان أن الـذين خسـروا صـفة للخاسرين.

قال الله تعالى: **(( ألا إن الظالمين ))** يقول المفسر : **" الكافرين (( في عـذاب مقيـم )) دائـم وهـو من مقول الله تبارك وتعالى ))** " يعني ليس مـن مقول الذين آمنوا, اتل الآيـة: **(( وقال الـذين آمنـوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسـهم وأهليهـم يـوم القيامـة ألا إن الظـالمين فـي عـذاب مقيم ))** لو نظرنا إلى السياق لقلنا: إن هذا بقيـة كلام المؤمنين, لكن المؤلف نبه على أن هـذا مـن كلام اللـه وليس من كلام الذين آمنوا, والسياق محتمل لهذا وهذا, محتمـل أن يكـون كمـا قـال المفسـر مـن كلام اللـه, ومحتمل أن يكون من كلام الـذين آمنـوا, والـذين آمنـوا يعلمون أن الظالمين في عذاب مقيم من الـوقت الـذي هم فيه في الدنيا, لأنهم قرؤوا كتاب الله وسـنة رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم, وقـوله : **(( ألا إن الظالمين ))** هذه الجملة مؤكدة بمؤكدين:

الأول: ألا, لأن ألا هنـا للتنـبيه والتنـبيه يقتضـي التوكيـد, والمؤكد الثاني: إن الظـالمين, إن لأن إن حـرف توكيـد, في عذاب مقيم أي دائم والعياذ بالله .

في هذه الآيات فوائد : منها أن من أضله الله فلا أحـد يهـديه مهمـا كـانت منزلـة هـذا الـذي حـاول أن يهـديه لقوله : **(( ومن يضلل الله فما له مـن ولـي مـن بعده ))** ويشهد لهذا الحكم العظيم المخـوف مـا جـرى للنبي صلى الله عليه وسلم مـع عمـه أبـي طـالب, أبـو طالب شقيق أبي الرسول صلى الله عليـه وسـلم كـان ينصر الرسول صلى الله عليـه وسـلم ويحـوطه ويـدافع عنه, ولما حضرته الوفـاة كـان عنـده النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم ورجلان مـن قريـش فكـان يعـرض عليـه الإسلام يقول : **( يا عـم قـل لا إلـه إلا اللـه كلمـة أحاج لك بها عند الله )** فقـال لـه الـرجلان : أترغـب عن ملة عبد المطلب, وهي ملة الكفر والشـرك, فأعـاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فأعادا, فكـان آخـر مـا قال : هو على ملـة عبـد المطلـب؛ نسـأل اللـه العافيـة والسلامة, مع محبتـه للرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم وشهادته له بالرسالة, لكنه لم يـذعن ولـم يقبـل, فكـان آخر حياته أن قال : على ملة عبد المطلب ومـات علـى الشرك؛ أذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليـه وسـلم أن يشفع له في تخفيف العذاب عنـه فشـفع لـه, فكـان في ضحضاح من نار وعليـه نعلان مـن نـار يغلـي منهمـا دمـاغه والعيـاذ بـالله, دمـاغه أعلـى شـيء فـي بـدنه, والنعلان في أسفل شيء, وإذا كـان الأعلـى يغلـي فمـا دونه أشد وأشـد, قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم :

**( ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النــار )**, لولا أنا شفعت أو لولا أنا في رسـالتي الـتي كـان يـدافع عنها أبو طالب ؟ الظـاهر أنـه للأمريـن جميعـا لأن اللـه شكر له, بـل لأن اللـه تعـالى أذن للرسـول صـلى اللـه عليه وسلم أن يشفع فيه لما قدمه للإسلام من نصر.

ويؤخذ منه أن من نصر الإسلام ولو مـن الكـافرين فلـه فضل, لأن الإسلام دين العدل يعطي كل ذي حـق حقـه, فمثلا إذا أعان الكفار المسلمين إعانة صادقة نعلـم أنـه ليس لهم طمع في ذلك, وانتفع المسلمون بهذا النصـر, فإنه يجـب أن نعـترف بفضـلهم فـي هـذا البـاب, لأنهـم صنعوا إلينا معروفا, ولأن الدين الإسلامي دين العـدل, لا يظلم أحدا حقه, وأما قول بعض الناس : لن نعترف لهم بالفضل لأنهم كفار, فكفرهم بينهم وبين الله, وتفضـلهم علينا حق يجب أن نعترف به.

طيـب أضـرب مثلا لـذلك فـي قضـية كوسـوفا, قضـية كوسوفا حصل فيها م ا سـمعه كـثير منكـم, ومـن الـذي انتصر لهم ؟ الكفار انتصروا لهم, الحلف الأطلسي وضع كل مـا يملـك مـن معـدات يمكنـه أن يقاتـل بهـا ودافـع عنهم, ولم نسمع أحدا من المسـلمين أرسـل طـائرة أو قذيفة, ولعل لها عذرا وأنت تلوم, لكن كون نجحـد هـذا الفضل غلط, نقـول: هـؤلاء لهـم فضـل وكفرهـم بينهـم وبين الله, ونحن لا نحبهم على كفرهم أبـدا, بـل نشـكر لهم الفضل وإن كنا نكرههم غاية الكراهـة لأنهـم أعـداء الله ورسوله, اسمع هذا إذا علمنا أن النيـة صـادقة, أمـا إذا علمنا أنه مكر وخديعة علما يقينيا فهنـا نـذمهم علـى ما فعلوا ولا نمدحهم ولا نعترف لهم بفضـل, لأن الحكـم

يدور مع علته وجـودا وعـدما؛ أرجـع إلـى الفوائـد طيـب يقول :

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن مـن هـداه اللـه فقـد تولاه, لأنه لمـا نفـى الولاية عـن الظـالمين فإنهـا تثبـت للمـؤمنين, وبـذلك جـاء التصـريح فـي قـوله تعـالى : **(( الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمـات إلى النـور والـذين كفـروا أوليـائهم الطـاغوت يخرجـونهم مـن النـور إلـى الظلمـات أولئـك أصحاب النار هم فيها خالدون ))** .

ومن فوائد هذه الآية : أنه ينبغي للإنسـان أن يلـح علـى الله دائما أن يهديه من الضلال, لأنه إذا كان المرجع في الإضلال إلى الله, فإلى من نلتجئ ؟ إلى الله عز وجـل, ما دام الإضلال والهداية بيد الله فلنرجع إليه.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تحسر وذل الظـالمين إذا رأوا العـذاب لقـوله : **(( وترى الظـالمين لمـا رأوا العـذاب يقولـون هـل إلـى مـرد مـن سـبيل ))** تحسرهم بقولهم: **(( هل إلى مرد من سبيل ))** لأن هذا تمني .

ومن فوائد الآية الكريمة التي بعدها: أن هؤلاء الظالمين يعرضـون علـى النـار علـى أكمـل ذل وأخـزى حـال **(( خاشعين ))** أي ذليلين خائفين من الذل .

ومـن فوائـد هـذه الآيـة : أن المسـتكبرين علـى الحـق المعاندين يجازون بعقاب يناسب معصيتهم, وجه ذلـك ؟ أنهم يعرضون على النـار خاشـعين ذليليـن, ومعلـوم أن العقوبة بالذل مناسبة للمعصية بالاستكبار .

ومن فوائد هذه الآية: أن الظالمين يلحقهم الذل ظـاهرا

وباطنا, الباطن في قوله: **(( خاشعين من الذل ))** والظاهر في قوله: **(( ينظرون من طرف خفي ))** .

ومن فوائد الآية الكريمة: تحدث الذين آمنوا بنعم الله عز وجل لقوله: **(( وقال الذين آمنوا إن الخاسرين ))** فكأنهم يثنون على الله عز وجل بكونهم ربحوا دنياهم وأخراهم.

ومن فوائد الآية : أن العاصي قد خسر نفسه وعلى حسب معصيته تكون الخسارة لأنهم لم يستفد من وجوده في الدنيا شيئا.

ويتفرع على هذا أنه ينبغي للإنسان أن يحاسب نفسه وينظر ماذا صنع, فإن رأى أنه قد ملأ زمانه من الخير المقصود والوسيلة فليحمد الله, وإن رأى أنه أضاعه فليستعتب يؤخذ من قوله: **(( إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم ))** ولنضرب لهذا مثلا رجل قام يصلي ويقرأ القرآن لمدة ساعة, وآخر يلعب هذه المدة, من الرابح ؟ الأول هو الرابح, لأنه ملأ هذا الفراغ عبادة, والثاني خاسر ضائع, حتى أن بعض أهل العلم قال: إنه يحرم عليه ألا يشغل الزمن بالطاعة لأنه كالذي عنده مال فلم ينفقه في سبيل الله, لكن الصحيح أنه إذا لم يعمره بالمعصية فلا له ولا عليه إلا أنه يعتبر خاسرا بالنسبة لمن شغله بطاعة الله, وأنت فكر في هذا عندما تقوم تصلي, قل لنفسك: إن عمرك هو هذا الزمن الذي أمضيته في طاعة الله, عود نفسك على هذا من أجل أن تحرص على أن تعمر زمانك بطاعة الله.

ومن فوائد الآية الكريمة أن عذاب الكافرين دائم لقوله: (( **(( ألا إن الظالمين في عذاب مقيم** )).

ومن فوائدها تأكيد هذه العقوبة لئلا يقول قائل : إن العذاب قد ينقطع.

قال : (( **ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده** )) من شرطية, والفعل مجزوم بها, مجزوم بماذا ؟ نعم بفعل الشرط ! ... علامة جزمه السكون وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين, طيب لماذا اقترن الجواب بالفاء ؟ لأنه مقترن بما.

الطالب : أخبر الله عز وجل أن الكفار يدعون إلى جهنم دعا فكيف نجمع بين: (( **وتراهم يعرضون عليها** )) العرض هذا إيش ؟

الشيخ: يعرضون عليها قبل أن يدخلوها.

الطالب : يعني على الصراط ؟

الشيخ: الله أعلم, يعرضون عليها قبل أن يدخلوها, والكفار لا يحاولون الصعود على الصراط لأنهم يصرفون إلى جهنم في عرصات القيامة.

ثم قال الله تعالى:

القارئ : (( **وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ** ))[الشورى:46].

قال الله تعالى : " (( **وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله** )) **أي غيره يدفع عقابه عنهم** ", (( **وما كان لهم** )) أي للظالمين (( **من أولياء** )) من زائدة إعرابا وهي للتوكيد (( **أولياء ينصرونهم** )) يعني ليس لهم من يتولاهم

وينصرهم من دون الله أي من عذابه, ودون هنـا بمعنـى غير كما فسرها المؤلف رحمه الله تعالى, لأنه لا يمكــن لأحد أن يدفع عذاب الله عمـن أراد اللـه أن يعـذبه أبـدا ولا ينصره منه, في الدنيا لـو أراد ظـالم أن يظلـم أحـدا أمكـن أن يـدفعه, لكـن عقوبـة اللـه لا يمكـن أحـدا أن يدفعها.

قال : **(( ومن يضلل الله فما له من سبيل ))** من يضلل الله جملة شرطية وهي كما سبق جوابها مقــرون بالفاء لأنه اتصل به ( ما ), **" (( فما له من سبيل )) أي طريق إلى الحق في الدنيا وإلى الجنة فــي الآخرة "** بل يكون أعمى والعياذ بالله, ليس لـه سـبيل إلى الحق, ولذلك تجد الذين قضى الله بإضـلالهم يقـدم لهم الحق كالمشمس في رابعة النهار ولكن لا يفهمـونه قد حيل بينهم وبي, واسمع إلى قول الله تعـالى: **(( إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ))** قال الله عز وجل: **(( كلا ))** يعني ليست أساطير الأولين **(( بل ران على قلوبهم مـا كـانوا يكسـبون ))** الـذنوب جعلته يرى الحق باطلا ويـرى الباطـل حقـا, تتلـى عليـه آيـات اللـه كـالقرآن أو التـوراة حيـن لـم تنسـخ, ولكنـه يقول: هذه أساطير الأولين, قد حيل بينـه وبيـن فهمهـا, ولذلك كلما رأيت قلبك مطمئن بالقرآن محبا له متـدبرا له فـاعلم أنـه نقـي مـن الـذنوب, وكلمـا وجـدت الأمـر بالعكس فطهر القلب.

مـن فوائـد هـذه الآيـة الكريمـة : أن الظـالمين لا أحـد ينصرهم من دون الله لأنهـم اسـتحقوا العـذاب ولا مـانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع .

ومن فوائد الآية الكريمة أيضا : أن الإضلال بيد الله وأن من أضله الله لا يمكن أن يرجع للحق لقوله : **(( ومـن يضلل الله فما له من سبيل ))**.

ومنها: أنـه يجـب علـى المـرء أن يلجـأ إلـى اللـه دائمـا ويسأل الله الهداية, وها هو النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ربه أن يهديه, أول ما يدعوا في صلاة اللـه يـدعوا بالاســـتفتاح المشـــهور: **( اللهـــم رب جبرائيـــل وميكائيل وإسرافيل فاطر السـماوات والأرض عالم الغيب والشـهادة أنـت تحكـم بيـن عبـادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيـه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم )** يقول : **( اهدني لما اختلـف فيـه مـن الحق بإذنك )**. فكيف بنا

فالمهم أنه يؤخذ من الآية أن يرجع الإنسـان فـي طلـب الهداية إلى الله تعالى وحده وأن يعيذه من الضلال .

الطـالب : مـا معنـى قولنـا صـفة كاشـفة فـي قـوله: **(( بغير الحق ))** ؟

الشيخ : الصفة الكاشفة هذه معناهـا أنهـا كالتعليـل لمـا سبق, وأيضا ليس لها مفهوم, وهذا هو المهم .

الطالب: الاعتراف للكفار بالفضل فـي بعـض الجـوانب, المستشرقون وما فعلوه من بعض الأشياء ؟

الشيخ : لا المستشرقون ما هم يعملون ... المستشـرق يجوب الأرض لينظر ويفكر ويقدر فنيته سـيئة, أمـا نعـم العمال فنعم, هم يطلبون المال بأي وسيلة .

الطالب **: ...**

الشيخ **: لا: (( إن المنافقين في الدرك الأسفل**

**من النار ))** لا تدل على أن غيرهم لا يكون فيهـا, كمـا لو قلت مثلا: فلان في بيـت فلان, هـل ينـافي أن يكـون أحد في هذا البيت ؟ لا, ما ينافي.

الطالب: قـول النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : **( لولا أنا ... )** والنهي الوارد في قول لو ؟

الشيخ : هذه لولا, وتلك لو, ... أن تقول مـا الجمـع بيـن هذا الحديث وبين النهي عن لو, اسحب السؤال, ويجيء إن شاء الله الجواب, سحبته .

أقول نسبة الشيء إلـى سـببه إذا كـان سـببا صـحيحا لا بأس بها, فمثلا لو أن رجلا سقط فـي البحـر فقـام آخـر فأنقذه يجوز أن يقول: لولا فلان لغرقت, لأنه نسبه إلى سبب معلوم, لكن لو قال: لـولا فلان وهـو مـدفون فـي قبره, هل هذا سبب معلوم ؟ لا, إنسان غرق فـي المـاء وقال: والله لولا الولي فلان سـيدي لغرقـت, يصـح أو لا يصح ؟ لا يصح, شرك؛ المهم خذ قاعـدة نسـبة الشـيء إلى سببه المعلوم يجوز, لكن لا يقـرن مـع اللـه بـالواو, فإن قرن مع الله بالواو صار حراما, مثل أن يقول: لـولا الله وفلان لغرقت, هذا ما يجوز, فنذكر لـك الصـور, إذا قال: لولا الله قيض لي فلانـا لغرقـت, مـا تقـول ؟ هـذا يصح, وهو أعلى الأنواع, لأنه ذكر المسبب والسـبب, إذا قال: لولا فلان لغرقت, هذا جائز لأنه أضافه إلـى سـبب معلوم صحيح, إذا قال: لولا اللـه وفلان لغرقـت, هـذا لا يجوز لأنه شرك بين الله وغيره بحرف يقتضي التسوية, إذا قال: لولا الله ثم فلان لغرقت يجوز, الصور أربعة إذا قال : لولا الله ففلان لغرقـت, هـل الفـاء مثـل الـواو ؟ الفاء تقتضي الترتيب لكنها فـي الواقـع فـي منزلـة بيـن

منزلتين ليست كثم لأن ثم تدل على الترتيب والتراخي, وليست كالواو لأن الواو تقتضي التسوية, فهي في منزلة بين منزلتين, فهل نقول إنها كثم لأنها دالة على الترتيب, أو إنها كالواو لأن ترتيبها يقتضي التعقيب ؟ الأول هو الصواب: لولا الله ففلان, لأنك جعلت فلانا بعد الله عز وجل, وكونه متراخيا أو متعاقبا هذا شيء آخر .

الطالب: يشكل علينا في هذه المسألة ما ذكر عن ابن عباس أنه كان يقول: قول القائل لولا الربان لغرقت السفينة, كان يعد هذا من الشرك الأصغر, فما وجهه ؟

الشيخ : وجهه أمران: أولا: الحديث رواه ابن أبي حاتم فيحتاج إلى تصحيح, ثانيا: أن ابن عباس رضي الله عنهما لعله في وقت الناس قريبون من الشرك, فأراد أن يشدد في هذا الأمر حتى ينتهي الناس عنه, لأن قول الرسول صلى الله عليه وسلم: **( لولا أنا )** واضح أنه أضاف الشيء إلى سببه دون أن يقرنه بمشيئة الله.

ثم قال الله تعالى:

القارئ : **(( اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ))** [الشورى:47].

الشيخ : قال الله تبارك وتعالى : **(( استجيبوا لربكم ))** استجاب بمعنى أجاب, ولهذا قال المفسر: **" أجيبوه بالتوحيد والعبادة "** بالتوحيد ضد الشرك, والعبادة ضد الاستكبار, وهذا واجب على كل مسلم أن يجيب الله تبارك وتعالى بالإيمان به وتوحيده وطاعته **" (( من قبل أن يأتي يوم )) هو يوم القيامة (( لا مرد له من الله )) أي أنه إذا أتى به لا**

**يرده " (( لا مـرد لـه مـن اللـه ))** أي لا أحـد يـرده ويمنعه, وقيل: **(( لا مرد له مـن اللـه ))** أي أن اللـه سبحانه وتعالى لا يرده إذا أتى به, وكلا المعنيين صحيح, فالله تبارك وتعالى إذا أتى به فقـد قضـى بـه فلا يمكـن أن يرده, وكذلك لا يمكن لأحد أن يرده من دون اللـه, لا أحد يمنعه من الله عز وجل, ولـذلك لـو أن أحـدا حـاول أن يرد يوم القيامة لم يتمكن.

**" تلجئون إليه (( يومئذ وما لكم من نكير )) إنكـار لذنوبكم " (( ما لكم من ملجأ ))** هذه جملـة مبتـدأ وخبر قدم فيها الخبر على المبتدأ, وأدخلت مـن الزائـدة على المبتدأ من باب التوكيد, يعني: ما لكم أي ملجأ من دون الله عز وجل, والملجأ بمعنى المعاد أو الملاذ الذي يلوذ به الإنسان عما نـزل بـه, وقـوله: **(( يومئذ ))** أي يومئذ يأتي ذلك اليوم **(( وما لكم من نكير ))** قال: **" إنكـار لـذنوبكم "** فكـأنه فسـر النكيـر بمصـدر وهـو الإنكار, فإن صح ما فسره به: **(( ما لكم من نكير ))** فإنه يشكل على هذا قول اللـه تبـارك وتعـالى : **(( ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا واللـه ربنـا مـا كنـا مشركين ))** وهذا إنكار, فعلى تفسير المؤلف: ما لكم من إنكار لذنوبكم, يحتاج أن نجمع بينه وبين هـذه الآيـة, والجـواب أن نقـول: الجمـع بينهمـا أنهـم ينكـرون أولا يقولون **(( والله ربنا ما كنا مشركين ))** ظنا منهـم أنهم إذا فعلوا ذلك نجوا كما نجا أهل التوحيد, ثم تشـهد عليهـم ألسـنتهم وأيـديهم وأرجلهـم بمـا كـانوا يكسـبون وحينئذ يعترفون ويقرون؛ فيكون الإنكار أولا ثـم الإقـرار

ثانيا, وتكون الآية: **(( ما لكم من نكيـر ))** أي باعتبـار المآل, أي لا يمكنكم أن تنكروا, وقيل: إن نكيـرا بمعنـى منكر كسميع بمعنـى مسـمع, والمعنـى لا أحـد ينكـر مـا نـزل بكـم ويـدفعه عنكـم, وهـذا المعنـى أصـح وأنسـب لسياق الآية, ما لكم من ملجأ وما لكم من منكـر, يعنـي لا ملجأ تلجئون إليه ولا أحد يدافع عنكم وينكـر مـا نـزل بكم **.**

**(( ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم مـن نكيـر ))**

في هذه الآية فوائد :

منها : وجوب الاستجابة إلـى اللـه تعـالى فـورا لقـوله : **(( استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي ))** هذا اليوم الذي هدد الله به هل له وقت محدد فـي عمـر الإنسـان بحيث يستطيع أن يؤخر التوبة والاستعتاب ؟ الجواب لا, لأن الإنسـان لا يـدري مـتى يفجـأه المـوت, وإذا فاجـأه الموت انقطع كل عمل كما ثبت عـن النـبي صـلى اللـه عليه وسلم : **( إذا مات الإنسان انقطع عمله )** فلا فرق بين قيام الساعة الكبرى وبين مـوت الإنسـان مـن حيث انقطاع العمل.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: رأفة اللـه تبـارك وتعـالى بعباده حيث ينذرهم بعذابه قبل الوقوع, ولا شك أن هـذا من رحمته ورأفته بهم وإلا لتركهم يفعلـون مـا يشـاءون حتى ينزل بهم العذاب.

ومن فوائد هذه الآية: أنه لا ملجأ يوم القيامـة مـن اللـه عز وجل, في الدنيا يمكن أن يلوذ الإنسان بـذي سـلطة يستجير به لكن في الآخرة لا.

ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا أحد ينكر مـا نـزل بأهـل

العـذاب مـن العـذاب لقـوله: **(( مـا لكـم مـن ملجـأ يومئذ ))** نعم.

ثم قال الله عز وجل .

القـارئ : **(( فَإِنْ أَعْرَضُـوا فَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ عَلَيْهِـمْ حَفِيظًـــا إِنْ عَلَيْـــكَ إِلَّا الْبَلاغُ وَإِنَّـــا إِذَا أَذَقْنَـــا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَـا وَإِنْ تُصِـبْهُمْ سَـيِّئَةٌ بِمَـا قَـدَّمَتْ أَيْـدِيهِمْ فَـإِنَّ الإِنسَـانَ كَفُـورٌ ))** [[الشورى:48]].

الشيخ : ثم قال عز وجل مسليا النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم: **" (( فإن أعرضوا )) عن الاستجابة "** ولـم يستجيبوا فلا لوم عليـك **" (( فما أرسـلناك عليهـم حفيظا )) تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم "**, **(( إن أعرضوا ))** جـواب الشـرط **(( فمـا أرسلناك عليهم حفيظا ))** المعنى: إن أعرضـوا فلا لوم عليك لأنك لم ترسل عليهـم حفيظـا علـى أعمـالهم ولا مسيطرا عليهم إنما أرسلت للإبلاغ وقد حصـل. **" (( فما أرسلناك عليهم حفيظـا إن )) مـا "** كيـف ؟ أراد أن يفسر إن بمعنى مـا, وإن تـأتي نافيـة كمـا هنـا, وتأتي زائدة, وتأتي شرطية, وتأتي مخففة من الثقيلة.

فهنا جاءت نافية, والغالب أنها تكون نافية إذا أتى بعدها إثبـات, مثـل: **(( إن أنـت إلا نـذير )) (( إن أنـا إلا نذير وبشير ))** وما أشبه ذلك, هذه تكون نافية بمعنى ما.

تأتي شرطية مثل: **(( إن تبدوا ما في أنفسـكم أن تخفوه يحاسبكم به الله ))**.

وتأتي زائدة كما في قول الشاعر :

**بنـو غدانـة مـا إن أنتـم ذهبـوا ولا صـريف" ولكن أنتم الخزف "**

بنـو غدانـة مـا إن أنتـم ذهبـوا: هـذه إن زائـدة لأنهـا لـو حذفت لاستقام الكلام, لو قيل: بتوا غدانة ما أنتم ذهبوا استقام الكلام, فهي زائدة.

وتأتي مخففـة مـن الثقيلـة بمعنـى أن تكـون بمعنـى إن ولكـن خففـت, وفـي هـذه الحـال يكـون اسـمها ضـمير الشأن محذوفا والجملة الـتي بعـدها تكـون خـبرا, هـذه أربعة معاني لإن.

**إن )) مـا (( عليـك إلا البلاغ )) "** يعنـي مـا **)) "** عليك إلا البلاغ, وقد بلغ أو لا ؟ بلغ البلاغ المـبين, وتعـب في ذلك تعبا عظيما, وأوذي في ذلك أذى عظيمـا, ومـع ذلك فهو صابر محتسب لأنه صلى الله عليه وسلم يعلم أن ما أصابه في ذات الله فهـو خيـر ورفعـة, جاهـد فـي الله حق جهـاده وبلـغ الرسـالة غايـة البلاغ وأوذي علـى ذلك, ولكنه صبر وكان يقول:

**" هل أنت إلا أصبع دميت وفي سـبيل اللـه مـا لاقيت ".**

إذا فالآية على كلام المؤلف منسوخة, والمؤلـف ونحـوه دائما إذا أتى مثل هذه الآية يقول: هذه منسـوخة, وهـذا غلط لأن النسخ ليس بالأمر الهين، ادعـاء النسـخ يعنـي أن المنسوخ باطـل حكمـا زائـل, وهـذا صـعب أن ترفـع حكمة آية أو حديث لمجرد وهم تـوهمته, لـذلك لا يجـوز للإنسان أن يسلك هذا المسـلك المشـين, أنـه إذا عجـز عن الجمع بين الآيات ذهب يقول: إنها منسوخة، النسـخ يحتاج إلى العلم بتأخر الناسخ, ويحتـاج أيضـا إلـى تعـذر إمكان الجمع, فإن أمكـن الجمـع فلا نسـخ، هـل قـوله : (( **إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ ))** هل هو منسـوخ ؟ أجيبـوا يـا جماعة, أبدا, إلى آخر رمق من حيـاة النـبي صـلى اللـه عليه وسلم وهو عليه البلاغ, فلم ينسخ, والبلاغ لا ينـافي أن يكون معه جهاد, ولكن من حكمة اللـه عـز وجـل أن الله لم يفرض الجهـاد إلا حيـن قـويت الأمـة الإسـلامية, فلم يفرض الجهاد فـي مكـة وإنمـا فرضـه فـي المدينـة حين صـار للأمـة الإسـلامية دولـة مسـتقلة تسـتطيع أن تجاهد, فهذا من الحكمة, ويعبر عنه أنه من باب التـدرج في التشريع ومن باب الحكمة في التشـريع، إذا نقـول: إن قول المؤلف عفا الله عنه وغفر له: **" إن هذا قبل الأمر بالجهاد "** خطأ عظيم، نقول: البلاغ واجب عليـه حتى بعد الأمر بالجهـاد ولا يتنافيـان، لا ينـافي أن يكـونه عليه البلاغ وأن يكون مأمورا بالجهاد.

**إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَـا الإِنْسَـانَ )) " مِنَّا رَحْمَةً )) نعمة كالغنى والصحة (( فَـرِحَ بِهَـا وَإِنْ تُصِبْهُمْ )) الضمير للإنسان باعتبار الجنـس (( سَـيِّئَةٌ )) بلاء (( بِمَـا قَـدَّمَتْ أَيْـدِيهِمْ )) أي**

**قدموه, وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها (( فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ )) للنعمة "، (( وإنا إذا أذقنا ))** معلوم أن الله تعالى واحد فلماذا قال : (( إنا )) ؟ نقول: للتعظيم لإظهار العظمة والسلطة وقوة الملك **(( إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ))** يعني أوصلناها إليه حتى كأنها طعام ذاقه لا يشك فيه, وقوله: (( **منا ))** لأن كل نعمة بنا فإنها من الله كما قال الله عز وجل : (( **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ))** [النحل:53] **(( منا رحمة ))** يقول: **" نعمة كالغنى والصحة "** والمثال هنا لا يعني الحصر لكنه مثال, الغنى نعمة، الصحة نعمة، الأولاد نعمة، الأمن نعمة، نعم الله لا تحصى كما قال الله عز وجل: (( **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ))**[ إبراهيم:34] إذا ما ذكره المؤلف على سبيل إيش ؟ التمثيل, والتمثيل لا يعطي الحصر, وقوله : (( **فرح بها ))** المراد بذلك فرح البطر والأشر, لا الفرح بالنعمة مع اعتقاد أنها من عند الله, فإن هذا مأمور به أن يفرح الإنسان بنعم الله وفي الحديث: ( **إن الله إذا أنعم على عبد نعمة يحب أن يرى أثر نعمته عليه )** ومن آثار النعمة الفرح, الإنسان إذا رزقه الله مالا فرح، إذا عافاه الله بعد المرض فرح، إذا تزوج فرح، إذا ولد له فرح، ولكن الفرح نوعان: فرح أشر وبطر فهذا مذموم، وفرح بنعمة الله تعالى مع التزام شريعته فهذا ممدوح ولا بأس به, ولا ينبغي أن يكون الإنسان كالحمار لا يفرح بنعمة ولا يتألم بنقمة, بل يجب أن يكون الإنسان إنساناً منفعلا مع الحوادث, يفرح في

موضع الفرح ويغتم في موضع الاغتماء.

**فَــرِحَ بِهَــا وَإِنْ تُصِــبْهُمْ ))** يقــول المؤلــف: " **الضــمير للإنســان باعتبــار الجنــس** " أزال بــذلك إشكالا وهــو أن الآيــة: (( **وإنا إِذَا أَذَقْنَــا الإِنْسَــانَ ))** والإنسان يا أخ واحد ولا جماعة ؟ واحد, كيف يقــول : (( **وإن تصبهم ))** فيعيد الضمير عليه جمعا ؟ نعم أجــاب عنه المؤلف بأن المراد بالإنســان الجنــس فيشــمل كــل إنسان, ويصح أن يقول: (( **وإن تصبهم سيئة ))** ضد رحمة, ولهــذا فســرها المؤلــف بــالبلاء, (( **بما قــدمت أيديهم ))** أي بمــا قــدموا مــن إيــش ؟ مــن المعاصــي, وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها، لو أنك فكــرت أيمــا أكــثر عملاً الأيــدي أو الأرجــل ؟ تــأملوا يــا جماعــة، طيب مشيك من البيت إلى المســجد كــم خطــوة ؟ كــم حركة ؟ والرجل ما تتحرك ؟ لــو مــا تتحــرك الرجــل مــا مشيت؟ فيقال: إن حركة الرجل في جنــس واحــد وهــو المشــي, لكــن حركــة اليــد مــا أكــثر أنواعهــا فضــلاً عــن أفرادها, فالأعمال حقيقة إنما تزاول باليد لأنها أكثر مــن أي عضو في البدن مزاولة للأعمال, حتى لو قال قائل : اللسان أكــثر مــن اليــد, مــن يحصــي كلمــات اللســان ؟ نجيب عن هذا بما أجبنــا عــن المشــي, بأنهــا مــن جنــس واحد, لكــن اليــد تبطــش تضــرب تكتــب تمحــو, يعنــي لا تحصى أنواعها, فلذلك عــبر بالأيــدي عــن النفــس, ومــن ذلك قوله تعالى: (( **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَــا لَهُــمْ مِمَّــا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً ))** [يس:71] انتبــه إلــى هــذا **(( مما عملت أيدينا أنعاماً** )) المراد ؟ أجيبوا ؟ المــراد مما عملنا, لكن اللغة العربية واســعة تعــبر بالأيــدي عــن

النفس, ومن ثم نعلم أنه لا سواء بين خلق آدم بيد اللـه وبين عمل أيدي الله سبحانه وتعالى في الإبـل ونحوهـا، قال : (( **فإن الإنسان كفور** )) شـوف أعـاد الإفـراد بعد أن جاء الجمع (( **وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَـانَ** )) هـذا ابتدأها بالمفرد (( **فإن الإنسان** )) ختمها بالمفرد من أجل أن يشمل الإنسان مجتمعا أو منفـردا فهـذه حالـة, ولكن من المراد بالإنسان هنا ؟ الظاهر واللـه أعلـم أن المراد بـذلك الكـافر لأنـه هـو الـذي ينطبـق عليـه فـرح البطر والأشر والكفر إذا أصيب بسوء.

في هذه الآية فوائد : منها تسلية النبي صلى اللـه عليـه وسـلم حينمـا أعرضـوا عـن إجـابته لقـوله : (( **فمـا أرسلناك عليهم حفيظاً** )) .

ومن فوائد الآية الكريمة : أنهـا تسـلية للـدعاة مـن بعـد الرسول عليه الصلاة والسلام، أن الداعي عليـه إيـش ؟ عليـه البلاغـة, وليـس عليـه أن يهـدي النـاس ولا يمكـن ذلك, وإذا كان النبي عليـه الصـلاة والسـلام أخبرنـا بـأنه رأى النبي وليس معه أحد فكيف نغضـب إذا دعونـا إلـى الله ولم يستجب لنا أحد ؟ إذا كان الأنبياء وهم الأنبياء لا يستجاب لهم كيف بنا نحن ؟ ولهذا نرى بعض الدعاة إذا لم يجد مجيباً استحسر وترك الدعوة هذا غلط, لا يجـوز أبدا أن تيأس من رحمة الله, ادع ثم ادع ثم ادع حتى لو أوذيت بدل أن يستجاب لك فلا تيأس.

طيب إذا في هذه الآية تسلية لمـن ؟ للـدعاة إلـى اللـه عز وجل كما أن فيها تسـلية للرسـول صـلى اللـه عليـه وعلى آله وسلم، فـأنت إنمـا عليـك البلاغ ومـا أجـل أن تقوم بما عليك مـن البلاغ, أمـا أن النـاس فيهتـدون فلا,

هذه واحدة .

ثانياً : بعـض النـاس يريـد أن يهتـدي النـاس بيـن عشـية وضحاها وهذا غلط ، هذا لا يمكـن خلاف سـنة اللـه عـز وجل، إن النبي صلى الله عليه وسلم بقي في مكة ثلاثة عشر سنة يـدعو إلـى التوحيـد فقـط, وفـي الآخـر إلـى الصـلاة, ومـع ذلـك لـم يسـتجب أكـثرهم, لـم يسـتجب ملؤهم, حتى ألجئـوه إلـى إيـش ؟ إلـى أن يهـاجر ويـدع بلده, فكيف بك أنت تعيش في قوم أفسدهم الاستعمار العسكري والفكري والخلقي, تريد أن يهتدوا بين عشـية وضحاها, من أنت حتى تريد خلاف سنة الله عز وجـل ؟ اصـبر وبالتدريـج, ولا حـرج عليـك فيمـا أرى أن تعامـل النـاس بالتدريـج, لا حـرج مـا دام المقصـود الإصـلاح, فاصبر على بعض المعاصي ودرج النـاس عليهـم, يعنـي مثلاً لو أن إنسان حذر الناس مـن شـرب الـدخان الـذي ابتلـي بـه كـثير مـن النـاس فقـال لـه الشـارب: أنـا مـا أستطيع ، قال: ما فيه مانع كل يوم اشرب عشرة لمدة أسبوع, ثم ثمان لمـدة أسـبوع, حـتى يتقاصـر إلـى آخـر النهاية, هل هـذا جـائز أو لا ؟ هـذا جـائز, لأنـي الآن لـم أقره على شرب الدخان, أقررته علـى بعـض المفسـدة من أجل أن أتوصل إلى زوال المفسدة نهائيا, وهذا مـن العلاج ومن الدعوة بالحكمة, وهذا كما أنه في الأمـراض المعنوية الدينية فهو أيضاً في الأمراض البدنية، الطـبيب يعالج المريض شيئاً فشيئا, ويصبر على ما به من مرض شيئاً فشيئا, ولا يعطه الدواء كـاملا للحظـة واحـدة كمـا فعل البدوي لما أعطوه نوفالجين وقـالوا: خـذ هـذا كـل ست ساعات واحدة فاستبطأ الأمر قال: أخلي كل ست

ساعات واحدة ! أبلع الجميع, فبلع الجميع فقضي عليـه، نعم استعجل الأمر وهلك, اصبر عالج الشيء بالتي هـي أحسن المهم أن تكون عازماً على إزالتها .

ومن فوائـد الآيـة الكريمـة : أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم ليـس حفيظـاً علـى الأمـة لا فـي حيـاته ولا بعـد مماته, وعلى هذا فلا يسـتغاث بـه بعـد مـوته ولا تطلـب منه الهداية وإنما الهداية من عند الله عز وجل .

ومن فوائد الآية الكريمة : وجوب الإبلاغ, ولم يـبين اللـه تعالى الوسيلة للإبلاغ, فنقول : كـل وسـيلة للإبلاغ فهـي واجبة, والوسائل لها أحكام ومقاصد، فيمـا سـبق الإبلاغ محصـور يبلـغ الإنسـان أهـل بلـده ومـن يفـد إليهـا مـن الناس، الآن يمكنه أن يبلغ إيـش ؟ أن يبلـغ العـالم كلـه, وحينئذ نسأل لو أن شخصا أمكنـه أن يجعـل لـه صـفحة في الإنترنت أيجوز أن يفعل ؟ يجوز الإنترنت فيها أغاني فيها بلاوي ... لا دخل له في ذلـك، طيـب إذا صـار قبلـه أغنية وبعده أغنية ؟، لا يضره عمـل عامـل، عجيـب ولـو أن الذي قبله أغنية وبعده أغنية يفتتـح بالأغـاني ويختتـم بالأغاني ؟، ليس له ذلك, إذا لا يبلغ ؟، يبلغ حتى لو قبله أغنية وبعده أغنية ؟ ما تقولـون فـي قـوله ؟ صـحيح لأن الأغنية قبل وبعد ليست مـن فعلـه, هـذا مـن فعـل مـن يتصرف بهذه المحطـة, لكـن لا يجـوز أن نـترك الـدعوة إلى الحـق لأن فـي هـذه الإذاعـة مثلا أو المحطـة فيهـا سـيئة, هـذا غيـر صـحيح ونظريـة قاصـرة, زاحـم أهـل الباطل حتى يتبين الحق, ولا يضرك إذا دخلوا فيها أشياء منكرة، بعض الناس مثلا يقـول لنـا أو لغيرنـا: لا تـدخلوا إنترنت, كيف تدخلون فيها وفيها الأغاني وفيهـا البلاء مـا

يصير، أيها أولى أن ندخل في هذا المضمار لعل الله أن يهـدي بنـا واحـد مـن النـاس أو أن نـدع المجـال لأهـل الشر ؟ الأول بلا شك, الأول أحسن.

ومثل ذلك ما يقـال فـي الانتخابـات إذا كـان البلـد مبنيـا على الانتخابات, يقول بعض الناس: لا تنتخب, يا جماعة ما أرشح واحد من أهـل الخيـر قـال: لا, لأن الانتخابـات فيها بلاء فيها رشاوي فيها أهواء، إذا كـان فيهـا رشـاوي وأهواء أنا لن أدخل في الرشاوي والأهـواء ولكـن أدخـل في ترشيح رجل أعرف أن فيه خيرا, قالوا: إذا رشـحت واحد يجيء مائة فاسق، طيب إذا كان مائة فاسق ليس معه مسـتقيم أو مائـة فاسـق معهـم مسـتقيم ؟ الثـاني أحسن, وإذا قالوا: إن هذا لا يجـدي ولا ينفـع واحـد فـي المائة ما في فائدة, نقول: لا بد أن يكون فيه فائــدة إذا أخلص النية لله لابد أن يؤثر, لأن الكلمة لله ليست تؤثر لأن فلانا تكلم بها لكن تؤثر لأنها كلمة الله, واسمع إلــى قـول اللـه تعـالى: **(( وَجَعَـلَ كَلِمَـةَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا السُّفْلَى ))** وبعـده: **(( وَكَلِمَةُ اللَّـهِ هِـيَ الْعُلْيَـا ))** [التوبة:40] أو: وكلمةَ الله ؟ بالرفع لأنه لو قال: وكلمـةَ الله دخلت في المفعـول بـه, يعنـي وجعـل كلمـة اللـه، وكلمة الله هي العليا بجعله وبغير جعله, ولهذا تبين الآن أن قـوله: **(( وكلمة اللـه هـي العليـا ))** لهـا موقـع عظيم جدا, يعني أن كلمة الله هـي العليـا مهمـا جـاءت هي العليا، ولا يخفي عليكم ما يتكرر فـي قصـة موسـى مع السحرة وفرعون, لما اجتمعوا وكـان موسـى واثقـاً بنصر الله عـز وجـل ولهـذا لمـا قـالوا : **(( اجعلنا لنـا موعداً ))** جعل لهم موعد في وسط الليـل فـي حجـرة

مظلمة ؟ لا, متى ؟ في وضح النهـار, وفـي يـوم الزينـة يوم العيد: **(( قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ))** [طه:59] شيء عجيب, جاء السحرة وجمع فرعون كيـده: **(( فَأَجْمِعُوا كَيْـدَكُمْ ثُـمَّ ائْتُـوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَـوْمَ مَـنِ اسْـتَعْلَى ))** [طـه:64] فقال موسى كلمة واحدة قال : **(( ويلكـم ))** كمـل يـا عبـد اللـه ؟ **(( وَيْلَكُـمْ لا تَفْتَـرُوا عَلَـى اللَّـهِ كَـذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَـرَى ))** [طـه: 61] مـا الـذي حصـل مـن هـذه الكلمـة ؟ اسـمع: **(( فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ))** في الحال, الفـاء تـدل على الترتيب والتعقيب والسببية: **(( فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُـمْ ))** وإذا تنـازع النـاس فلا تحـدث عـن الفشـل, حـدث مـا شـئت ولا حـرج: **(( فَتَنَـازَعُوا أَمْرَهُـمْ بَيْنَهُمْ ))** ففشلوا, وفي النهاية أن هؤلاء السحرة الذين جاءوا يكيدون لموسى صاروا مع موسى وهددوا بالقتـل والصـلب ولكـن أبـوا, قـالوا لفرعـون: **(( لَنْ نُـؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَـاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ))** [طه:72] مثلمـا نقـول نحـن : سـوي الذي تريد, **(( إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ))** الله أكبر، الله أكبر, الإيمان إذا دخـل القلـب فلا تسـأل عـن الحزم والعزم والقوة, **(( إِنَّمَا تَقْضِـي هَـذِهِ الْحَيَـاةَ الدُّنْيَا ))** والذي لا يموت اليوم يموت غدا.

فـالمهم إنـي أقـول: إن بعـض النـاس إذا رأى الموقـف غلب فيه الشر استحسر وتخلى وهـذا غلـط، خـذ غمـار القوم والنصر للحق، أنا مـا دخلـت مـع هـؤلاء لأوافقهـم علـى بـاطلهم سـأدافع عـن الحـق الـذي اعتقـده مهمـا

أملك، ثم إنه من الحكمة أن يفتت القوم المجتمعون، يفتت يعني يؤخذوا واحدا واحدا ويتكلم مع كل واحد ويقال: يا فلان إيش الفائدة من هذا ؟ هذا إثم عليك، هذا سوء في الدنيا والآخرة, كما فعلت قريش في نقض الصحيفة الذين تعاهدوا فيها على مقاطعة بني هاشم والقصة مشهورة صار أحد المعارضين لهذه الصحيفة يأتي كبراءهم, الكبراء الذين وقعوا, ويأتيهم على واحد واحد ويقول: كذا وكذا حتى تفتتوا, وهذه من السياسة لأنك إذا فتت المجتمعين إيش ؟ زالت قوتهم وزال سلطانهم, وحصلت على الخير.

ومن فوائدها أيضا : أن الناس ينقسمون إلى قسمين :

قسم : إذا أصابته رحمة من الله فرح بها فرح أشر وبطر .

وقسم آخر : إذا أصابته رحمة الله تعالى فإنه يستعملها في طاعة الله, وهذا يستفاد من غير هذه الآية .

ومنها : التحذير من الفرح بنعمة الله إذا كان الفرح فرح أشر وبطر، وأما إذا كان فرح استبشار وسرور وقيام بطاعة الله فإنه يمدح قال الله تعالى: **(( قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ))** [يونس:58].

ومن فوائد الآية الكريمة : أن ما يصيب الإنسان من سيئة فإنما هو بسبب عمله لقوله : **(( بما كسبت أيديهم ))** .

ومن فوائدها : التعبير بالبعض عن الكل إذا كان لهذا البعض تأثير كبير لقوله : **(( بما كسب أيديهم ))** .

ومن فوائدها : أن الإنسان من حيث هو إنسان إذا

أصابته السيئة كفر بمعنى أيس من رحمة الله تعالى أن يصرف عنه هذه السيئة, وأما المؤمن فإنه لا ييـأس بـل يصبر وينتظر الفرج إيمانا بقول النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم : **( واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفــرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً )** نعم .

الطالب : ...

الشيخ : ورد حديث عن النبي عليه الصـلاة والسـلام أن قوماً أتوا إليـه واشـترطوا ألا يصـلوا الصـلوات الخمـس فوافقهم على هذا وقال : **( إنهم إذا أسلموا صلوا )** نعم.

الطالب : ...

الشيخ : هو لا شك هذا ليس من أجل القوم حبشـيين أو مكيين أو مدنيين هذه قاعدة عامـة, يعنـي تنـزل الآيـات التي نزلت مثلاً في مكة على من كـان مثـل أهـل مكـة كمـا نزلـت فيهـم, العـبرة بعمـوم اللفـظ لا بخصـوص السبب .

الطالب : ... **(( فإن الإنسان لكفور ))** ؟

الشيخ : هذه ما هي صـيغة مبالغـة، هـذه صـفة مشـبهة يعني يكون من صفته الكفر، نعم .

الطـالب : قـوله تعـالى: **(( وإنـا إذا ))** مـن يقـول أن ضمير المتكلم إذا كان الله سبحانه هو المتكلم به جمعـا كان هذا من متشابه القرآن, هل هذا صحيح ؟

الشـيخ : هـذا مـا قـاله إلا النصـارى, تعـرف النصـارى ؟ يقولون: إن الله ثالث ثلاثة, الدليل ؟ قال: هذا القـرآن : **(( إنـا نحـن نزلنـا الـذكر ))** **(( إنـا نحـن نحـي المـوتى ))** فجمـع اللـه تعـالى الضـمير فـي الآيـات

الشرعية: (( **إنا نحن نزلنا الذكر** )) وفي الآيات الكونية: (( **إنا نحن نحي الموتى** )) إذا الله متعدد, وهو لا شبهة فيه عند المسلمين إطلاقا، المراد التعظيم وإظهار العظمة والسلطان والقوة والقدرة .

ثم قال الله عز وجل:

القارئ : (( **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** )) [الشورى 49:50].

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تبارك وتعالى : (( **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** )) الجملة خبرية خبرها مقدم، ... نعم يراد به الحصر، لأن القاعدة البلاغية أن تقديم ما حقه التأخير يدل على الحصر والاختصاص, إذا لله لا لغيره: (( **مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** )) أي خلقا وتدبيرا, فالله تعالى مالك السماوات والأرض خلقاً وتدبيراً ولهذا قال: (( **يخلق ما يشاء** )) وقوله: (( **يخلق ما يشاء** )) (( **ما** )) هذه موصولة ويعبر عنها غالبا لما لا يعقل, وكان التعبير بـ (( **ما** )) ليعم الأعيان والأوصاف, لأنه إذا قصدت الأوصاف عبر بـ ( ما ) ولو كان لعاقل، انظر إلى قول الله تعالى : (( **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ** )) [النساء:3] ولم يقل: من طاب, مع أن النساء من العقلاء لكن لما كانت المرأة إنما تنكح من أجل صفاتها لا لعينها قال: (( **انكحوا ما طاب لكم من النساء** )) هنا (( **يخلق ما يشاء** )) نقول: عبر **بما** لأن المقصود بذلك الأعيان والأوصاف، أما الأعيان

فلـو سـئلنا أيهمـا أكـثر العاقـل أو غيـر العاقـل ؟ علـى الأرض غير العاقل, لكن فـي السـماء لا، السـماء أوسـع من الأرض وما فيها موضـع أربـع أصـابع إلا وفيـه ملـك, فيكون العاقل باعتبار الجميع أكثر, لكن باعتبـار مـا فـي الأرض, الأخ أيهما أكثر ؟ غير العاقل، طيب كذلك أيضـاً إذا اعتبرنا الأوصاف فالأوصـاف تشـمل العقلاء وغيرهـم فلهذا عبر بـ **(( ما ))** **(( يخلق ما يشاء ))** أي يوجـده بعد العدم, ولكن الخلق ليس مجرد إيجاد بـل هـو خلـق عن تقدير **(( يخلق ما يشاء * يهب لمـن يشـاء ))** هذا من جملة خلقه أيضا **(( يهب لمن يشاء إناثـاً ))** الهبـة هـي التـبرع بالشـيء مجانـا, ووصـف اللـه تعـالى الأولاد بالهبة لأنه لا طاقة للإنسان في إيجادهم, بـل هـو مجرد فضل من الله عـز وجـل **(( يخلـق مـا يشـاء * يهب لمن يشـاء ))** مـن الأولاد **(( إناثـاً ))** قـوله : **" من الأولاد "** كيف تتلاءم مع قوله : **(( إناثـاً ))** ؟ لأن الأولاد في اللغة العربية تشمل الذكر والأنـثى, كمـا فـي قوله تعالى: **(( يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِـي أَوْلادِكُـمْ لِلـذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْـنِ ))** [النسـاء:11] **(( يهـب لمـن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الـذكور ))** ولـم يقـل: ذكوراً بل أتى بأل المعرفة الدالة على شـرف مـدخولها فإن الذكور عند الناس أشرف من الإناث, ولكن مع هذا جبر نقصهن بتقديم ذكرهـن علـى الـذكور, أو يقـال: إن اللــه قــدم الإنــاث لأن إرادة الإنســان أن يكــون أولاده ذكوراً فقدم الإناث إلى أن الأمر إلى اللـه وحـده لا إلـى ما يريده الإنسان ويهواه .

**ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ))** قال :**((**

" **أي يجعلهم** " والصواب يصنفهم, لأن التزويج بمعنى التصنيف كما قال الله تعالى: (( **وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ** )) [ص:58] أي أصناف, فمعنى (( **يزوجهم** )) أي يصنفهم, فيجعلهم صنفين (( **ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً** )) " **فلا يلد ولا يولد له** "، فلا يلد باعتبار الأنثى, ولا يولد له باعتبار الذكر, فهذه أربعة أصناف :

. الأول : أن يهب لمن يشاء إناثا

. الثاني : أن يهب ذكوراً

. الثالث : أن يهب ذكوراً وإناثاً

،الرابع : أن يجعل الإنسان عقيماً لا ذكور ولا إناث

ذلك لأن الأمر أمر الله عز وجل ولا أحد يستطيع أن يخلق شيئاً من هذا بل الله وحده هو الخالق، قال : (( **وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** )) " (( **عليم** )) **بما يخلق** (( **قدير** )) **على ما يخلق** " فهو يعلم ما يخلق عز وجل, وقدير على أن يخلق ما أراد.

في الآية الكريمة: عموم ملك الله سبحانه وتعالى لما في السماوات والأرض لقوله: (( **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** )) .

ومن فوائدها أيضاً : اختصاص الله تبارك وتعالى بذلك، من أين نأخذ الاختصاص ؟

الطالب : ...

الشيخ : غلط ، إلا إذا كنت لم تفهم السؤال، والسؤال اختصاص الله تعالى بملك السماوات والأرض، إيش وجه ذلك ؟ وجه ذلك أن الله قدم الخبر, والخبر حقه

التأخير, وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر.

فإن قال قائل : إذا قلتم : إن ملك السماوات والأرض خاص بالله, أليس الإنسان له ملك ؟ طيب قال الله تعالى : **(( أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ))** [النساء:3] فللإنسان ملك فكيف الجمع بين قولنا : إن ملك السماوات والأرض خاص بالله وإثبات الملكية لغير الله ؟

الجواب: ملك الله تبارك وتعالى تام شامل ففيه شمول التصرف وفيه شمول المكان, بمعنى أن ملك الله تعالى تام من كل وجه, عام من كل وجه، ملك الإنسان قاصر لا من جهة العموم المكاني ولا من جهة عموم التصرف, فكلنا نملك لكن ملكنا إيش ؟ محدود، أنا أملك حقيبة ولا أملك حقيبة أخرى لغيري, فهو محدود.

ثانيا : ملك ناقص لا يمكنني أن أتصرف في ملكي كما أشاء, صحيح ؟ لا يمكن أن أتصرف في ملكي كما أشاء صحيح ؟ صحيح, لا يمكن أن أضيعه لأننا منهي عن إضاعة المال، لا يمكن أن أعذبه إذا كان حيوانا لأني منهي عن ذلك، لا يمكن أن آكل من ملكي ما شئت وأدع ما شئت, فالحيوان المحرم لا يجوز أن آكله ولو كان ملكي، المهم أن ملك الإنسان محدود وثانياً: ناقص, محدود لا يشمل كل شيء، ناقص لا يملك كل التصرف .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن الله تبارك وتعالى يخلق ما يشاء من الأعيان والأوصاف, على أي كيفية وعلى أي صفة, ولهذا انظر إلى مخلوقات الله هل هي واحدة ؟ أجيبوا، لا, لا ليست واحدة تختلف اختلافا

عظيما كبيرا في الشكل في الأيدي في الأرجل في الغذاء في كل شيء, فالله تعالى يخلق ما يشاء, لكن اعلم أن الله تعالى هدى كل مخلوق لما خلق له, قال الله تعالى حين موسى حين سأله فرعون : **(( قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ))** أي خلقه اللائق به **(( ثُمَّ هَدَى ))** أي هدى كل مخلوق لما خلق له, ولذلك تجد هذا المخلوق لا يأكل من هذا النوع من العشب والمخلوق الآخر يأكل منه، تجد هذا المخلوق لا يسكن هذا النوع من الأرض ويسكن أرضا أخرى, ومخلوق آخر بضده، الرمل مثلاً لا يسكنه النمل لأنه لا يملك الجحور, لكن يسكنه الحشرات أو الزواحف التي تندس في الرمل, لأن هناك زواحف صغيرة تندس في الرمل اندساساً تشاهدها كأنما يغوص السابح في الماء, وليس لها جحور، هناك أشياء لا تسكن هذا النوع من الأرض بل تسكن أرضاً صلبة حتى تبني لها الجحور، أشياء غريبة من مخلوقات الله, لأن الله سبحانه وتعالى أعطى كل شيء خلقه .

من فوائد الآية الكريمة : أن الأولاد هبة من الله عز وجل لقوله : **(( يهب لمن يشاء ويهب ))** والهبة هي العطية بلا عوض, فما هو العوض الذي علينا بالنسبة لله لهذه النعم؟ هو الشكر.

وهنا سؤال هل يجوز أن تسمي ابنك أو بنتك هبة الله ؟ نعم يجوز, ولهذا قال الفقهاء رحمهم الله : في السقط، السقط إذا سقط يعني الحمل، إذا سقط بعد أن تنفخ فيه الروح فسمه ولو مات في الحال سمه, فإذا جهلت أنه ذكر أو أنثى فسمه اسما يصلح لهما بأن تقول هذا

هبة الله, تسميه هبة الله .

ومن فوائد الآية الكريمة : أنـه لا اختيـار للمـرء بالنسـبة للأولاد لقـوله : **(( يهب لمـن يشـاء ))** فجعـل الأمـر راجعاً إلى مشيئته تبارك وتعالى.

ومنهـا أنـه لا ينبغـي للإنسـان أن ييـأس إذا أتـاه إنـاث متتابعات, فإن بعض الناس إذا أتاه إناث متتابعات أيـس وقال : لن يولد لي ذكر، وهذا غلط، فالله تبارك وتعالى يخلق ما يشاء .

ومن فوائد الآية : تمام قدرة اللـه تبـارك وتعـالى حيـث خلق مـن هـذه النطفـة وهـي واحـدة خلـق منهـا ذكـورا خلصا وإناثا خلصا, والثـالث أصـنافا ذكـورا وإناثـا مـع أن الماء واحد ولكن الله سـبحانه وتعـالى علـى كـل شـيء قدير .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن العقم يعتبر نقصاً بالنسـبة لمن يولد له لقوله : **(( ويجعل من يشاء عقيمـاً ))** بعد أن ذكر أن الأولاد هبة, فيكون العقيم موهوبـا لـه أو لا ؟ لا، إذا هذا نقص.

ويتفرع على هذه القاعدة أن لو تبين زوج المرأة عقيمـا فلها الفسخ, فسخ النكاح, يعني لو أن أحداً تزوج امـرأة وهو لا يعلم عن نفسه ثم تبين أنه عقيم, فلها أن تفسخ إما بنفسها تشهد اثنين تقول : إني فسخت نكـاحي مـن فلان, أو بالقاضي تذهب وزوجهـا إلـى القاضـي فيفسـخ النكاح وهذا حق لها، فإن قال الزوج : أنا ليس في عيب إنه يقدر على الـوطء وإنـه مسـتقيم خلقـاً ودينـا, ليـش تفسخونها مني ؟ ماذا نقول ؟ نقـول : لأن العقـم عيـب والمرأة لها حق في الأولاد, ولذلك يحرم على الزوج أن

يعزل عن زوجته إلا بإذنها, لأنه إذا عزل عنها حرمها من الأولاد إلا أن تأذن .

ومـن فوائـد الآيـة الكريمـة : إثبـات هـذين الاسـمين الكريمين لله عز وجل وهما العليم والقدير.

ومن فوائدها أيضاً : إثبات مـا دل عليـه هـذان الاسـمان من صفة, العليم دل على إيش ؟ على العلم, والقدير ؟ على القدرة, وكل اسم من أسماء اللـه متضـمن لصـفة أو أكثر, وليست كل صفة يشـتق منهـا اسـم, انتبـه كـل اسم من أسماء الله فهو متضمن إيش ؟ لصفة أو أكثر, ولا يشتق من كل صفة اسم لله, وبه نعرف أن الصفات أكثر من الأسماء.

ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات المشيئة للـه عـز وجـل لقوله تعالى : **(( يخلق ما يشاء ))** لا أحد يجبره علـى أن يخلق أنثى أو ذكر, بل له عـز وجـل المشـيئة التامـة في خلقه.

واعلـم أنـه كلمـا ذكـرت المشـيئة للـه عـز وجـل فـإنه مقرونة بالحكمة، انتبـه لهـذه النقطـة, يعنـي أن مشـيئة ليست مشيئة مجردة بل هي مقرونة بالحكمة, والـدليل على هذا قـول اللـه تعـالى : **(( وَمَا تَشَـاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَـاءَ اللَّـهُ ))** أكمـل: **(( إِنَّ اللَّـهَ كَـانَ عَلِيمًـا حَكِيمًا ))** [الإنسان:30] **(( عليمـاً حكيمـاً ))** بعـد أن قال : **(( وَمَا تَشَـاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَـاءَ اللَّـهُ ))** فعلـم من هذا أن مشـيئة اللـه تابعـة لعلمـه وحكمتـه, وأنـه لا يشاء شيئاً مشـيئة مجـردة بـل لا بـد أن تكـون مقرونـة بالحكمة, وهذا في كل نص يأتيك فيه ذكر المشـيئة للـه فاعلم أنها مقرونة بالحكمة.

ثم قال عز وجل لما ذكر خلقه سبحانه وتعالى وأنـه هـو الخالق له المشيئة المطلقة, ذكر شيئاً آخر وهو الشرع, لو تأملت الآيات القرآنيـة لوجـدت أن اللـه تعـالى يـذكر الشـــرع قبـــل القـــدر ، اقـــرأ **(( الرحمـــن * علـــم القرآن ))** بعدها **(( خلق الإنسان ))** فبدأ بالشرع **(( علم القـرآن * خلـق الإنسـان )) (( اقـرأ باسـم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علـق ))** فبـدأ بالقراءة, وهكذا تجد هذه القاعدة مطـردة إلا أن يكـون هناك سبب لتقديم الخلق على الشرع، نسأل الله تعالى أن يرحمنا وإياكم برحمته، وأن يوفقنا وإياكم لمـا يحـب ويرضى .

القارئ : (( **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ))[الشورى:51].

الشيخ : قال الله تعالى : (( **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا** )) (( **ما كان** )) هذه الصيغة في القرآن الكريم تدل على أن الشيء ممتنع غاية الامتناع إما قدرا وإما شرعا, قال الله تعالى : (( **ما كان لله أن يتخذ من ولد** )) يعني ممتنع أو غير ممتنع ؟ ممتنع غاية الامتناع, طيب: (( **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** )) ممتنع غاية الامتناع, شرعا أو قدرا ؟ شرعا, لأنه يجوز أن يستغفروا لكنه حرام عليهم, (( **ما كان لبشر أن يكلمه الله** )) هذا ممتنع قدرا بل ممتنع قدرا يعني حسب خبر الله عز وجل وإلا فالله قادر على أن يكلم على غير هذا الوجه, لكن حسب خبر الله يكون ممتنع, (( **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا** )) (( **لبشر** )) البشر هم الآدميون, سموا بشرا لأن بشرتهم بادية إلا أن يستتروا, غير الآدمي من الحيوانات مستور إما بالريش وإما بالصوف وإما بالوبر وإما بالشعر, إما بالريش مثل الطير, وإما بالشعر مثل الماعز, وإما بالصوف كالضأن, وإما بالوبر كالإبل, الآدمي لم تستر بشرته والحكمة من ذلك أنه إذا شعر الإنسان بافتقاره إلى الكسوة الحسية انتقل من هذا إلى افتقاره إلى الكسوة المعنوية, شف الحكمة من الله عز وجل حتى يعرف الإنسان أنه محتاج إلى ستر العورة المعنوية كما احتاج إلى ستر العورة الحسية,

وإلى هذا يشير قول الله تبارك وتعالى: **(( يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم ))** اللباس العادي, وريشا اللباس الجميل الذي يتزين به المرء, ثـم قال : **(( ولباس التقوى ذلك خير ))** لبـاس التقـوى هذا لباس معنوي, طيب وقيل : إن الآدمي سمي بشــرا لظهور أثر ما في قلبه على بشرته, إذا غضـب الإنسـان يظهر أثر الغضب على بشرته, ماذا يصنع ؟ يحمر وجهـه وعينـاه, وتنتفـخ أوداجـه, ويقـف شـعره, وإذا بشـر بمـا يسره يتهلل وجهه وتجد فيه البشر, والظاهر والله أعلم أن المعنى الأول أقوى أنه سمي بشرا لظهور بشرته إلا بساتر.

أن يكلمـه اللـه إلا وحيـا )) يقـول : **" (( إلا )) أن** )) **يوحي إليه (( وحيـا )) فـي المنـام أو بإلهـام "** هـذه واحـدة **(( أو من وراء حجـاب ))** يعنـي يكلمـه مباشرة غير الوحي الذي فـي القلـب مـن وراء حجـاب, كما حصل لموسى عليه الصلاة والسلام, وحصل لمحمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج, فإن اللـه كلمـه مـن وراء حجاب.

فما هو الحجاب الذي يحتجب الله به, قـال النـبي صـلى اللــه عليــه وســلم : **( حجــابه النــور لــو كشــفه لأحرقت سبحات وجهه مـن انتهـى إليـه بصـره من خلقه )** هذا النور نور عظيم جدا ما أحـد يتصـوره, هذا هو الذي احتجب الله به عن الخلق تعالى الله, فـإذا كان هذا النور من قوته يحجب, فما بالك بنـور اللـه عـز وجل ؟ هو أعظـم وأعظـم, قـال اللـه تعـالى : **(( الله نور السماوات والأرض ))** ولا يتصور أحد ذلك أبــدا,

وإنما يكلم الله تعـالى عبـاده مـن وراء حجـاب لأنـه لـو كشف الحجـاب لهلـك الإنسـان, ولـم يسـتطع أن يثبـت أمام رؤية الله عز وجل ولما قال موسـى عليـه الصـلاة والسلام : **(( ربي أرنـي أنظـر إليـك ))** قـال: هـذا شوقا إلى اللـه عـز وجـل لا شـكا قـال اللـه لـه: **((لن تراني ))** يعنـي لا يمكـن أن ترانـي **(( ولكـن انظـر إلى الجبل ))** الأصم الصلب **(( فإن استقر مكـانه فسـوف ترانـي فلمـا تجلـى ربـه للجبـل )) (( تجلـى ))** مـا ظهـر كلـه, تجلـى للجبـل **(( جعلـه دكا ))** اندك الجبل مرة واحدة وساوى الأرض, موسـى عليه الصلاة والسلام لمـا رأى هـذا صـعق, غشـي عليـه من هول ما رأى, فهل الآدمي الضعيف يثبت لرؤية اللـه والجبل لم يثبت ؟ لا والله, ولهذا اندهش موسى وصعق وعلم أنه لا يمكن أن يرى الله عز وجل.

نعـم قـوله : **(( إلا وحيـا ))** الـوحي هـو مـا يحصـل للرسول من الإلهام أو الرؤيا المنامية, لأن أصل الـوحي الإعلام بسـرعة وخفـاء, هـذا أصـله فـي اللغـة, فيكـون **(( إلا وحيا ))** أي عن طريق الإلهام أو طريـق المنـام **(( أو مـن وراء حجـاب ))** يعنـي يكلمـه اللـه تعـالى مكالمـة صـريحة ولكـن مـن وراء حجـاب, والحجـاب المذكور هو النور كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : **( حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه )** وذلك لأن البشر لا يستطيع رؤية الله عز وجل في الدنيا, قال موسى لربـه عـز وجـل : **(( رب أرني أنظـر إليـك ))** قـال ذلـك شوقا ومحبة فقال اللـه تعـالى : **(( لـن ترانـي ))** أي

لن تستطيع ذلك ولكن انظر إلى الجبـل, فنظـر موسـى إلى الجبل فلما تجلى الله لـه: **(( جعله دكـا ))** انـدك حتى ساوى الأرض, فلما رأى موسى هذا خـر صـعقا أي غشي عليه مـن هـول مـا وجـد وعـدم تحملـه **(( فلما أفــاق قــال ســبحانك تبــت إليــك وأنــا أول المـؤمنين ))** فـإذا إذا أراد اللـه أن يكلـم أحـدا مـن الرسل فلابد أن يكون هناك حجاب .

القسم الثالث : **(( أو يرسل رسولا فيوحي بــإذنه ما يشاء ))** وهـو جبريـل, يرسـله إلـى المرسـل إليـه فيوحي إلى هذا الرسول بإذن الله تعالى ما يشاء, وإنما خصصناه بجبريل لأن جبريل موكـل بـالوحي, وقـد كـان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح في صلاة الليل بهذا الاســتفتاح **(( اللهــم رب جبرائيــل وميكائيــل وإســرافيل فــاطر الســماوات والأرض عــالم الغيب والشهادة أنـت تحكـم بيـن عبـادك فيمـا كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيـه مـن الحق بإذنك إنـك تهـدي مـن تشـاء إلـى صـراط مستقيم )** هؤلاء الثلاثة كل واحد منهم موكل بمـا فيـه الحياة, جبريل بما فيه حياة القلوب, إسـرافيل بمـا فيـه حياة الناس للبعث, ميكائيل بما فيـه حيـاة الأرض الـذي به يحيا البهائم والإنسان.

نعـم: **(( فيوحي بـإذنه مـا يشـاء ))** بـإذنه أي إذنـه القدري **(( ما يشاء ))** أي ممـا أوحـاه اللـه إلـى هـذا الرسـول الـذي بعثـه إلـى الرسـول البشـري **" (( إنه علـي )) عـن صـفات المحـدثين "** هـذا التفسـير تفسير غلط لأنه يـوهم أن كـل صـفة للمخلـوق لا تثبـت

للخـالق, فالسـمع لا يثبـت للخـالق والبصـر وكـل صـفة للمخلوق لا تثبت للخالق, ولذلك لو قال المؤلـف رحمـه الله: إنه علي عن مماثلة المخلوقين وصفات النقص, لو قال هـذا لكـان أهـون, مـع أننـا نقـول: إنـه علـي بـذاته وصـفاته, فـذاته فـوق كـل شـيء وصـفاته هـي المثـل الأعلى, هذا هـو الصـواب, لكـن المؤلـف عفـا اللـه عنـا وعنه يفسر القـرآن عـن طريـق الأشـاعرة لأنـه منهـم, فلذلك يحرف الكلم عن مواضعه ليوافق مذهبه الباطل, وهذه آفة قل من يسلم منها من أهل العلم, تجد الرجل يعتقد شـيئا مـا فـي العقيـدة أو فـي الأحكـام الشـرعية التكليفية ثم يحاول في النصوص التي تخـالف مـا ذهـب إليه أن يلوي أعناقها إلى ما ذهب إليه, فيجعل النصوص تابعة, والواجب أن تكون متبوعة, لكـن هـذه آفـة ابتلـي بها كثير من الناس, إنما نحـن نقـول: علـي يعنـي بـذاته وصفاته عن كل نقص, أما عـن صـفات المحـدثين هـذه غرائب طيب .

والثاني يقول : **" (( حكيم )) في صنعه "** هذه أيضـا نـاقص, بـل هـو حكيـم فـي صـنعه حكيـم فـي شـرعه, والحكمة في الشرع أبلـغ مـن الحكمـة فـي الصـنع, لأن الصنع أمر كوني لا طاقـة للإنسـان فـي تغييـره ولا فـي الحيادة عنه, أما الأمر الشرعي فهو الذي محل التلاعب من البشر, فنقول للبشر: لا تتلاعبوا بأحكـام اللـه فإنهـا صادرة عن حكمة, إذا يعتبر تفسير المؤلف الذي قصـره علـى الحكمـة القدريـة فـي صـنع اللـه تفسـيرا ناقصـا, فنقول: **(( حكيم ))** في صنعه وشرعه نعم .

من فوائد هذه الآية الكريمة: بيان عظمة الله عـز وجـل

وأنه لا يستطيع البشر أن يكلموه بلا واسطة, إما رسول أو حجاب لقوله: **(( وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ))**.

ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات تكليم الله عز وجل, وقد سبق الكلام عليه فلا حاجة إلى إعادته, وبينا أن كلام الله عز وجل كلام بحرف وصوت مسموع, وأن ذلك من كماله وليس كما يزعم الزاعمون إنه من النقص .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن إيحاء الله تعالى على ثلاثة أوجه : وحي إلهام .

والثاني : تكليم من وراء حجاب .

والثالث : إرسال رسول يوحي إلى المرسل إليه ما شاء الله .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : إثبات مشيئة الله عز وجل لقوله : **(( ما يشاء فيوحي بإذنه ما يشاء ))**.

ومنها إثبات علوه بقسميه : العلو الذاتي والعلو الوصفي, فأما علو الذات فهو أنه سبحانه وتعالى فوق كل شيء, وأما علو الوصف فهو أن جميع صفاته عليا ليس فيها نقص بوجه من الوجوه .

ومن فوائدها : إثبات الحكمة في شرعه وخلقه, وإثبات الحكم الكوني والشرعي, لأنه مر علينا أن كلمة حكيم تعني الحكم والحكمة.

الشيخ: نعم قسم الله الناس بالنسبة للإنجاب إلى ؟

الطالب: ثلاثة أقسام.

الشيخ: إلى ثلاثة ! نعم, أربعة أقسام.

الشيخ: ... أو وحيا اثنان, أو عن طريق الملك:

**(( يرسل رسولا فيوحي بإذنه مـا يشـاء ))** هـذه ثلاثة أقسام.

الطالب : هل معنى هذا أن الله سبحانه وتعـالى سـوف يرزقنا يوم القيامة قوة في أبصارنا حتى ننظر إليه ؟

الشيخ : أي نعم, قوة الناس يوم القيامة لا تنسـب إليهـا قوة الدنيا أبـدا, أليسـوا يمكثـون خمسـين ألـف سـنة لا يأكلون ولا يشربون ؟ هذا لا يمكن أن يطاق فـي الـدنيا, أليس الواحد ينظر إلى ملكه فـي الجنـة مسـيرة ألفيـن سنة, يرى أقصاه كما يرى أدناه, هذا لا يمكن في البشر في الدنيا .

الطالب : أحسن الله إليك يا شيخ ما معنى تجلى ؟ .

الشيخ : أي ظهر .

الطـالب : ورد حـديث الـذي فيـه فضـيلة تربيـة البنـات والصبر ... فهل هذا الفضل يثبت للأم أيضا أم أنه خـاص بالأب ؟

الشيخ : الظاهر أنه يثبت للجميع, ورد فـي الحـديث أنـه للنساء أيضا, أن المرأة إذا مات لها ثلاث من الولد كانوا لها سترا من النـار, وأمـا مسـألة التربيـة فلأن الأب هـو المسئول عن تربية الأولاد .

الطالب : ما الحكمة فـي ذكـر الخلـق بعـد الشـرع فـي الآيات ؟

الشيخ : أقول : مما يدل على أن الاهتمام بالشرع أبلـغ, والناس ما خلقوا إلا للشرع, قـال اللـه تعـالى: **(( ومـا خلقت الجن والإنسان إلا ليعبدون ))** .

الشيخ: أين السائل ؟ هل كلم اللـه أحـد غيـر موسـى ؟ أي نعم كلم النبي صلى الله عليه وسلم, كلم آدم, لكـن

موسى عليه الصلاة والسلام سمي الكليم لأنه أول ما ... أوحى الله إليه كلمه, وغيره أوحى الله إليه بواسطة
الشيخ: طيب قل الخلق أولا ثم بالشرع, وذلك لأن الشرع يختص بالأنبياء, الشرع المذكور هنا الوحي ... الخاص بالأنبياء, هذا السبب
الشيخ: لا ما هو يريد النور مخلوق, النور المخلوق منفصل عن الله وليس صفة لله, هذا إذا قلنا إن نور بمعنى منور لأن بعض المفسرين قالوا: منور السماوات والأرض, لكنه خلاف ظاهر الآية, فيقال: **(( الله نور السماوات والأرض ))** وليس هو النور المخلوق بل هو عز وجل نور, وكلامه نور وحجابه نور .
الشيخ: يعني على هذا الحال يكون: **(( لمن يشاء ))** ( من ) عامة أريد بها الخاص, كذا؟ أسألك هذه هي, إذا قلنا: **(( يهب لمن يشاء ))** أي الأنبياء ... شف إذا ادعى أحد خلاف ظاهر اللفظ لا تقبل منه, فالله يقول: **(( يهب لمن يشاء ))** ولمن يقل الأنبياء, ثم من الذين يقول: إن الصحابة سئموا من كون بعضهم يولد له وبعضهم لا يولد له, بعضهم يولد له إناث وبعضهم يولد له ذكور, من قال هذا, فالآية عامة, كل ما وجدت قولا يكون فيه تخصيص العام فلا تقبله إلا بدليل.
الطالب : ...
الشيخ : لا هذا غلط, نحن ذكرنا أنه تجلى أي بعضه عز وجل, على أني في قلق من هذا, من كون المراد بعضه, لأن الأصل أنه كله, لكن قد قال أنه يمنع من هذا أن الله تعالى لا يحيط به شيء من مخلوقاته, فلا يمكن أن يتجلى كله والأرض ليست بالنسبة إليه شيء.

ثم قال عز وجل .

القارئ : **(( وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ))** [الشورى:52-53].

الشيخ : ثم قال الله عز وجل : **" (( وكذلك )) أي مثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل (( أوحينا إليك )) " (( كذلك ))** تأتي في القرآن كثيرا, وحسب كلام المفسر أن الكاف اسم بمعنى مثل, فتكون مصدرا لفعل محذوف, والتقدير: مثل ذلك, ثم تفسر الفعل بما يناسب المقام, أي: مثل إيحائنا لمن سبق من الرسل **" (( أوحينا إليك )) يا محمد "** أفادنا بقوله: يا محمد, أن الخطاب هنا خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتعداه إلى غيره **(( روحا )) قال: " هو القرآن به تحيا القلوب "** صدق المراد بالروح هنا القرآن لأنه تحيا به القلوب وقوله : **" (( من أمرنا )) الذي نوحيه إليك "** يعني مما نأمر به, ويحتمل أن يكون الأمر هنا واحد الأمور لا واحد الأوامر, أي من شأننا.

**ما كنت تدري )) تعرف قبل الوحي إليك (( )) " ما الكتاب )) القرآن (( ولا الإيمان )) شرائعه ومعالمه "** أوحى الله إلى نبيه روحا من أمره سواء قلنا واحد الأمور أو واحد الأوامر, وأخبر أن لله المنة الكبرى عليه في ذلك, لأنه كان قبل هذا ما يدري أي ما

يعلم أو ما يعرف ما الكتـاب ولا الإيمـان, كلمـة: **(( مـا الكتاب ))** يحتمل أن المراد بها ما الكتابة, ويحتمـل أن يراد بذلك ما ذكره المؤلف وهو القرآن, أمـا الأول فلأن الله تعالى قال في نبيه صلى الله عليه وسلم : **(( ومـا كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينـك إذن لارتـاب المبطلـون ))** وأمـا كـونه المـراد بـه القرآن فهذا أمثلته كـثيرة, المهـم أن النـبي صـلى اللـه عليه وسلم ما كان يعرف, حـتى الكتابـة لا يكتـب عليـه الصلاة والسلام, وما كـان يعـرف أيضـا الـوحي قبـل أن يوحى إليه.

الوحي قبل أن يوحى إليه **(( ولا الإيمان )) قال ... المؤلف: " أي شرائعه ومعالمه "** يعني: وما كنت تدري عن شرائع الإيمان, فهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدري عما شرعه الله له في هذه الشريعة الكامل قبل ذلك ؟ لا, ثم قال المؤلف : **" والنفي معلق للفعل عن العمل وما بعده سد مسد المفعولين "** الجملة هذه للإعراب, كلمة تدري تنصب مفعولين, هل بعدها شيء منصوب ؟ لا, بعدها ما استفهامية مبتدأ, والكتاب خبره, ما فيها شيء منصوب, إذا جاءت الجملة الاستفهامية في محل المفعولين فإنها تعلق الفعل عن العمل ظاهرا, ولكن الجملة تكون في محل نصب, إذن الاستفهام هنا علق الفعل عن العمل, وما بعده سد مسد المفعولين.

**ولكن جعلناه )) أي الروح أو الكتاب "** يعني **)) "** جعلنا الكتاب الذي أوحينا إليك أو الروح الذي أوحينا إليك والمعنى لا يختلف **(( نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ))** اللهم اهدنا به, **(( نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ))** النور يهتدي به الناس ومنه قول الشاعر :

**كأنه علم في رأسه نار** " وقول الخنساء في أخيها:

**وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار "**

يعني أن النار تجعل علامة على الشيء, إذا كان الناس في البر أوقدوا في الليل نارا على رأس جبل أو على رأس أكمة حتى يهتدي بها من يريده, نعم يقول:

**(( جعلناه نورا نهدي به مـن نشـاء ))** نهـدي بهـذا النور من نشاء, وهذا مبني علـى حكمـة اللـه عـز وجـل كما قال تعالى : (( **وما تشاءون إلا أن يشـاء اللـه إن الله كان عليما حكيما ))** فمن الحـري أن يهـدى بهـذا النـور ؟ مـن تمسـك بـه وعمـل بمـا فيـه, تصـديقا للأخبار وتنفيذا للأحكام, من فعـل هـذا صـار القـرآن لـه نورا يهتدي به كما قال الله تعالى : **(( والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقـواهم ))** وأمـا مـن أعـرض عنه والعياذ بالله فإن سـيكون حجـة عليـه ولا ينتفـع بـه **(( نهدي به من نشاء من عبادنا )) قوله: (( من عبادنـا ))** هـل المـراد الهدايـة العامـة أو الخاصـة ؟ **(( نهدي به من نشـاء مـن عبادنـا ))** هـذه تقسـم الناس إلى قسمين: مهتد وضال, فيكـون عبادنـا المـراد به العبودية العامـة, لأنـه جعـل العبوديـة هـذه قسـمين: مهتد وضال, **(( من عبادنا وإنـك ))** يعنـي يـا محمـد **(( لتهدي إلى صراط مسـتقيم ))** قـال: **" تـدعوا بالوحي إليك (( إلى صراط مسـتقيم )) "** لـو أن المؤلف قال: لتهدي أي تدل لكان أوضح وأخصر, تهـدي بمعنى تدل, فهي هدايـة الدلالـة, أمـا المؤلـف يقـول: **" تدعوا بالوحي إليك "** ولكن هذا لا يكفي لأنه لو دعـا فهل يهتـدي النـاس ؟ لكـن لـو قلنـا: تـدل, فقـد وضـح الطريق ودل عليه, ثم مـن اهتـدى فلنفسـه ومـن ضـل فإنمـا يضـل عليهـا **" (( إلـى صـراط )) طريـق (( مسـتقيم )) يقـول: ديـن الإسـلام "** وصـدق, الصراط المستقيم بعد بعثة رسول الله صلى الله عليـه وسلم هو دين الإسلام.

**صراط الله الذي له ما في السموات وما في ))** **الأرض )) (( صـراط اللـه ))** هـذه بـدل مـن قـوله: **(( صراط المستقيم ))؛** وقوله: **(( صراط اللـه ))** أضافه الله تعالى إلى نفسه لأنه هو الذي وضعه لعباده, ولأنه موصل إليه, فأضيف إلى الله باعتبارين:

الأول: أنه هو الذي وضعه لعباده وشـرعه لهـم, الثـاني: أنه موصل إليه.

نعم: **(( إلى صراط مستقيم ))** أي: قويم غير معوج **(( صراط الله الذي له مـا فـي السـماوات ومـا في الأرض ))** ( له ) الجـار والمجـرور خـبر مقـدم, و ( ما في السماوات ) مبتدأ مؤخر, وتقـديم الخـبر يفيـد الحصر, أي: له وحده؛ **" (( ما فـي السـماوات ومـا فـي الأرض )) ملكـا وخلقـا وعبيـدا "** لـو قـدم المؤلف خلقا على ملك لكان أحسن, لأن الخلـق سـابق على الملـك, ولكـن الخلـف فـي هـذا سـهل, وقـوله: **" عبيدا "** يعني تدبيرا يـدبرهم **(( ألا إلـى اللـه تصـير الأمور ))** ألا هنا أداة اسـتفتاح, والمقصـود بهـا التنـبيه والتأكيد, وقوله: **(( إلى الله ))** مفعـول تصـير مقـدم عليها لإفادة الحصـر, أي: إلـى اللـه لا إلـى غيـره تصـير الأمور أي شئون الخلق.

في هذه الآية: بيان أن هذا القرآن الكريـم روح تحيـا بـه القلوب, وعلـى هـذا فـإذا وجـدت قلبـك ميتـا أو وجـدته مريضا أو وجته قاسيا فعليك بالقرآن, اقـرأه عـن محبـة وتدبر فسيتغير القلب من مرض إلى صحة, ومـن مـوت إلى حياة, ومن قسوة إلـى ليـن, قـال ابـن عبـد القـوي رحمه الله:

**وحافظ علـى درس القـرآن فـإنه يليـن قلبـا قاسيا مثل جلمد**

أي مثل الحصا, ويدل عليه هذه الآية.

ومن فوائد هذه الآية: أن القرآن مـن أمـر اللـه, وينبنـي عليها أنـه ليـس بمخلـوق, وجـه ذلـك قـول اللـه تبـارك وتعالى : (( **ألا له الخلـق والأمـر ))** ففصـل الخلـق عن الأمر وجعله قسـميا لـه, فـدل ذلـك علـى أن الأمـر ليس من الخلق, وهذا هو المراد, فهذه الآية مما يستدل به على طائفتي المعتزلة والأشعرية الـذين يقولـون: إن القرآن مخلوق, الاسـتدلال واضـح ؟ وجـه ذلـك أن اللـه جعل الأمر قسيما للخلـق, وقسـيم الشـيء ليـس منـه, قسم الشيء منه أو ليس منه ؟ منه.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : تعظيـم الـرب عـز وجـل نفسه لقوله: **(( أوحينـا ))** وقـوله: **(( مـن أمرنـا ))** وهو أهل للتعظيم عز وجل وأهل للإكرام وأهل للثناء .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن النبي صلى الله عليــه وسلم قبل هذا الوحي لا يـدري مـا الكتـاب ولا الإيمـان, وعليه يدل قوله تعالى : (( **ووجـدك ضـالا فهـدى ))** ضالا يعني: جاهلا فهدى .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : بيان منة اللـه عـز وجـل على رسوله صلى الله عليه وسلم بإنزال القـرآن الـذي صار به عالما بالكتاب وعالما بالإيمان .

ومن فوائـد الآيـة الكريمـة : أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم كـان أميـا لا يقـرأ ولا يكتـب فيكـون فيـه إبطـال لدعوى أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كاذب لأنه لا يستطيع أن يأتي بهذا القرآن من عنده.

من فوائد هذه الآيـة الكريمـة: أن اللـه سـبحانه وتعـالى جعل الكتاب نورا يهدي به من يشاء, وينبنـي علـى هـذه الفائـدة: أنـك لـو أردت أن يسـتنير قلبـك ويحيـا قلبـك فعليك بالقرآن, لكن قراءة تدبر .

ومـن فوائـد هـذه الآيـة الكريمـة : إثبـات أن الهدايـة والضلالة بمشيئة الله لقوله: **(( نهدي بـه مـن نشـاء من عبادنا )).**

ومن فوائدها: أن النبي صلى الله عليه وسلم يدل علـى الصـراط المسـتقيم لقـوله: (( **وإنـك لتهـدي إلـى صراط مستقيم )).**

فإن قال قائل : ما الجمع بين هذه الآيـة وقـوله تعـالى : **(( إنك لا تهدي من أحببت ))** فالجواب: أن الهدايـة في الآية الثانية هدايـة التوفيـق, فـإن النـبي صـلى اللـه عليه وسلم لا يملك أن يهدي أحدا, وأما الهداية في الآية التي هنـا فهـي هدايـة الدلالـة, اقـرأ قـول اللـه تعـالى : **(( وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمـى علـى الهدى ))** هديناهم هدايـة دلالـة, يعنـي بينـا لهـم الحـق ودللناهم عليه ولكنهم والعياذ بالله استحبوا العمى علـى الهدى فلم يهتدوا .

ومن فوائـد الآيـة الكريمـة : أن هـدي النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم هـدي مسـتقيم لا اعوجـاج فيـه لقـوله : **(( إلى صراط مستقيم ))** فليس فيـه اعوجـاج فـي الخبر, والاعوجاج في الخبر؟ الكذب, وليس فيه اعوجاج في الشرائع بل كلها مبنية على العدل والفضل والحمـد لله رب العالمين .

ومن فوائد الآيـة الكريمـة : الإشـارة إلـى أن مـا خـالف

هـدي النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم فليـس صـراطا مسـتقيما تؤخـذ مـن مفهـوم قـوله: **(( إلـى صـراط مستقيم ))** يعني ما سوى ما أنت عليه فليس صراطا مستقيما .

ومن فوائد الآية الكريمة : تعظيم شأن ديـن اللـه الـذي يـدعوا إليـه الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم لقـوله: **(( صراط الله الذي له مـا فـي السـماوات ومـا في الأرض ))** فإن قال قائـل: كيـف نجمـع بيـن هـذه الآيـة وبيـن قـوله تعـالى : **(( اهـدنا الصـراط المستقيم صراط الذين أنعمـت عليهـم ))** وهنـا يقول : **(( صراط الله ))** ؟ فالجواب: أنه يضـاف إلـى الله باعتبار, ويضاف إلى الذين أنعم الله عليهـم باعتبـار آخر, فإضافته إلى اللـه باعتبـار أنـه وضـعه وأنـه يوصـل إليه, وباعتبار إضافته إلى الذين أنعـم اللـه عليهـم أنهـم سالكوه المؤمنون به؛ اللهم اجعلنا منهم .

ومن فوائد الآية الكريمة: عمـوم ملـك اللـه واختصاصـه بهـذا الملـك, العمـوم مـن قـوله: (مـا) فـإن مـا اسـم موصول يدل علـى العمـوم, واختصاصـه بـه مـن تقـديم الخبر على المبتدأ .

ومن فوائد الآية الكريمة : الإشـارة إلـى أن اللـه تعـالى يحكـم مـا يشـاء وأنـه لا اعـتراض علـى حكمـه لقـوله : **(( الذي له ما في السماوات وما في الأرض ))** فأتى بعموم الملك بعد ذكر الصـراط المسـتقيم إشـارة إلى أن ما حكم به تبارك وتعالى لا اعـتراض عليـه فيـه, لمـاذا؟ لأن اللـه لـه ملـك السـموات والأرض يخلـق مـا يشـاء ويشـرع مـا يشـاء, ولهـذا تجـد بعـض أهـل العلـم

رحمهم الله إذا لم يهتـدوا إلـى علـة الحكـم قـالوا: هـذا تعبدي, يعني علينا أن نتعبد به وإن لم نعلم الحكمة.
ومن فوائد الآية الكريمة: بيان أن الأمور كلها تصير إلـى الله أي ترجع إليه, خلقا وملكا وتدبيرا وحكما, كل شيء يرجع إلى اللـه, إذا اختلفنـا فـي حكـم فـي مسـألة مـن مسائل العلم إلى مـن نرجـع ؟ إلـى اللـه, إذا كـان يـوم القيامة يبعـث الخلائـق ويرجعـون إلـى اللـه, إذن تصـير الأمور يعني كل الأمور تصير إلى الله وترجـع إليـه, فهـو منه المبتدأ وإليه المنتهى تبارك وتعالى, نعم .

الطالب : ...

الشيخ : سواء رجـل أو يرسـل رسـول والأول بـالوحي, الإلهام .

الشـيخ : أقـول علـى حسـب نشـاطه, لكـن قـال بعـض العلماء: ينبغي أن يجعل حزبا معينا يتلوه كل يوم تنظيما لقراءته, لأن الإنسان إذا جعلها مفتوحة هكـذا مـرت بـه الأيام وهو لم يحصل شيئا, وهذا وإن كان ليـس معهـودا في من سلف إلا إن كان دل عليه حـديث عبـد اللـه بـن عمرو أنه قال: أستطيع أن أقرأه في شـهر فـي أسـبوع في ثلاثة أيام قال: **( لا تقرأه فـي أقـل مـن ثلاثـة أيام )** ... لا ما يذم, والحمد للـه الإنسـان يقـرأ القـرآن كل يوم في الصلاة, فلا هجر للقرآن .

الطالب : ...

الشيخ : ... لا هذا غلط منه, يعني كيـف نـدع الاسـتفادة من هذه الكتب العظيمة والخطأ فيها لا يمثـل ولا عشـر عشر المعشار, قـال ابـن رجـب رحمـه اللـه فـي كتـابه القواعد الفقهية: **" ويأبى الله العصمة لكتاب غيـر**

**كتابه "** والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كـثير صوابه, صحيح هذا الإنصاف, ولا تكاد تجد مؤلفا إلا وفيه الخطأ إما متعمدا أو غير متعمد **(( ولو كان من عنــد غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا )).**

الشيخ : نعم إذا كلمه الله بشرع كـان نبيـا, وإن كلمـه بغيـر ذلـك فقـد يكـون شـيطانا, أليـس اللـه خـاطب الشيطان: **(( قال ما منعك أن تسجد لمـا خلقـت بيدي )).**

الشيخ : أحسن ما علمت تفسـير ابـن كـثير رحمـه اللـه موثوق من جهة العقيدة, وإن كـان فيـه بعـض القصـور, يذكر أحاديث إسرائيلية, ويتكلم على كثير منهـا, تفسـير الشيخ عبد الرحمن السعدي جيد خصوصا فـي اسـتنباط الفوائد من الآيات, هذا الذي أعلم الآن, وتفسير الشـيخ الشنقيطي رحمه اللـه جيـد لكـن لا يصـلح إلـى لطـالب علم متمكن نعم.

الطـالب : شـيخ أحسـن اللـه إليكـم قيـل إن الإمـام الشافعي كان يختم القرآن في اليـوم مرتيـن فهـل هـذا مخالف للسنة ؟

الشيخ : لا هذا مـن الأمـور العارضـة ولا يخـالف السـنة, الأمور العارضة لا تعتبر كالأمور الدائمة .

الطالب : ...

الشيخ : ... ما الذي أوحاه الله إلى الرسول ؟

الطالب : القرآن.

الشيخ : طيب كيف نؤول ؟ ما أولنا, هذا هو الذي أوحي إلى الرسول وسماه اللـه روحـا لأنـه تحيـا بـه القلـوب, واعلم أننا نحـن لا ننكـر التأويـل قـد تـأول, لكـن إذا دل

الدليل على التأويل فلا بأس, فنقول في قوله تعالى : (( **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله** )) نقول: إذا أردت أن تقرأ, وظاهر الآية إذا فرغت من القراءة فاستعذ, والسنة بينت هذا, فنحن لا ننكر التأويل, لأن التأويل الذي دل عليه اللفظ تفسير, إنما ننكر التأويل الذي هو التحريف بدون دليل.

الطالب : ...

الشيخ : لا ما هو الرسول أي رسول ...

الشيخ : بيان الإلهام ؟ إما أن الله يوقع في قلبه مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ( **إنه قد ألقي في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها** ).

وبهذا تم تفسير سورة الشورى, ويكون الموقف إن شاء الله على سورة الزخرف, نسأل الله تعالى أن يختم لنا ولكم بالسعادة, وأن يرزقنا فهم كتابه على الوجه الذي يرضاه عنا, وأن يجعلنا ممن يتلونه حق تلاوته.